

رسائل جاك دي فيتري

نقلا عن لغتها اللاتينية

دراسة وثائقية في تاريخ العلاقات
بين الشرق والغرب ١٢٠٠-١٢٤٠م

الطبعة الأولى
٢٠٠٥



ترجمة وتعليق ودراسة

د. عبد اللطيف عبد الهادي السيد

أستاذ مساعد تاريخ العصور الوسطى

كلية الآداب - جامعة غريان - ليبيا

رسائل جاك دي فيترى نقلًا عن لغتها اللاتينية

دراسة وثائقية فى تاريخ العلاقات
بين الشرق والغرب ١٢٠٠ - ٢١٢٤٠

ترجمة وتعليق ودراسة

د. عبداللطيف عبدالهادى السيد

أستاذ مساعد تاريخ (العصور الوسطى)

كلية الآداب - جامعة خريان - ليبيا

منتدى اقرأ الثقافي

www.iqra.ahlamontada.com

أهداء

إلى أطفال وأبطال الحجارة
وشهداء فلسطين

أهري .. لهم هذا العمل المتواضع

المترجم
وعبد اللطيف عبد الهادي السيد

شكر وتقدير وعرفان

إنه لمن دواعي سعادة الإنسان وغبطته أن يرى الحلم وقد تحقق؛ وها هو أول ميلاد لعمل طالما انتظرت تحقيقه، إنه ميلاد كتاب جديد؛ ليس فقط لأنه أول عمل أقوم بنشره، بل لأنه أول عمل لترجمة النص الأصلي "لرسائل جاك دي فيتري" المؤرخ الفرنسي وأسقف عكا (١٢٢٩م).

لقد قمت بترجمة ونقل هذه الرسائل من المجموعة اللاتينية للحروب الصليبية *"Bongers, Gesta per francos"*؛ وإن كان بعض المؤرخين الغربيين مثل "روهرشت، وفونك" قد قاما بتقديم وعرض مقدمة لهذه الرسائل باللغة الفرنسية للقديمة دون نقل الرسائل من لغتها الأصلية لأية لغة أخرى، وقاما بنشرها فقط كما هي بلغتها والتي قمنا بنقلها إلى اللغة العربية لأول مرة.

ولتكمّل أعمال جاك دي فيتري، قد رأى المترجم أن يعرض إلى جانب هذه الرسائل لكتاب "تاريخ مملكة بيت المقدس" المأخوذ عن الترجمة الإنجليزية لإستيوارت ضمن مجموعة "P.P.T.S"، "لجاك دي فيتري" وجعله ملحقاً على الرسائل، هذا فضلاً عن العظات والخطب الأخرى والتي لم تنشر من قبل.

ولا يفوتني هنا أن أقدم خالص نقدي و عرفاني لأستاذي الجليل، الأستاذ الدكتور / قاسم عبده قاسم أستاذ تاريخ العصور الوسطى ورئيس قسم التاريخ بكلية الآداب جامعة الزقازيق الذي كان خير سند وخير معين لهذا الجهد الكبير. كما أقدم

شكرى وعظيم الإمتنان لأستاذى الفاضل الأستاذ الدكتور / اسحق تاو وروس عبيد
أستاذ ورئيس قسم للتاريخ السابق بكلية الآداب جامعة عين شمس لتشجيعه إياى على
ضرورة إتمام هذا العمل، وأما الأخ والزميل والصدىق الدكتور/محمد مؤنس أحمد عوض
أستاذ التاريخ الإسلامى بآداب عين شمس فكلمة شكر غير كافية فى حقه
لأن إخلاصه وتشجيعه لى كان منذ بدأت أول خطوة فى مرحلة الدراسات العليا.
فنعم الأستاذ الجليل، له منى عظيم للشكر والتقدير. ولا يفوتنى أن أشكر كل من
الأستاذ الدكتور / عبد الفنى محمود عبد العاطى، عميد آداب المنصورة، والأستاذ
الدكتور / وسام عبد العزيز فرج، رئيس قسم التاريخ بآداب المنصورة، إذ تتلمذت
على أيديهما فى السنة التمهيدية للماجستير، وكانا دائماً عوناً لى بين الحين
والآخر.

وأخيراً أدعو الله أن يلقى هذا الجهد قبولاً عند المتخصصين وغير
المتخصصين، أولئك الذين يهتمون بدراسة التاريخ ويقدرُون أهميته فى حياة
الإسمانية.

(الترجم

١٠ عبر اللطيف عبر (الهاوى

المحتويات

م	الموضوع	رقم الصفحة
١	الإهداء	١
٢	شكر وتقدير	٢ - ٣
٣	المحتوى	٤
٤	مقدمة المترجم	٥ - ١٦
٥	خطابات جاك دي فيترى	١٧ - ١٦٣
٦	الملاحق (تاريخ مملكة بيت المقدس)	١٦٤ - ٢٧٨
٧	الخاتمة	٢٧٩ - ٢٨١
٨	المصادر	٢٨٢ - ٢٨٦

مُتَكَلِّمَةُ الصَّرَاحِ

تعتبر دراسة للتاريخ بصفة عامة ودراسة تاريخ العصور الوسطى بصفة خاصة دراسة شيقة وممتعة، ويرجع ذلك إلى ما تتمتع به هذه المرحلة من أحداث ووقائع تاريخية لم يكن لها مثيل في العصور الأخرى من حيث التأثير والتأثر في حياة الشعوب، سواء في الشرق أو الغرب على السواء.

كما أن فترة العصور الوسطى فترة ومرحلة دسعة في مادتها التاريخية الأصلية، حيث تساهلت وتنافست أقلام المؤرخين في الشرق والغرب في مجال التدوين التاريخي، بل وكثرت بسبب تلاحق الأحداث وأهميتها في حياة البشرية.

وتعتبر رسائل جاك دي فيتري، والتي تمثل مرحلة هامة من مراحل الصراع الصليبي الإسلامي في غاية الأهمية، ولا يمكن الاستغناء عنها بأي حال من الأحوال، خلال النصف الأول من القرن ١٣م باعتبار صاحبها مؤرخ ومعاصر للأحداث والوقائع التاريخية المتلاحقة في الشرق والغرب على السواء.

كما ترجع قيمة هذه الرسائل إلى أن صاحبها جاك دي فيتري - كان يمثل الجانب الرسمي للبابوية في الحملة الصليبية على مصر عام ١٢١٧ - ١٢٢١م.

هذا إلى جانب ما تبرزه هذه الرسائل من تعصب لدى الدعاة للحروب للصليبية في الغرب الأوربي ضد الإسلام والمسلمين.

وترجع قيمة الرسائل في أن المترجم قام بنقلها لأول مرة من لغتها الأصلية اللاتينية إلى اللغة العربية، مع ملاحظة أن النص اللاتيني يقابله النص العربي، حرصاً منا على توفير الوقت والجهد للباحثين والمتخصصين في مجال التدوين

التاريخى فى العصور الوسطى، وعلى وجه التحديد فى مجال الصراع الصليبي
الإسلامى، وهذه ميزة لم تكن متوفرة فى كثير من الأبحاث والدراسات التاريخية.
وحرصاً منا على أن تكون أعمال جاك دى فيترى كاملة هنا، قمنا بنقل كتاب
"تاريخ ملكة بيت المقدس" من الإنجليزية إلى العربية وهو من تأليف جاك دى فيترى
أيضاً - ضمن مجموعة "P.P.T.S"، مجلد/١١، وجعلناه ملحقاً على الخطابات
ضمن ملاحق الكتاب.

: هذا وجعلنا فى نهاية الكتاب، قائمة بالمصادر الأصلية التى أفادت الباحث
عند التعرف على شخصية ومؤلفات جاك دى فيترى.

الترجم

كه جاك دي فيترى فى مجال التدوين التاريخى

ولد جاك دي فيترى فى بلدة فيترى عام ١٨٧١م، التى تقع على نهر السين فى فرنسا، وتلقى تعليماً دينياً فى باريس، وسرعان ما أصبح أحد رجال الدين المرموقين، وكان تأثيره على الحركة الصليبية فى بداية القرن ١٣م لا يقل عن تأثير بطرس التاسك أواخر قى ١١م.

فى عام ١٢١٣م قام جاك دي فيترى بالوعظ ضد الألبيجنسيين فى جنوب فرنسا وكان دور جاك دي فيترى هنا كبيراً عندما شارك بنفسه فى حملة سيمون دي منتفراى للقضاء على الألبيجنسيين.

وفى عام ١٢١٥م شارك جاك دي فيترى فى مجمع للتحيران الرابع الذى دعا إليه البابا إنوسنت الثالث *Innocent III* بهدف إعداد حملة جديدة ضد مصر، وكان جاك دي فيترى هنا ممثلاً لكنيسة القديس نيقولا فى مدينة "ونى" فى فرنسا، فى عام ١٢١٧م صاحب جاك دي فيترى الحملة الهنغارية على الشام بهدف هدم قلعة الطور التى بناها العزيز وللعادل.

وفى عام ١٢١٨-١٢٢١م اشترك جاك دي فيترى فى الحملة الصليبية الخامسة على مصر، وكان من بين قادة هذه الحملة، الذين كان لهم دور بارز فى وضع الخطط الدفاعية والهجومية للجيش الصليبي، وكان يرسل التقارير تبعاً إلى البابا هونوريوس الثالث حول أحوال الصليبيين فى دمياط. وترجع أهمية كتابات جاك دي فيترى هنا فى أنه كان شاهد عيان للوقائع والأحداث التى وقعت بين الصليبيين والمسلمين.

وبعد إخلاق الحملة، عاد جاك دي فيترى إلى الشام وظل بها حتى عام ١٢٢٥م، ثم رحل إلى أوروبا وظل في إيطاليا حيث تسلم منصب الكردينالية عام ١٢٢٨م، وهو العام الذي تنازل فيه أيضاً عن منصب أسقفية عكا، ذات الأعباء الثقيلة.

وفي ١٢٢٩م تولى منصب أسقفية بيت المقدس، وظل جاك دي فيترى في الغرب حتى مات عام ١٢٤٠م قبل أن يتسلم هذا المنصب الديني الرفيع. وأما عن أهم أعمال جاك دي فيترى التي خلفها لنا في أسلوب متميز تتمثل فيما دونه عن حياة ست - ماري دي"وني" كتابين لهما قيمة عظيمة في التاريخ وهما: *"The History of Jerusalem"* "تاريخ مملكة بيت المقدس" وكتاب عن الحرب الصليبية *"Les histoire des croisides"* هذا فضلاً عن عدد كبير من العظات والخطابات التي تمثل الجانب الأكثر أهمية في ميراثه الأدبي.

والشيء المثير للدهشة أن التتويه عن أعمال جاك دي فيترى في العصور الوسطى لم يكن يتناسب مع هذا العمل الكبير، وربما يرجع السبب في ذلك إلى أن كثير من هذه الأعمال لم يكن لها تأثير إلا على الفترة التي دونت فيها وأرخت لها في النصف الأول من ق ١٣م.

مؤكد أن أعمال جاك دي فيترى في معظمها لارالت بلغتها الأصلية ولم تُنشر بعد، ومن ثم فقد ظلت خارج دائرة الضوء، خاصة خطاباتاته التي لارالت بلغتها اللاتينية، والتي قمنا بترجمتها لأول مرة إلى اللغة العربية.

وهذا من أهم هذه الدوافع التي وجدها الباحث ضرورة لاتخاذ كتابات جاك دي فيتري موضوعاً للدراسة في تاريخ الحركة الصليبية والتي كانت الوسيلة التي استغلها جاك دي فيتري كمادة أوفر للوعاظ من بعده.

والكتابان سالفى الذكر ضمن مؤلف جاك دي فيتري "التاريخ الشرقى" *"Historia Orientalis"*، الذى ينقل لنا صورة تثير الدهشة والحيرة معاً عن العمليات الحربية للحملة للصليبية، وكذلك وصفاً تفصيلياً عن الأرض المقدسة.

وينقسم "التاريخ الشرقى" إلى ثلاث مؤلفات أحدهم قام بنشره "Bongars" بلغته اللاتينية ضمن مجموعة أعمال الملوك للترجمة *"Gesta Dei per francos"* والثانى هو "التاريخ الغربى" وهو عبارة عن تاريخ الكنيسة للغربية فى الفترة التى عاشها المؤرخ وإن كان جاك دي فيتري قد بدأ فى هذا الكتاب يعرض لتاريخ الكنيسة منذ نشأتها وحتى وقت كتابته لتاريخها، حيث يعرض التنظيم الكنسية وما يجب إصلاحه فيها.

وأما خطابات جاك دي فيتري فهى تمثل أهم أعماله الأدبية إبان الفترة موضوع الدراسة.

٢٥ مؤهلات جاك دي فيترى فى مجال التدوين التاريخى كمؤرخ ٢٥

توفرت لدى جاك دي فيترى بعض المؤهلات اللازمة للكتابة فى مجال التدوين التاريخى، أهمها :

- ١ ما تلقاه من تعليم فى مدارس باريس خاصة اللاهوت والقانون الكنسى.
- ٢ تجربته كمبعوث وممثل للبابا فى كل من أوروبا والشرق اللاتينى والحملات الصليبية.
- ٣ رحلته إلى الشرق وتوليه منصب أسقفية عكا وقضاء سنوات شبابه ورجولته هناك نحو ثمان سنوات فى مصر والشام.
- ٤ مشاركته فى الحملات الصليبية سواء فى أوروبا أو الشام ومصر وبالتالي مشاركته فى الأحداث التاريخية، فجاءت كتاباته من منابعها الأصلية.
- ٥ توليه العديد من المناصب الكنسية منذ كان راهباً فى كنيسة سنت - نيقولا بمدينة "وتى" *Oigne* عام ١٢١٠م وحتى توليه لسمى المناصب الكنسية عام ١٢٣٠م وهو أسقف بيت المقدس.
- ٦ اعتماده على مصادر موثوق بها كانت معاصرة ومعايشة للأحداث التى تناولتها وهى الفترة التى سبقت موضوع البحث، وأهم هذه المصادر: فوشيه الشرترارى والمؤرخ المجهول وأعمال وليم الصورى.

كـم دوافع جاك دي فيترى للكتابة

كانت دوافع جاك دي فيترى للكتابة منها ما هو معلن ومنها ما هو خلى :

- الدوافع المعلنة: كما يقول جاك دي فيترى فى مقدمة كتابه إن 'قصص الفشل' التى حافت بالملوك الشرقيين وبطولاتهم، هى التى دفعته لأن يكتب الرد الذى يُسكت به خصومهم.

- أما الدوافع التى لم يعلن عنها جاك دي فيترى: فهى نفس الدوافع الخفية والمستترة للحركة الصليبية، وإن كان قد عبر عنها من غير عمد وقصد عندما ارتحل إلى الشرق ، وأهم هذه الدوافع :

استغلال فكرة الحركة الصليبية ضد كل المنشقين والمعارضين لتعاليم العقيدة الكاثوليكية سواء أكان مسلماً أم مسيحياً فى الشرق والغرب.
تحقيق مبدأ النمو للبابوى وعالمية الكنيسة الكاثوليكية تعميد المسلمين فى الشرق.

توسيع الممتلكات للكنيسة على حساب المسلمين فى الشرق "موارد مصر والشرق".

الوقوف على مصادر ومنابع تعاليم الكنيسة والنهل من منابعها الأصلية فى فلسطين وذلك لتقديم "مادة أوفر للوعاظ" وهو الهدف عند جاك دي فيترى من كتابة للتاريخ.

كـ خطة جاك دي فيترى فى كتابة التاريخ ٥

قسم جاك دي فيترى أعماله التاريخية إلى قسمين :

الأول : يضم التاريخ الشرقى.

الثانى : يتعلق بالكنيسة الغربية.

ويهم الباحث هنا القسم الأول الذى يتعلق بتاريخ الشرق، وكانت خطته كما حددها فى المقدمة أن يضم للكتاب الأول تاريخ بيت المقدس ووصف للأرض المقدسة ، أما للكتاب الثانى فيتناول التاريخ الغربى مع اهتمام خاص بجماعات الرهبان الأكليروس العلمانى ، ثم يختتم الكتاب بفصل عن الحملات الصليبية يشرح قيمتها الدينية وجدواها ، وهناك كتاب مفقود لجاك دي فيترى لم يُعثر عليه حتى الآن وهو الذى يتناول الأحداث التى تلت مجمع للاتيران ١٢١٥م والحملة الصليبية الخامسة، لكنه أشار عن ذلك فى مقدمة كتابه 'التاريخ الشرقى' غير أنه يبدو أنه تراجع عن كتابته، واكتفى بالتقارير التى كان يبعث بها إلى البابا وهو فى دمياط وهى عبارة عن الخطابات التى بلغ عددها سبع خطابات، والتى أمكن جمعها ونشرها باللغة اللاتينية 'Huygens' طبعة ليدن ١٨٩١م.

٢٩ منهج جاك دي فيترى فى الكتابة التاريخية

كان منهج جاك دي فيترى فى كتابة التاريخ يعتمد على موهبته ومهارته

الفنية فى الكتابة وأن عقليته كباحث تقلبت على الواقع بداخله :

✍ فاعتمد على وليم الصورى كواحد من مصادرہ فى الحديث عن جغرافية وتاريخ للفترة التى يغطيها كتاب وليم.

✍ استقاء معلوماته التاريخية خلال الفترة موضوع البحث من خلال مشاهداته ومعاشته للحدث التاريخى نفسه "شاهد عيان".

اعتماده على بعض المترجمين الذين نقلوا له بعض المعلومات السليمة عن الإسلام والمسلمين.

- التحرر فى الكتابة جعله يعبث بالمضمون كيلا يحلو له.

- كان يخاطب للعالم المسيحى اللاتينى عموماً.

ڪه عيوب جاك دي فيترى ڪمورخ ۷۷

ڪانته عيوب جاك دي فيترى ڪمورخ واضلته تماما :

- فهو لم يكن صاحب نظرة تحليلية فقد كان يعنيه ما يحدث ويوجد في لحظتها أكثر مما يهمه سبب أو كيفية حدوثه.
- تحرره في الكتابة جعله يخل بالمضمون وعلى الرغم من هذا فإن عنايته بجمع المعلومات لتكون بمثابة الوعاظ أمر له قيمته، وكتابه (التاريخ الشرقي) يعطى للباحث المحدث فكرة طيبة عما إذا كان الرجل المتعلم - الذي كان يستقى معلوماته من مصدرها - يعرفها وعن ماهية فكرته عن الإسلام ثم التعرف عليها من خلال الترجمة.

~~~~~

### مدينة فيترى على نهر السين<sup>(١)</sup>

تقع مدينة فيترى على نهر السين، على الشاطئ الشرقى للنهر جنوب شرق باريس على مسافة ٦ كم من العاصمة، وتتمتع هذه المدينة بشهرة كبيرة في مجال الصناعة، نظراً لما تقتنيه من صناعات ومصانع مختلفة، منها على سبيل المثال لا الحصر: أنها مركز هام لشبكة كهربائية تغذى حولي ٧٠٠٠٠٠ كم في عدة ولايات، كما أنها مركز صناعي هام للصناعات المعدنية مثل مصنع سبائك الحديد والأوتاس المعدنية ومصنع محركات الطائرات وآخر للكابلات الكهربائية وعوازل الحرارة. كذلك تتميز المدينة بالمنتجات الكيماوية والصابون وصناعة الورق والجلود وغيرها من الصناعات المختلفة.

وإلى جانب كونها مدينة صناعية كبيرة، فإن لها شهرة دينية أيضاً فلها توجد كنيسة صت - مريم العذراء، وكنيسة سان جرمان التي شيدت أواخر في ١٣م وأوائل في ١٤م إلى جانب العديد من الكنائس الأخرى التي شيدت في في ١٨م.

---

<sup>(١)</sup> إلى جانب مدينة فيترى التي تقع على نهر السين في فرنسا توجد خمسة مدن أخرى تحمل نفس الاسم وهي :

- Vitry - aux - loges France
- Vitry - eu - Artois France
- Vitry - la - ville France
- Vitry - le - fraucois France
- Vitry - sur - Seine

انظر مادة فيترى

- \* The time Atlas of the world.
- \* La Rousse De xx, Siecle, tom 6. Paris
- \* la Grand Encyclopedie, Tom. 31, Paris.

وإلى جانب شهرة مدينة فيترى "على نهر السين" الصناعية والدينية فإن لها شهرة في مجال الزراعة، فهي غنية بمشاتل الأشجار والبساتين المختلفة والمتنوعة، حيث تقوم السفن بنقله إلى جهات أخرى تصلح تربتها لنمو الأشجار. وقد عرفت هذه المدينة باسم فيترى *Vitry* نسبة إلى إحدى الأسر العريقة التي كانت تحكمها قديماً، حيث كانت تحمل لقب *Vitry*. والمدينة واحدة من الحصون والقلاع القوية، لحماية العاصمة "باريس" من ناحية الجنوب الشرقي، وهي أشبه بسور عال يساوي طابقتين تقريباً من الحجارة القوية. وهذه المدينة هي مسقط رأس جاك دي فيترى.

تقع مدينة فيترى على نهر السين، وهي مسقط رأس المؤرخ الفرنسي جاك دي فيترى، الذي مات في روما عام ١٢٤٠م. وقد درس جاك دي فيترى في جامعة باريس ثم صار قساً ثم كاهناً لمدينة "وني" *Oigne*، التي تقع على نهر السامب، وظل كذلك حتى عام ١٢١٠م.

خطبات جاك دى فيتري

Letters d'Jack d'Vitry

By

Jack d'Vitry

## مُتَلَكِّمَاتُ الرِّسَالَةِ

يبرز اسم "جاك دي فيتري" بصورة متميزة بين كثير من الأسماء الالامعة في القرن الثالث عشر الميلادي، وقد ولد جاك دي فيتري فيما بين عامي ١١٦٠، ١١٧٠م، وفيما يبدو في مدينة "ونسي" *Oigne* وقام بإتمام دراسته في باريس. وخلال الفترة من عام ١٢١١/١٢١٦م عمل كاهناً قانونيا لكنيسة سان نيقولا دي ونسي، في أسقفية "بيج" القديمة. وهناك تعرف على "ست" ماري دي ونسي وحياة بعض رجال الدين، وقد تلقى بعضهم رسائل جاك دي فيتري. وفي عام ١٢١٣م قام بالدعوة ضد الأبيجنسيين وكان للفصاحة لسانه وبلاغته دور كبير في دفع حماس الجماهير، إبان الحملة الصليبية الخامسة.

وبعد أن تم اختياره أسقفاً لمدينة عكا في ٣١ يوليو عام ١٢١٦م بالأرض المقدسة، شارك بدءاً من يونيو عام ١٢١٨م وحتى سبتمبر ١٢٢١م في الحملة للصليبية الخامسة ضد مصر.

وبعد النجاح في الاستيلاء على دمياط في الخامس من نوفمبر ١٢١٩م تحولت تلك الحملة لتكبة لا مثيل لها، وعاد جاك دي فيتري، إلى أوروبا في نهاية عام ١٢٢٥م، وبعد ذلك في يوليو ١٢٢٩م تم تعيينه أسقفاً وكاردينالاً "تسكونم" وتولى في أول مايو عام ١٢٤٠م، وتم إحراق جثمانه بعد ذلك بعام في مدينة "ونسي".

تلك فى سطور بعضاً من حياة "جاك دى فيترى" لقد تم تصوير حياة "جاك دى فيترى" فى سطور رائعة فى تلك للدراسة التى أعدها "د. فانك" هذه الدراسة التى على الرغم من ظهورها منذ حوالى خمسين عاماً، فإنه لم تتفوق عليها دراسة أخرى لوقت قريب.

وتعطي كتابات "جاك دى فيترى" الدلائل على الحركات الدينية فى فلندر وشمال إيطاليا والحملة الصليبية، وكذلك الحياة اليومية فى منتصف للقرن الوسطى فى باريس ومملكة بيت المقدس وعكا، وكانت تلك الدلائل تتسم بأهمية كبيرة فى تاريخ العصور الوسطى .

لقد خلقت لنا حياة "مارى دى ونى" بالإضافة إلى كتابين أهمية وقيمة كبيرة، وذلك لأن الكاتب كان يمتاز بموهبة وأسلوب ممتع، إن تلك المقدمة سيتم تخصيصها للتعريف بالرسائل والمعايير التى أفادت فى التفرقة بين ما هو صحيح وما هو خطأ، أما مهمة إرساء النص فإنها مهمة عالم فقه اللغة والتى يتحتم عليه الاقتصار على جوانب محددة طالما سيكون الكثير من الكتابات التى يفترض إعادة نشرها أو طبعها بطريقة أكثر إرضاءً . أما بخصوص حدة الآراء والوقائع المنقولة فى النص، والمنافشات التى تدور حولها سوف يتم ترك ذلك للمؤرخين .

وكان "زهرشت" المؤرخ الشهير لمملكة بيت المقدس، أول من اهتم بجمع كافة الرسائل المبعثرة فى العديد من الأماكن، ولكن لسوء الحظ فإن تحمسه واهتمامه بالعثور على النصوص والمخطوطات بجهد كبير، كان يفوق نوعاً ما قدراته فى فقه اللغة، لذلك كانت إصداراته بها بعض العيوب الواضحة بجلاء.



فمقارنته بين النصوص كانت غير كافية، والملاحظات على المخطوطات كانت قاصرة على ذكر بعض الجوانب فقط. وانعدام التجانس بين النص والتعليقات، والسطور غير مرقمة، أما الأكثر سوءاً، فهو عدم اهتمام العالم الألماني تحديد ارتباط المخطوطات ببعض، واكتفى بنقل النصوص كما وجدها. ولكن يجب الاعتراف أنه دون المؤلف الخاص لـ "روهرشت" فلا يوجد هناك إصدار آخر أكثر أهمية وأكثر إرضاءً.

إن الشيء المذهل والمدهش عن مؤلفات "جاك دي فيتري" ما لوحظ في كتب ومؤلفات العصور الوسطى، من عدم وجود أية علاقات بين تلك الكتب ومخطوطات ومؤلفات "جاك دي فيتري"، فلم يوجد لها أي أثر أو تأثير في أي مؤلف من مؤلفات العصور الوسطى، وعموماً، فإذا افترضنا معرفة بعض المخطوطات أو مجموعة منها، فإن التأثير المباشر لرسائل "جاك دي فيتري" كان قليل القيمة والأهمية، ذلك لأن تلك الرسائل كانت مخصصة لدائرة محددة، وكانت بعيدة عن دائرة الضوء والتداول، ولم تحظ في أي وقت بأي نوع من الشهرة، ومن هنا تأتي أهمية وقيمة الدراسة.

وفي بعض مؤلفاته، لاسيما ما يتعلق "بتاريخ الشرق" يقوم "جاك دي فيتري" بعمل وثائق حول الأرض المقدسة وقام بجمعها في أحد خطابهاته. واعتقد من جهة أخرى عدم وجود صلة بين مؤلف "تاريخ ديباط" و"جاك دي فيتري". فتلك المدونات في أسلوبها ليس لها في رأي قيمة حاسمة. وبالنسبة للمخطوطات فلنبدأ الآن بوصف أهمها، وهو - أي روهشت - الوحيد الذي ينقل لنا الرسالة الأولى، وجزء كبير من الرسالة الثانية.

## ٥٤ المخطوطات - النص والنثر ٥٤

إن مخطوط المكتبة الجامعية في "جانز" والذي يحمل الرمز "ج" تم وضعه في قائمة "سان جنوا" تحت رقم "١٠" يعود إلى نهاية القرن ١٣م ويتكون من ستة وعشرين صفحة .. وكل صفحة في الحجم للمتوسط قوامها خمسة وثلاثون سطراً والعبارة البادئة في الخطاب الأول مبتورة.. والمخطوط رقم ٢٦٧ يضم مجموعة من الرسائل الحقيقية، تم وضعها في الدير الرئيسي في "جانز" وكان الهدف منها أن تكون نماذج للدارسين، ونجد أن الكثير منها قد كُتِبَ بأحرف صغيرة متشابهة مما يصعب قراءتها. وقام "نابليون دي ياو" بنشر ما يقرب من خمسين رسالة نذكر من بينهم الحياة الحميمية في اللندر في العصور الوسطى وفقاً لوثائق تم.. في نشرها "بروكسل ١٩١٢م" وهي قصيدة نثرية على غرار لشعر.

والمخطوط "ج" رقم ٥٥٤ كان سالفاً جزءاً من المخطوط رقم ٢٦٧ ولكن تم فصله عنه في فترة غير معلومة. ولكن ما زال في الإمكان تحديد موقعه القديم . والمخطوط رقم ٢٦٧ غير تام، إذ أن الفصول الستة الأولى ناقصة، وعلى ذلك فيمكننا أن نخلص أن رسائل "جاك دي فيتري" تمكننا من قراءة المخطوط بطريقة أو بأخرى، وأنه تمت إضافتها إلى المخطوط البدائي. غير أننا نلاحظ في بعض الأحيان يتم تفسيرها بطريقة خاطئة. بسبب دمج رسائل "جاك دي فيتري" للمخطوط بدلاً من أن تضاف للنهاية.

ومن جهة أخرى نجد أن رسائل "جاك دي فيترى"، كتبها كاتب واحد فقط وأنه لم يكن من بين ناسخى المخطوط رقم ٢٦٧، لكن الكتابة تتشابه بشكل كبير مع كتابة الأغلبية .. وذلك كي لا نعلل أن تلك الرسائل قد تمت كتابتها في الدير الرئيسى فى "سان بيير دي جانز" ويبدو أن من كتب تلك الرسالة كان معاصراً لأغلبية النساخ الآخرين الذين نجدهم فى مخطوط ٢٦٧، ٥٥٤. على أن مخطوط "سان بيير" قد ذكر فيه بعض المقتطفات. ولم يعى "روهرشت" أى جهتها، وإنما نُشر فقط العنوان الموجود فى "ج" ولقد تأكدت بنفسى من ملاحظة "هاسب" المذكورة آنفاً، وقررت أن أى شئ لم يتم فقدته كان يمكن قراءته منذ ستين عاماً ، بل حتى اعتقدت أنه فى الإمكان تكملة قراءة العالم الأكماتى وأن أتعرف على المرسل إليهم الرسائل.

وبداية السطر الأول كان مهلهل مما تسبب فى فقدان خطاباً على الأكثر. وبعد ذلك حافظ المخطوط على كلمات الخطابات السبعة، وتوالت أثار غير مفهومة. ووفقاً لما تم تركه تستطيع على الأكل إعادة صياغة بداية الجملة الأولى بمقارنتها بعنوان الخطاب السابع ، وبداية السطر الثانى كذلك به نقصان، ويمكن قياس ذلك النقصان وتقديره بحوالى إحدى عشر حرف. وبالنسبة للسطر الثالث فقد تم بتره فى بدايته، "حيث كان هناك نقص حوالى من ١٠:٩ حروفاً" وكذلك فى النهاية.. والسطر الرابع يبدأ بتقص حوالى سبعة حروف.

وإذا أخذنا فى الاعتبار النقص والنتائج الأكيدة لأبحاثنا والفروض التى تم صياغتها فإننا قد ننتهى إلى نتيجة ما.

وقد تمكن بارون "سان جنوا"، في ملاحظته التي ظهرت في أبحاث الأكاديمية العلمية الملكية للعلوم والآداب والفنون في بلجيكا، فإن أمين مكتبة "جانز" كان يلفت الانتباه إلى المخطوط .. وكان يقوم بنشر الخطابات ٢٠١، والتي لم تكن معروفة في ذلك الوقت ، وأعلن عن مخطوط ثان في المكتبة الملكية في "بروكسيل" والذي لم يذكر فيه أية أمثلة. وبعد فحص روهشت للمخطوط "ج" في "سان جنوا" وأخيراً "جروفيد" والذي طبع منه عدة نسخ كي يتحقق من بعض فقراته، وبعد أن تم طبع المخطوط ، ومخطوط روهشت ومخطوط تابعيه، تأكد أن ذلك المخطوط به بعض النقصان بصورة واضحة.

ولأن حالة "ج" الغير مرضية كانت تطلب غالباً تدخل من قبل الناشر. فإن مخطوط "جانز" وكتابه باختصاراته المتعددة لم يكن سهل القراءة، ولن نقول أن روهشت قد قام بنسخ نص "سان جنوا" على وجه سليم .

وفي حقيقة الأمر ، فإن بعض أخطائه لا تتواجد في الطبعة الألمانية ، ولكن عند فحص مخطوط "جانز" لاحظت أخطاء قراءات مشتركة بين الطبعتين في عدة مواضع ويمكن تفسير ذلك بنقص الخبرة.

إن للقائمة التالية لاتضم سوى عدة أمثلة مأخوذة من الخطاب ٢٠١، ولا تعطى سوى فكرة عن الواجب علينا في نص تمت طباعته مرتين.

الخطاب الأول

## I

R  
XIV, 101

\* sibi in Christo I(acobus), divina sustinente misericordia Aconensis ecclesie minister humilis, eternam in domino salutem.

Inter varios dolores et labores continuos et frequentes mee peregrinationis molestias unicum est michi remedium et singulare  
5 solatium frequens amicorum meorum memoria, quorum beneficio sustentatur spiritus meus ne corruat, quorum orationibus vegetatur anima mea ne penitus deficiat. Ex hac tamen medicinali memoria, cuius beneficio vulnera mea sanantur, aliquando novum vulnus cordi meo infligitur: crescente enim vehementi afflictione dum rationis  
10 virtus opprimitur et debilitatur, circa notos et amicos meos mens mea adeo occupatur, ut fere omnia alia in tedium convertantur <ita, quod> appetitus orationis <et> desiderium lectionis ex hac frequenti afflictione frequenter in me evacuantur. Hii autem  
15 incessanter affligit <et> sine intermissione stimulat et inungit, periculum videlicet animarum regiminis, dum defectus meos considero multiplices et qualem oporteat esse episcopum ex apostoli verbis animadverto. Ait enim: *oportet episcopum esse irreprehensibilem sobrium prudentem ornatum pudicum hospitalem doctorem,*  
20 *non vinolentum, non percussorem, sed modestum, non litigiosum, non cupidum, sue domui bene prepositum, filios habentem subditos cum omni castitate, non neophytum, ne in superbiam elatus in iudicium incidat diaboli. Oportet autem illum <et> testimonium habere ab hiis qui foris sunt, ut non in opprobrium incidat et in laqueum dia-*

## G.

1 *amis amīs* sibi in Christo G. sustente pr., corr. G. 12 <ita, quod> scripsi coll. I, 73, 143; II, 33, 37, 102-103, 123, 147, et passim. <er> scripsi, cf. adn. cr. ad II, 33, 156, 182, 211, 234(404); IV, 132, 137, 15 <et> scripsi. 23 <et> St. testimonium habere bonum *textus biblicus*.

4-5 Cf. II, 210-211. 7 medicinali memoria] Le même langage figuré dans une lettre du pape Innocent III (Cheney-Semple, *Selected letters of Pope Innocent III*, Londres (Nelson), 1953, p. 94): *Quod si hac ... manus nostras in eum curabimus aggravare, ut sic duntaxat medicinali manu sanatus, etc.* 18-23 I Tim. 3, 2-7 (18-19 irreprehensibilem sobrium] Irreprehensibilem[esse], unius uxoris virum, sobrium ... I Tim. 3, 2). 23 testimonium sc. bonum] Cf. Greven, *Esempio*, 37 (p. 27, 4) (= Frenken, *Esempia*, 36 (p. 116, 11)).

- 25 *boli. — Simca in tecto episcopus jaluns in solio: monstruosa res  
est gradus summus et animus infirmus, sedes prima et vita ima,  
lingua magniloqua et manus ociosa, sermo multus et nullus fructus,  
cultus gravis et actus levis, ingens auctoritas et nutans stabilitas.*  
Hec et hīs similia frequenter considerans in me penitus animus  
30 meus corrueret et confunderetur, nisi orationibus vestris aliquan-  
tulum relevaretur. Dominus autem postquam a vobis recessi,  
*vinum et oleum: frequenter vulneribus meis infudit* aliquando ad-  
versitatibus et variis tribulationibus me probando, aliquando con-  
solationibus relevando. Accidit michi cum intrarem Longobardiam  
35 quod diabolus arma mea, scilicet libros meos, quibus ipsum expu-  
gnare decreveram, cum aliis rebus ad expensas meas necessariis  
proiecit et subvertit in fluvium vehementer impetuosum et terri-  
biliter profundum, qui ex resolutione nivis vehementer et supra  
modum excreverat et pontes ac saxa secum trahebat. Unus ex  
40 cophinis meis plenus libris inter undas fluminis ferebatur, alius,  
in quo matris mee Marie de Oegnis digitum reposueram, mulum  
neum sustentabat ne penitus mergeretur. Cum autem *de mille*  
*vix unus* posset evadere, mulus meus cum cophino sanus ad ripam  
devenit, alius autem cophinus quibusdam arboribus retinentibus  
45 postea mirabiliter repertus est et, quod mirabilius est, licet libri  
mei aliquantulum obscurati sint, ubique tamen legere possum.  
Post hoc vero veni in civitatem quandam, Mediolanensem scilicet,  
que fovea est hereticorum, ubi per aliquot dies mansi et verbum  
dei in aliquibus locis predicavi. Vix autem invenitur in tota civitate  
50 qui resistat hereticis, ex<c>eptis quibusdam sanctis hominibus  
et re<li>giosis mulieribus, qui a maliciosis et secularibus hominibus  
*Patareni* nuncupantur, a summo autem pontifice, a quo habent

G.

25 episcopus] rex Bern. *Clarev.*, cf. *comm.* in solio sedens Bern. *Clarev.*:  
cf. VI, 111. 26 est om. Bern. *Clarev.* infirmus correxi. 27 fructus  
nullus Bern. *Clarev.* 41 Oegnis] *Ognies* VII, 7. 50 ex<c>eptis St.  
cf. 60; V. 39; VI, 143. 155. 51 re<li>giosis St. 52 Patrani G. *op.* p. 65.

25 *simca* ... 28 *stabilitas*] Jacques de Vitry cite ici une phrase entière de  
Bernard de Clairvaux. *De consideratione* II, 14 (voir l'app. cr.); sur *simca*,  
voir p. 95, note 5 de mon édition du *Dialogus* de Pierre de Blois, dans la  
RB, 1958. 31 Luc. 10, 34. 43-43 Cf. Greven, *sermo*, p. 48, 20: *Quod inter*  
*1000 mille vix unus bonus invenitur* (Eccli. 6, 6: *unus de mille*); cf. II, 171-172.  
47 Voir p. 13, n. 1. 52 *Patareni*] Cf. J. Goetz, *Kritische Beiträge zur Ge-*  
*schichte der Pataria*, dans l'*Archiv für Kulturgeschichte*, XII (1916), p. 17-55  
et 164-194, et G. Schwartz, *Die Herkunft des Namens Pataria*, ibidem,  
p. 402-410; voir p. 63.



auctoritatem predicandi et resistendi hereticis, qui etiam religionem confirmavit, *Humiliati* vocantur; *hii sunt, qui omnia pro Christo*  
 35 *relinquentes in locis diversis congregantur, de labore manuum suarum vivunt, verbum dei frequenter predicant et libenter audiunt, in fide perfecti et stabiles, in operibus efficaces.* Adeo autem huiusmodi religio in episcopatu Mediolanensi multiplicata est, quod CL congregationes conventuales, virorum ex una parte, mulierum ex  
 60 altera, constituerunt, exceptis hiis qui in domibus propriis remanserunt. Post hoc veni in civitatem quandam que Perusium nuncupatur, in qua papam Innocentium inveni mortuum, sed nundum sepultum, quem de nocte quidam furtive vestimentis preciosis, cum quibus sci<licet sepeliendus> erat, spoliaverunt; corpus  
 65 autem eius fere nudum et fetidum in ecclesia relinquerunt. Ego autem ecclesiam intravi et ocul<a>la fide cognovi quam brevis

#### G.

64 *post sci (non ſci=sunctu) lacuna 4-5 litterarum: sci<licet sepeliendus> conſeci, ſepeliendus Holder-Egger.* 66 ocul<a>ta St.

54 Cf. VI, 146. 55-56 (= 122) de labore . . . vivunt] Tobie 2, 19, cf. I Cor. 4, 12; Ephés. 4, 28; I Thessal. 4, 10-11; II Thessal. 3, 7-12. 56 Cf. Groven, *sermo*, p. 46, 2: *Nonne libenter ad ecclesiam vadunt et psalteria sua frequenter legunt?* 57 Cf. Groven, *sermo*, p. 48, 2: *Inveniuntur in fide stabiles et in opere efficaces, cf. ibidem*, p. 34, n. 2: „Es handelt sich nicht um ein biblisches Zitat, sondern um eine Entlehnung aus der Oration des Breviers für die Vesper am Mittwoch der zweiten Woche in der Fastenzeit. Die Oration lautet: *Deus innocentiae restitutor et amator, dirige ad te tuorum corda servorum, ut spiritus tui fervore concepto et in fide inveniantur stabiles et in operibus efficaces. Per dominum*, etc. Die Oration dient auch an demselben Tage im Messformular als *Oratio super populum*“. 62 Innocent III mourut le 16 juillet 1216; le lendemain, Jacques vit le pape comme il le décrit. Un seul auteur (franciscain) prétend que saint François était présent au lit du mourant: Thomas d'Eccleston, *De adventu Fratrum Minorum in Angliam*, Collatio XIV dans l'édition de Brewer, *Monumenta Franciscana*, Londres, 1858, p. 66; Coll. XV dans les *Analecta Franciscana*, I (Quaracchi, 1885), p. 233 et dans l'édition de Little (Manchester, 1932), p. 93: „*Innocentium, in cuius obitu fuit praesentialiter sanctus Franciscus*. Si c'était exact, Jacques de Vitry ne l'eût certainement pas passé sous silence (voir I, 103-135); à mon avis, la remarque de frère Thomas est donc tout à fait invraisemblable. — Sur *mundum*, voir p. 63. 66 *oculata fidei* l'expression *fidem* . . . *oculata* se trouve déjà chez Tertullien, *adv. Marc.* IV, 36 (*Corpus Christianorum*, I, 646, 1); la forme *oculata fide* peut être un souvenir de lecture de Cyprien, *ad Fortunatum de exhort. mari.*, XIII (CSEL, III<sup>e</sup>, p. 346, 7), d'un fragment d'Hilaire (CSEL, LXV<sup>e</sup>, p. 34, 11) ou de l'Itinéraire d'Antonin Placentinus (CSEL, XXXIX, p. 179, 19 et 190, 2); mais Jacques de Vitry peut aussi la connaître par l'*Histoire* de Guillaume de Tyr (Bongars, *Gesta dei per Francos*, p. 626, 45 et 688, 43; il la cite encore dans sa *Vie de Marie d'Oignies* (AA SS de juin. IV, 636-E).



sit et vana huius seculi fallax gloria. Sequenti autem die elegerunt  
cardin<al>es Honorium, bonum senem et religiosum, simplicem  
valde et benignum, qui fere omnia que habere | poterat pauperibus  
erogaverat. Ipse autem die dominica post electionem eius in sum-  
mum pontificem consecratus est; ego autem proxima sequente  
dominica episcopalem suscepi consecrationem. Honorius autem  
papa satis familiariter et benigne me suscepit ita, quod fere quo-  
tienscumque volui ad eum ingressum habui et inter alia ab ipso  
obtinui quod tam in partibus orientalibus quam occidentalibus  
ubicumque vellem verbum dei predicarem auctoritate eius. Obtinui  
preterea ab ipso, et litteras cum executoribus et protectoribus  
impetravi, ut liceret mulieribus religiosis non solum in episcopatu  
Leodi[n]ensi, sed tam in regno quam in imperio in eadem domo  
simul manere et sese invicem mutuis exhortationibus ad bonum  
invitare, unde, quia in prelati in regno Francie commissa fuerat  
crucesignatorum defensio, noluit michi dare specialem potestatem  
ut eos defendere valerem. Hoc autem fecit, ut dicitur, quorundam  
consilio, qui ad legationem regni Francie aspirabant; ego vero, habito  
cum amicis et sociis meis consilio, nolui redire nisi cruce signatos,  
qui fere ubique talliis et aliis exactionibus opprimuntur, quorum  
etiam corpora passim incarcerantur, valerem defendere: aliter enim  
verbum predicationis non reciperent, sed magis in faciem meam  
conspuerent, si eos, secundum quod promissum est eis in predica-  
tionibus, protegere non valerem. Preterea, cum ad partes Francie  
venissem, hiems esset et statim in Quadragesima proxima iterum  
arripere iter me oporteret, unde parum possem proficere et multum  
oporteret me laborare; et quia ex labore continuo me valde debili-  
tatum sentiebam, preelegi aliquantum quiescere, ut laborem  
exercitatus ultra mare valerem sustinere, maxime quia multa  
milia cruce signatorum iam transierunt, quos oportebit me consolari  
et detinere. Hominibus etiam episcopatus mei et aliis transmarinis,  
antequam veniat multitudo, verbum dei predicare proposui et

G.

68 cardin<al>es St. 79 Leodi[n]ensi St. 93 proposui predicare  
proposui, sed pr. proposui del. G, cf. adn. cr. ad II, 435-436.

67 le 18 juillet 1216. 69 habere poterat] voir p. 33, n. 1. 70 le 24 juillet  
1216. 71 le 31 juillet 1216. 72-90 Voir Greven, *Frankreich*, p. 35-38  
76 Cf. III, 52. 81 in prelati] voir p. 33, n. 1. 88-89 Cf. Crane.  
*Exempla*, 63, 9-10. 90-93 Voir p. 52(l). 97 episcopatus mei] Saint-  
Jean-d'Acre, cf. 102. 98 multitudo] c.h.d. des croisés.



anmonere et exhortari ut benigne recipiant peregrinos et a peccatis  
 100 abstineant, ne alios extraneos malo exemplo corrumpant: postquam  
 enim multitudo transiretaverit, circa eorum negocia ita occupatus  
 ero, quod Acconensibus, qui michi specialiter commissi sunt, nisi  
 prius <michi> intendam, vix intendere tunc potero. Cum autem  
 aliquanto tempore fuissen in curia, multa inveni spiritui meo  
 105 contraria: adeo enim circa secularia et temporalia, circa reges et  
 regna, circa lites et iurgia occupati erant, quod vix de spiritualibus  
 aliquid loqui permittebant. Vnum tamen in partibus illis inveni  
 solatium, multi enim utriusque sexus divites et seculares omnibus  
 pro Christo relictis seculum fugiebant, qui *Fratres Minores* et  
 110 *Sorores Minores* vocabantur. A domino papa et cardinalibus in  
 R  
 XIV, 104 magna reverentia habentur, hii autem circa 1 temporalia nulla-  
 tenus occupantur, sed ferventi desiderio et vehementi studio sin-  
 gulis diebus laborant ut animas que pereunt a seculi vanitatibus  
 retrahant et eas secum ducant. Etiam per gratiam dei magnum  
 115 fructum fecerunt et multos lucrati sunt, ut qui audit dicat: *veni, et*  
*cortina cortinam trahat*. Ipsi autem secundum formam primitive  
 ecclesie vivunt, de quibus scriptum est: *multitudinis credentium erat*  
*cor unum et anima una*. De die intrant civitates et villas, ut aliquos  
 lucrifaciant operam dantes actione; nocte vero revertuntur ad  
 G.

99 ut *Sf*: nec G. 103 <michi> coniecti addubitan, cf. 94-95.

103-115 Voir ma notice citée p. 2, n. 3, et la note sur I, 62. 110 domno  
 C'est la graphie que j'adopte pour rendre le *āns* (etc.) des manuscrits, titre  
 de seigneurs ecclésiastiques aussi bien que laïques, *dominus* étant réservé  
 au Seigneur et, en prose, pour désigner le maître, p.e. d'un esclave, etc. La  
 forme brève était indubitablement beaucoup plus en usage que les textes  
 imprimés ne le font croire. Bien que *dominus* écrit en entier ne soit pas absent  
 de nos textes, surtout en poésie si le mètre l'exige (mais cf. *vicedomnus*,  
 Ruodlieb, IV, 68 (Traube, *Nomina sacra*, p. 174), la plupart du temps on  
 ne trouve que *āns*; mais on observe bien, dans les manuscrits, l'emploi  
 distinctif de *domnus* et *dominus* lorsque les formes sont écrites sans con-  
 traction. 115 Cf. 118-119, et Crane, *Exempla*, 32, 4-5: *aliquos scolares*  
*deo lucraturus*. 115 qui audit dicat: *veni*, Apocal. 22, 17. 115-116 et  
*cortina cortinam trahat*: S'agit-il d'une citation? Je n'ai pas pu identifier  
 ces mots. 116-117 (voir sur II, 231-232) Voici un détail qui a fortement  
 impressionné Jacques de Vitry: il le répète VI, 246-248 (b, c) et dans son  
*Histoire de l'Occident*, écrite vers 1221, cf. Boehmer, *Analekten zur Geschichte*  
*des Franciscus von Assisi*, 1904, p. 102, 1388, et surtout 26-27 (=310, p.  
 349/350). 117-118 Actes 4, 32. 118-119 ut aliquos lucrifaciant ope-  
 ram dantes actione] La construction *ut aliquid* (ou *aliquid*, deux conjectures)  
*lucri faciant, operam dantes actioni* (conjecture), que présentent ou pro-  
 posent de Saint-Genois, Röhricht, *alii*, est fausse; *operam dare actioni* serait

- 120 heremum vel loca solitaria vacantes contemplationi. Mulieres vero iuxta civitates in diversis hospitiiis simul commorantur; nichil accipiunt, sed *de labore manuum* <suarum> vivunt, valde autem dolent et turbantur, quia a clericis et laicis plus quam vellent honorantur. Homines autem illius religionis semel in anno cum  
 125 multiplici lucro ad locum determinatum conveniunt, ut simul in domino gaudeant et epulentur, et consilio bonorum virorum suas faciunt et promulgant institutiones sanctas et a domino papa confirmatas, post hoc vero per totum annum disperguntur per Lombardiam et Thusciam et Apuliam et Siciliam. Frater autem Nicho-  
 130 laus, domni pape provincialis, vir sanctus et religiosus, relicta curia nuper ad eos confugerat, sed quia valde necessarius erat domno pape revocatus est ab ipso. Credo autem quod in opprobrium prelatorum, qui *quasi canes* sunt *nudi non valentes latrare*, dominus per huiusmodi simplices et pauperes homines multas animas ante  
 135 finem mundi vult salvare. Cum vero recessi a predicta civitate, iter arripui versus Ianuam, que nobilis est civitas in confinio Thuscie et Lombardie et sita est supra mare. Cum autem per tres dietas tantum a civitate distarem, inveni viam gravem et montuosam, unde in quadam navicula cum sociis meis ingressus sum mare  
 140 ut ad civitatem Ianuensem, in qua portus est optimus, navigio devenirem. Cum autem die et nocte inter fluctus maris navigarem, frequenter navicula nostra ex undarum impulsionebus fere usque ad submersionem inclinabatur ita, quod impetus undarum navem

G.

120 contemplatione G, cf. comm. 122 <suarum> scripsi coll. 35-36, Tobiae 2, 19. 123 quia] nescio an G, ut in VI, 177. *perperam* quia scripsit pro quod.

un pléonasme inutile, il faut construire *operam dare* ... ut. Pour *lucriferare* avec acc. plur. masc. (= I Corinth. 9, 21-22), cf. (114-115). La forme *actiōne* causant le changement de *contemplationis* en *contemplatione*, le passage est corrompu sous la main d'un scribe. 122 Voir sur 35-36. 124-128 Cf. l'*Hist. Occ.*, MO, p. 351, Boehmer, l.c., p. 103, 25-26: *semel autem vel bis in anno tempore certo ad locum determinatum generale capitulum celebraturi conveniunt, exceptis his qui nimio tractu terrarum vel mari interposito separantur*. 128-129 Cf. MO, p. 351, Boehmer, l.c., p. 103, 26-28: *post capitulum iterum ad diversas regiones, provincias et civitates duo vel plures pariter a superiori suo mittuntur*. 130 provincialis] On a voulu corriger *penitentiarius*, mais voir l'opinion des éditeurs des *Annales Minorum* de Wadding, I (1931), p. 420, note, qui avancent des arguments décisifs. 133 Isale 56, 10. 133-133 Pour cette pensée, voir MO, p. 349 et 353-354. Boehmer, l.c., p. 102, 16 ss. et 103, 18-21. 137 supra mare] cf. IV, 22.



nostram aliquociens intrabat. Vnum tamen remedium habebamus:  
 145 quod linteamina fluctibus opponebamus. Postquam vero applicui  
 Ianue, cives eiusdem civitatis, licet me benigne recepissent, equos  
 tamen meos, vellei nollem, in obsidionem cuiusdam castri secum  
 duxerunt. hec est enim civitatis consuetudo, quod quando in  
 exercitum vadunt ubicumque equos reperuant, cuiuscumque sint,  
 R 150 secum ducunt. Mulieres autem in civitate remanserunt, ego vero  
 XIV, 105 interim feci quod potui, verbum enim dei multis multisque et  
 paucis hominibus frequenter predicavi. Multitudo autem mulierum  
 divitum et nobilium signum crucis recepit: cives michi equos  
 abstulerunt, et ego uxores eorum cruce signavi. Adeo enim ferventes  
 155 et devote erant, quod vix a summo mane usque ad noctem permitte-  
 bant me quiescere, vel ut aliquod verbum edificationis a me audirent,  
 vel ut confessiones suas facerent. Postquam autem cives ab exercitu  
 reversi sunt, equos meos michi reddiderunt, et invenientes mulieres  
 cum illis signum crucis accepisse, postquam verbum predicationis  
 160 audierunt signum crucis cum magno fervore et desiderio receperunt.  
 Moram autem feci in civitate Ianuensi per totum mensem Septem-  
 bris et frequenter verbum predicationis dominicis et festis diebus  
 populo civitatis predicavi; licet autem ydionia illorum non novis-  
 sem, multa tamen milia hominum ad dominum recepto signo  
 165 crucis conversa sunt. Sunt autem homines illi potentes et divites  
 et strenui in armis et bellicosi, habentes copiam navium et galearum  
 optimarum, nautas habentes peritos qui viam in mari noverunt  
 et in terram Sarracenorum pro mercimoniis frequenter perrexerunt,  
 nec credo quod sit aliqua civitas, que tantum possit iuvare ad  
 170 suc<cur>sum terre sancte. Et quoniam tarde ab exercitu redie-  
 runt, mense Octobris circa festum sancti Michaelis mare cum sociis  
 meis intravi committens me deo et mari hiemali et fluctibus pro-  
 cellosis, sicut mos est illius temporis. Homines autem illius civitatis  
 naves habent fortissimas et magne quantitatis, unde tempore

## G.

159 recepisse coniecerim, cf. adn. cr. ad II, 100. 169 aliqua, i. q. aliqua alia  
 (cf. J. B. Hofmann, *Syntax*, p. 483; *Löffstedt, Beiträge z. Kenntnis d. spätern  
 Latinität* p. 115 sqq.); non igitur necesse est addere alia (IV, 93 et V, 270, ubi  
 aliqui alius invenitur, praecedit vel). 170 suc<cur>sum Rösricht.

145 linteamina] des voiles, cf. II, 94 et 95: linteamina nostra] nos voiles,  
 c.-à-d. toutes les voiles, amenées à cause de la tempête. 153-154 cf. sur  
 VI, 222. 171 La fête de saint Michel tombe le 29 septembre: Jacques  
 de Vitry parle donc des premiers jours d'octobre.

- 175 hiemali consueverunt transfretare eo, quod tali tempore victualia in navi non facile corrumpuntur nec aqua sicut estivo tempore in navi putrescit nec oportet eos pro defectu ventorum et maris pigris in mari diu commorari. Conduxi autem novam, que nunquam mare transierat, recenter precio IIII milium librarum fabricatam; malus autem navis, ut audiui, quingentarum librarum  
 180 precio emptus fuerat. Quinque loca michi et meis comparavi, scilicet quartam partem castelli superioris, in qua manducarem et in libris meis studerem et de die, nisi cum tempestas esset in mari, manerem; conduxi unam cameram, in qua cum sociis meis de nocte  
 185 dormirem, conduxi aliam cameram, in qua vestimenta mea reponerem et victualia michi per septimanam necessaria collocarem, conduxi aliam cameram, in qua servi mei iacerent et cibum michi prepararent, conduxi locum alium, in quo equi mei, quos transire feci, reponerentur. In sentina vero navis vinum meum et biscoctum  
 190 et carnes et alia fere ad tres menses victui meo sufficientia collocari feci. Navem autem sanus et incolumis cum sociis meis et rebus meis salvus ingressus sum; vos autem instanter orate pro me et pro meis, ut deus perducatur nos ad portum Acconensis civitatis, et inde ad po<r>tum eterne beatitudinis.

R  
XIV. 106

## G.

178 novam (navem scilicet, de navibus enim agitur) navem coni. St. 194  
 po<r>tum St.

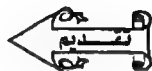
190 victui meo sufficientia] cf. Prov. 30, 8. 191 Cf. II, 24-25 et V, 86-87 (cf. Tobie 8, 15). 192-193 Cf. II, 446; IV, 208; VI, 230.





## الخطاب الأول

كتب جاك دي فيترى الخطاب الأول وهو على متن سفينة في ميناء جنوة في أكتوبر عام ١٢١٦م قبل أن يرحل إلى الشرق



كتب جاك دي فيترى الخطاب الأول وهو في ميناء "جنوة" الإيطالي في الأول من أكتوبر عام ١٢١٦م ، وبعث به إلى باريس بعد وفاة البابا "إنوسنت الثالث" في ١٧ أكتوبر ١٢١٦م.

والخطاب الأول في مجمله عبارة عن عظات جاك دي فيترى إلى الشعوب المسيحية في مختلف أنحاء أوروبا خاصة المناطق التي زارها أثناء رحلته إلى الشرق مبنياً فيها تعاليم العقيدة الكاثوليكية التي تعرضت - من وجهة نظر جاك دي فيترى - إلى خروج العديد من المسيحيين على تعاليم العقيدة الكاثوليكية، ونصح جاك دي فيترى في هذا الخطاب البابا بضرورة عقد المجمع الكنسي وإصدار العديد من القواعد والقوانين الدقيقة مبنية في أسلوب سهل بسيط موضحة أصول وتعاليم الدين الصحيح حتى يفهمها البسطاء من الناس وبالتالي المحافظة على وحدة الكنيسة، ووحدة العالم المسيحي في الغرب الذي أوشك على التمزق والانحيار.

✠ خطاب جاك دي فيترى إلى البابا موعظاً تعاليم السيد المسيح وما يجب اتباعه ✠

وهكذا فإنه توجد فى السيد المسيح الرحمة الإلهية يجد الإنسان البلسم الشافى وسط الآلام والمشاعل المتعددة، بل ويحيا الإنسان فى سلام الرب الأبدى. وهذا ما يذكره أصدقائى دائماً بأنه يتم تقويم وتهذيب أرواحهم من خلال هذه القوة الروحية التى تتمثل فى قيام الصلاة التى تعمل على شفاء النفس البشرية التى تعاني من ظروف صعبة. وكنت دائماً ألاحظ "الاحظ" هذا المظهر على وجوه أصدقائى. وتم التركيز على ذلك فى الدروس التى كانت نتلى، ويعتبر ذلك وسيلة ناجحة لمقاومة المخاطر التى تحيط بالمرء. وكان الرسل ينادون بهذه البشارة فى أقوالهم، وهذا يتطلب ألا يكون الخادم للرب جشعاً مهتماً بالتعاليم الدينية النظرية فقط. فليس كما كان الشعب فى اليهودية تحت سلطان الشيطان إبليس. بل عليهم أن يحافظوا على العهد الجديد الذى أقامه السيد المسيح مع المؤمنين.

إن المضايقات التى نتعرض لها تجعل النفس مريضة ومثقلة بالهموم. وهى فى هذه الحالة تحتاج إلى العلاج الذى يذهب بتلك الأوجاع. وقد قدم لنا السيد المسيح مثال الزيت والخمر الذى يداوى الجروح الجسدية <sup>(١)</sup> مثلما حدث مع السامرى الصالح. فما هى إذن الطريقة المثلى التى نواجه بها هجمات إبليس علينا ؟.. إن الكتب المقدسة هى التى يعتمد عليها فى مثل هذه المضايقات.

لقد عانى الرب يسوع المسيح فى أيام تجسده على الأرض مثل هذه الآلام وشارك الإنسانية فى آلامهم، لكى يكون مثلاً يحتذى به لنا. ولكن الذى حدث أنه ظهرت فى الكنيسة بعد ذلك بدع مخالفة لأساس الدين "هرطقات" كادت أن تعصف بجسد الكنيسة مما حدا بالأساقفة إلى عقد مجامع كنيسة لمقاومة هذه البدع. وكانت

(١) تبجيل لوقا ، العهد الجديد ، الإصحاح العاشر

عمليات المقاومة تستلزم تأكيد الإيمان الصحيح فى كل مرة، وإصدار قوانين وتشريعات إيمانية فى محاولة لتحقيق الاستقرار داخل الكنيسة. وهذا ما حدث بالفعل مع البابا إنوسنت الثالث الذى كان يمثل رأس الكنيسة الكاثوليكية، وقد دعا إلى عقد مجمع كنسى لتثبيت الآراء والأفكار الدينية السليمة. وكانت القرارات التى صدرت عن هذه المجمع محددة وثامة بشكل واضح وجلى، بحيث لا يسمح فى المستقبل تكرار لهذه الأعمال التى ترمى إلى تمزيق جسد الكنيسة. إن صياغة القرارات فى المجمع الكنسية يجب أن تتمتد بدقة المعنى وسهولة وبساطة العبارات فى شكل صحيح لغوياً، بحيث يسهل انتشارها فى الأماكن المختلفة التى تتواجد بها الكنائس.

وحيث أن الآراء تختلف فى الشرق عن الغرب، وأى جهة أخرى تحاول فرض العقيدة الخاصة بها، فإنه قد لزم التأكى فى صياغة العبارات فى منطقة الأودية، كما فى مناطق مملكة فرنسا.

فوجب دائماً التزام الدقة والدفاع عن الصحيح من الدين. وهذا ما فعله 'هونوريوس الثالث'، وقد تم ذلك فى طريقة وأسلوب استشارة الأصدقاء سواء فى العمل التبشيري أو فى المفاهيم الدينية المشتركة، وقد تشكلت فى هذا المجال، مجموعة عُرفت باسم "الأخوة والأخوات الصغار" وذلك لتحقيق تلك الأهداف.

وكانت هذه المجموعة هى النواة لكى تتمتع دالرتها لتضم أفراد آخرين يواصلون السعى لتحقيق تلك الأهداف. وكنت ألمس فيهم الغيرة والحماس للقيام بتلك الأعمال. لقد تحقق فيهم ما كان الكتاب المقدس يدعو إلى العمل به.

وهنا نرى تتابعاً جليلاً، حيث أن كل مجموعة كان ينبثق منها مجموعة أخرى، الأمر الذى يؤدى إلى كثرة العاملين فى همة ونشاط فى هذا المجال.

وهناك أماكن خالية — من هذه الجماعات — تحتاج إلى العمل، وعلينا أن نسعى إلى استضافة الأخوة وتقديم ما يحتاجون إليه من مساعدة ودعم. وقد وجدت أنه فى غضون عام واحد قد حدثت طفرة فى النشاط والخدمة، فوجدت جماعات فى لومبارديا وتوسكانيا وصقلية.



وكان الأخ "نيقولا" يتحرك في حماس لتلبية كل ما هو مطلوب للمساعدة، وكذلك تقديم الخدمة للفقراء في الأماكن المختلفة. وهكذا بدأت تظهر منافسة بين المناطق المختلفة في الخدمة.

والكل يسعى كي يحقق ما هو أفضل، وكنا نطوف بالسفينة من مكان لآخر، وكنا نرى الاستقبال الجيد وكرم الضيافة. ولمست مدى حاجة الناس لتقديم العون لهم روحياً وجسدياً. نعم إن روح الله تمدنا وتمنحنا قوة وأسلحة تتفوق على السيوف والرماح، وقد حدث ذلك في شهر أكتوبر قرب عيد الملاك ميخائيل، حيث ثار البحر وهاج وأصبحنا في مهب الريح، وكنا نفقد كل أمل للنجاة والرجاء لولا مساندة الرب لنا.

وفي أثناء ذلك كنت أتساءل، هل العيب في السفينة التي كانت سينة ؟ أم أن الرياح كانت من القسوة بحيث كادت أن تطيح بالسفينة ؟ ولكن فخلت إلى حجرتي، أتابع دراساتي في الكتب التي كانت في حوزتي، وكان الطعام والحاجيات الأخرى في غرفة ثانية بالسفينة، وكنا نشكر الرب على كل الأحوال، ذلك أن الشيء والزيادة القليل يكفي المرء إذا كان الرب يملأ قلبه وهو يتطلع إلى الأمجاد السماوية التي تعوض كل ما يفتقده المرء هنا في هذه الأرض.

❖ **هنا ينتهي الخطاب الأول** ❖

~~~~~

الخطبة الثانية

II

a] [Viris venerabilibus et] in Christo karissimjs magistrjs Parisien[sibus] [± 51 —] [Guillelmo du Pont des Arches et Radulfo de Namuco et Alexandro de Corco[n] et Philippo Noviomensi archidiacono I(acobus), divina permittente misericordia Acconensis ecclesie minister humilis, sancte terre promissionis [domini] cum [± 7 —] effectu subvenire.

II
XIV, 106

b] Domne Ligardi de sancto Trudone, amice sue spiritualissime, et conventui de Awiria I(acobus), divina miseratione Acconensis ecclesie minister humilis, ascendere *de virtute in virtutem*, donec
10 videant *deum deorum in Syon*.

Mentes quas spiritus sanctus coniunxit, locorum diversitas non disiungit: que autem caritatis sigillo mentibus amicorum imprimentur, non facile temporis intervallo a memoria labuntur. *Testis autem michi est dominus*, pro cuius gratia continuis laboribus
13 affligor, pro cuius nomine cotidianis expositus sum periculis, *quod sine intermissione memoriam vestri facio*, ardenti desiderio et intenta affectione cupiens adhuc in hoc seculo vos videre; quod si deus aliter disposuerit, ipsum frequenter deprecor ut videam vos post mortem *in splendoribus sanctorum, in consilio iustorum et con-*
20 *gregatione*. Cupio autem quatinus, quamdiu vixeritis, recentem

1-6: B^o; 7-10: G; 11-20: B*G.

1-6 cf. p. 9-11. 11 coniungit G, cf. 258-259. 14 est michi deus B*. 17 hoc om. G, cf. comm. 19 in consilio iustorum om. B*. 20 quatinus om. G. recentem]retentam G.

1-6 Voir p. 9-11. 7 Ligardi] voir p. 64: spiritualissime (specialissime StR, voir p. 12): Galates 6, 1. 9-10 Ps. 53, 8. 11-12 Cf. 258-259. 14-16 Rom. 1, 9. 17 in hoc seculo (B^o): dans ce monde (temporel, cf. I, 66-67), cf. Crane, *Exempla*, 117, 4-5: *tu scis quia frater noster mortuus est et iam non est in hoc seculo*; 124, 8-9: *laborare igitur oportet in hoc seculo qui quiescere vult in alio*; 188, 17-18: *laboremus igitur in hoc seculo, ut quiescamus et fructum colligamus in alio*. — in seculo (G): dans le monde, d'où se retirent ceux qui embrassent la vie religieuse, cf. Crane, *Exempla*, 49, 1-2: *de duobus germanis pueris auditi, cum unus positus esset in claustro et alius in seculo remansisset*. . . : 52, 1-2: *auditi de quodam magno clerico qui fuerat advocatus in seculo*; 59, 1-2: (moniales) *delicatus vivere voluit in claustro quam mulieres seculares vivant in seculo*, cf. I, 108-109, 113. 19 in splendoribus sanctorum? Ps. 109, 3. 19-20 Ps. 110, 1.



- parvitat^{is} mee memoriam habeatis, sicut vestri semper memoriam habeo, et per litteras, quando nuntium habere valeo, me ipsum memorie vestre libenter ingero et de statu meo vos certificare desidero. No^overit igitur dilectio vestra quod divino munere sanus sum
- 25 et incolumis et omnes qui mecum sunt, per gratiam dei, et hoc idem de vobis audire desidero. Postquam autem transfretaturi recessimus a portu Ianuensis civitatis, per quinque ebdomadas in mari laboravimus multaque adversa in variis locis sustinuimus. Cum autem transissemus Sardiniam, invenimus quandam insulam mari undique
- 30 circumdatam, in qua quidam heremita absque aliquo socio vel ministro | inter serpentes et feras solus habitabat; nunquam autem panem manducabat, nisi a transeuntibus semel vel bis in anno eidem biscoctum traderetur. Ante autem quam transiremus conquirebatur quod iam hiems appropinquabat et nullus adhuc
- 35 transierat qui ei panem tribuisset; cui responsum est a Spiritu sancto, quod in proximo naves transire deberent, a quibus biscoctum et alia necessaria recepturus erat. Cum autem naves nostre iuxta insulam predicti heremite transirent, continuo cum celeri cursu transivimus nullo modo ad insulam respiciendo vel heremitam
- 40 visitando. Cum autem insulam per multa miliaria transissemus, ventus vehemens contra nos subito insurrexit, qui nos et naves nostras cum impetu ad insulam heremite reduxit. Videns autem adventum nostrum heremita venit ad nos ^{senex} et ^{plenus dierum} et obtulit michi caules et racemos, nos autem iuxta cellam eius
- 45 vaccas silvestres et arietes invenimus et cervorum multitudinem, ex quibus XIII accepimus et manducavimus; panem autem et oleum et quedam vestimenta relinquentes heremite recessimus. Non longo autem tempore post accidit nobis magnum et valde metuendum periculum: quedam enim navis impetu magno supra
- 50 navem nostram ferebatur, quam si collidendo attingeret, vix

B*G.

22-24 habeo, et de statu meo vos certificare desidero per litteras, quando nuntium habere valeo, me ipsum memorie vestre libenter represento G. 25 dei gratiam G. cf. adm. (comm.) ad 183-184. 26 transfretaturi? transfretavi et G. 27 Ianue G. mare B*G, corr. St. 30 aliquo om. B*. 38 cum] et B*. 39-40 vel ... visitando om. B*. 41 subito om. B*, cf. 82-83. 41-42 nos ... cum impetu] nos cum impetu... G. 43 ad nos venit B*, cf. 313, 381. 46 XIII^{imo} B*. 49 autem G. 50 attingeret B*.

24-25 Cf. I, 191. 29-30 L'île de Monte-Christo? (St). 41-42 subito ... cum impetu] cf. V, 110. 43 Genèse 25, 8.

- possemus evadere quin utraque vel altera frangeretur; nec divertere poteramus ad partem oppositam propter scopulum imminentem; necesse tamen erat vel navis alterius impetum sustinere vel ad saxum navem nostram allidere. Tunc *clamor magnus factus est*
- 55 omnium, et lacrimae plorantium et peccata sua confitentium in utraque navi audiebantur. Ex una autem navi mutuo prosiliebant in aliam, secundum quod unus navem alteram credebat fortiorem et alius aliam; alii vestimenta sua deponebant et quod habebant in auro et argento, si forte natando evadere possent, sibi alligabant.
- 60 Quidam autem nautarum michi compatientes et deferentes ut navem parvam, que magne navi alligata erat, intrarem suadebant, ego vero nullo modo acquievi propter malum exemplum, sed cum aliis volui suscipere commune periculum. *Dominus autem afflictionem nostram respexit*: nam cum navem nos comprimentem
- 65 lanceis et sustibus a nobis repelleremus, neutra navium, licet inter se colliderentur, confracta est. Ex violentia autem collisionis navis nostra, ad sinistram partem aliquantulum obliquata, ad dextram partem saxum reliquit, navis vero reliqua cum iam vicina scopulo confringenda et submergenda foret, submissis velis et proiectis
- 70 anchoris substitit et quasi miraculose per gratiam dei evasit illesa. Quidam autem ex navi predicta aurum et argentum suum in navem nostram proiecerunt. Inde autem navigantes cum ventum valde contrarium haberemus, iuxta aliam insulam portum, prout poterimus, recepimus, ubi fere per quindecim dies moram fecimus.
- 75 Cum autem continue tempus contrarium haberemus et hiems valde appropinquaret, iam de transitu fere desperebamus timentes valde ne in alia insula oporteret nos hiemare. Dominus autem navis nostre volebat omnes pauperes de navi nostra eicere et in insula

B*G.

55 *all. et om. G.* 56 *audiebatur G.* 58 *aliam om. G.* disponebant G. 59 *in argento et auro G (cf. adn. cr. ad 71, 194-195), sed aurum et argentum VI, 128-129; Crane, Exempla, 9, 8; 47, 15; 82, 11; 149, 3-4; 170, 4; 192, 5; BO, 104S, 21.* evadere possent natando G. 61 *parvam navem G, sed cf. 303, cf. I, 3.* 64 *nostram om. G.* aspexit B*. comprimentem nos G, cf. 113, 314. 67 *obliquata est aliquantulum B*, cf. I, 46; II, 297-300 (comm.); Crane, Exempla, 312, 9-10; aliquantulum remoti.* 70 *substitit cenicci* substitit B*, substituit G. *ilesea evasit B*, cf. Crane, Exempla, SS (p. 40, 15-16); evasit illesus; 145, 8; illesus evasit.* 71 *argentum et aurum G, cf. adn. cr. ad 59.* 74 *ubi fere* autem fere B*, *marginis paulum reciso: fortasse pr. ubi autem fere.* 75 *autem om. G.* 75-76 *haberemus, hiems valde appropinquabat B*.* 78 *nostrae om. B*.* insulam G.

54 Actes 23, 9. 63-64 Genèse 31, 42; Exode 4, 31, cf. V, 29; VII, 145-146.

- relinquere eo, quod victualium sufficientiam non habebat; ego
 84 vero valde supplicabam ei quod adhuc misericordiam dei expectaret et pauperes mortis periculo non exponeret. Dum autem nullo modo vellet adquiescere, dominus immisit nobis subito tempestatem validam ita, quod quindecim anchore, quas in mare proiecinus, vix possent navem nostram retinere quin periremus.
 85 Prora autem navis nostre nunc attollebatur ad sidera, nunc in abissum mergebatur. Hec autem tempestas per duos dies et duas noctes continue duravit ita, quod quidam ex nostris, dum ventorum impetum vix possent sustinere, castellum navis nostre deponentes confregerunt, quidam autem pre timore mortis non manducabant
 90 neque bibebant. Ego vero nichil coctum manducavi: nullus enim in navi nostra audebat ignem accendere. Quando vero bibebam, cium una manu tenebam, altera vero ne caderem vel cium effunderem me fortiter detinebam. Quoniam vero timebamus ne aqua nobis deliceret, linteamina nostra ad pluviam extendebamus ita,
 95 quod duplex commodum reportabamus: dum linteamina nostra ablueremus et aquam ablutionis biberemus. Hec autem tempestas a mentibus plurimorum peccatorum eiecit tempestatem: multi enim cum lacrimis ad confessionem venerunt, qui per multos annos in peccatis permanserant. Mercatores autem et potentes signum
 100 crucis de manu mea receperunt, quibus *ad dominum clamantibus* immisit nobis dominus aeris serenitatem, et venti commodum nobis a parte posteriori tribuit *auxilium post tribulationem* ita, quod [paucis diebus iuxta Siciliam et Creten navigantes, relinquentes a parte sinistra Sillam et Caribdim, a dextra vero parte
 105 Melitam, in qua beatus Paulus confracta nave sua hiemavit et dum sarmenta colligeret serpens eum momordit, salutantes insulam Cypri, per pisces maximos, qui sequebantur et precedebant navem

B*G.

79 habebant G. 79-80 ego vero G, cf. I, 34, 130; II, 62, 90, 149 164, 218, cf. adu. cr. ad 240] ego autem B*, cf. I, 65-66 et 71. 80 ei s dei om. G. 81 autem] autem dominus B*, cf. 77. 82 dominus noster subito immisit (om. nobis *marginis paucum reciso*) B*, cf. 101. 83 nostre navis G. ad om. B*. in] ad G, cf. ad sidera. 87 continue om. B*, sed cf. 75. de nostris G. 88 navis nostre om. G. 90 nec G. 91 ex navi (om. nostra) G. ignem [audeba]t accendere B*. 92 vero om. G. 97 eiecit G. 99 permanserunt G. 100 acceperunt B*, cf. I, 153, 160, 164-165; II, 166, 233 (ubi vide adn. cr.); cf. adn. cr. ad I, 159. 105 Melitam *correz]* Mitilenam B*, Mitellenam G, cf. p. 14.

83-86 Cf. Ps. 106, 26; Virgile, *Aen.* I, 103-104. 100 (IV, 145; V, 132; VII, 148-149) Cf. Ps. 3, 5; 76, 2; 141, 2. 101 Ps. 59, 13; 107, 13 (*auxilium de tribulatione*). 105-106 Actes 28, 1-6.

nostram et circa eam ludendo saliebant, intellexerunt naute quod non multum a terra remoti essemus. Sexta autem feria post festum .10 Omnium Sanctorum ad portum civitatis Acconensis applicuimus. Vniversa autem civitas obviam nobis occurrens cum gaudio magno nos suscepit; inveni autem civitatem Acconensem tanquam monstrum et beluam IX capita sibi adinvicem repugnantia habentem. Erant ibi Iacobite cum archiepiscopo suo, qui more Iudeorum
 115 parvulos suos circumcidebant et nulli preter deo peccata sua in confessione aperiebant. Alii vero ex ipsis non circumcidebantur et sacerdotibus peccata sua confitebantur, sed uno digito tam isti quam illi signum crucis facientes se signabant. Feci autem sermonem ad eos in ecclesia sua per interpretem qui sciebat loqui lingua
 120 Sarracenorum, ostendens eis quod, si circumcidebantur, Christus eis nichil proficiebat, et quod a lepra peccatorum per sacerdotes, quorum officium est *inter lepram et lepram* discernere, curandi essent, quemadmodum dicit dominus in evangelio: *ite et ostendite vos sacerdotibus*. Ipsi vero, verbo dei audito quod audire non con-
 125 sueverant, valde per gratiam dei sunt compuncti ita, quod michi firmiter promiserunt quod de cetero se non circumciderent et confessiones suas sacerdotibus de cetero facerent. Quod autem se digito uno signabant quasi dissimulando sustinui propter unitatem

B^oG.

108 intellexerant autem naute G. 113 IX] et B^o. capita habentem sibi invicem (cf. IV, 129) repugnantia G. cf. 64, 314. 114 suo archiepiscopo B^o. 115 suos om. G. deum G. 121 nichil eis B^o. 126 firmiter om. B^o, cf. 153-154.

109-110 le vendredi, 4 novembre 1216. 113 Le monstre de l'Apocalypse (12, 3) compte sept têtes; mais la leçon IX capita (voir l'apparat critique) est probablement correcte, cf. les groupes énumérés lignes 114 (Iacobite), 126 (Suriani), 155-156 (Nesloriani, Georgiani et Armeni), 158-163 (le groupe des 3 communautés italiennes), 169 (les Poulains), 176-179 (les homines extranei) et 179-183 (les stigmatisés scribe et pharisei). Lignes 186-187 reprennent l'image de la monstruosa civitas. Si on considérait les Italiens des lignes 158-163, non comme un seul groupe, mais comme trois groupes comme les hérétiques de 155-156, le chiffre IX serait une corruption pour XI. 117-118 Voir sur 127-133. 120-121 Cf. Galates 5, 2. 122-124 *l'cunera sua medicis spiritalibus abscondentes, quorum officium om. BO et MO) est inter lepram et lepram* (Deut. 17, 8; le même texte est cité chez Greven, sermo, p. 43, 10) discernere ... unde dominus in evangelio (Luc. 17, 14) ait leprosis: ostendite vos sacerdotibus (BO, 1091, 56-1092, 2). 125-126 Cf. 153-154. 127-133 Cf. BO, 1092, 43-48: Cum autem quererem quare uno tantum digito se signarent, respondabant quod unitate digiti unam divinam essentiam, tribus autem partibus Trinitatem designabant, in nomine Trinitatis et Unitatis signaculo crucis sese munientes. Greci tamen et Suriani eis (= Iacobitis) obieciunt quod propter unitatem nature quam in Christo credebant, uno tantum digito se signarent.

Essentie et trinitatem Persone: nam in uno digito tres sunt partes,
 130 sicut et nos tribus digitis in una manu coniunctis nos signamus
 in nomine Trinitatis et Vnitatis. Quidam autem michi postea
 secreto significavit quod ideo se uno digito signant, quod tantum
 in Christo unam esse voluntatem credunt, cum tamen alia sit
 voluntas divinitatis, alia humanitatis, quarum una alii subicitur,
 135 sicut scriptum est in evangelio: *non sicut ego volo, sed sicut tu vis*.
 Inveni preterea Surianos homines, proditores, valde corruptos:
 nam inter Sarracenos enutriti | pravis eorum moribus conformaban-
 tur et secreta christianitatis quidam eorum precio subversi revela-
 bant Sarracenis, et quia de pane fermentato more Grecorum con-
 140 ficiunt sacramenta, adeo nostra contempnebant sacramenta, que
 de pane azimo conficimus, quod ea nolebant adorare vel capita ad
 illa inclinare cum a sacerdotibus nostris Corpus domini ferebatur
 infirmis, immo super altaria nostra celebrare nolebant nisi prius
 ea abluissent. Sacerdotes eorum, licet coronas haberent, more tamen
 145 laicorum comas nutriebant et uxores more Grecorum ducebant,
 laicis autem suis tercias nuptias non concedebant. Filie eorum

R
 V, 110

B*G.

129 sont tres G. 131 in om. B*. tamen B*. michi om. G. 132
 uno digito se G. 133 unam voluntatem esse G. cf. 401-402 et 431. 137
 nutriti G. 137-138 confirmabantur, ut videtur, G. 142-143 infirmis fere-
 batur B*. 144 coronam habent B*, cf. BO, 1095, 14 (de Georgianis):
 clerici eorum rotundas habent coronas, laici vero quadratas. 145 co-
 mas B*. 146 non contradicebant G.

133 Mathieu 26, 39. 136 Suriani ... more Grecorum (cf. 431) ... dolosi
 ... proditores (BO, 1089, 36-40). 137-138 Sacra christianorum, pro mo-
 dico pretio factis exploratores, nuntiant Sarracenis (BO, 1089, 42-43). 139
 more Grecorum] Consuetudines autem et institutiones Grecorum in divinis
 officiis et in aliis spiritualibus Suriani penitus odsercant ... habent enim pro-
 prios episcopos Greco (BO, 1090, 12-16). 140-144 Cum igitur tam Greci
 quam Suriani ... omnes Latinos excommunicatos repulsi, altaria super que
 Latini celebraverunt divina, priusquam in ipsis celebrent, abluere consueverunt.
 Sacramentis etiam nostris nullam exhibent reverentiam nec assurgere volunt
 quando corpus domini ad visitandos infirmos nostri dederunt sacerdotibus (BO,
 1090, 56-1091, 3). 144 Voir l'apparat critique. 146 Quarta autem nuptias
 Suriani sicut et Greci non admittunt (BO, 1091, 22) et Sanudo (Bongars,
 Gesta dei per Francos, II, 182, 17). Impossible de dire si, dans cette lettre,
 Jacques de Vitry ait vraiment écrit tercias et non quartas, comme plus tard
 dans l'*Historia Orientalis* (texte repris par Sanudo, *Secreta Fidelium Crucis*,
 vers 1321; cf. 157-158); cf. sur 253-254. Mais il est possible que les deux mots
 proviennent de notre auteur, la question de la trigamie et de la tétragamie
 successive étant assez compliquée, voir *Dictionnaire de théol. cath.*, II (1932),
 879-883 (Valton); IX (1937), 2334-2335 (Jugiel): „Les Coptes et les Syriens tol-
 lèrent les troisièmes nocces, mais imposent une pénitence aux conjoints... Quant

II, 147-162

semper velato capite incedebant ita, quod nullus poterat eas cuius-
modi essent agnoscere, non etiam sponsi earum donec eas ducerent
et sibi matrimonio copularent. Ego vero ad mandatum episcopi
150 sui tam viros quam mulieres congregari feci et per interpretem
verbum vite eis proposui; ipsi vero per gratiam dei adeo sunt com-
puncti, quod tam episcopus eorum quam subditi michi obedientiam
fecerunt et quod secundum consilium meum viverent michi firmiter
promiserunt. Quidam autem eorum, ut audivi, in die Epiphanie
155 singulis annis se baptizabant. Inveni autem Nestorianos, Georgianos
et Armenos, et quia episcopos vel aliud capud non habebant nondum
eos potui congregare. Armeni autem de pane azimo conficiunt, sed
aquam cum vino in sacramento non ponunt. Inveni preterea homines
ecclesie nostre non obedientes, sed auctoritate sua capellanos in
160 capellis suis ponebant et impune quod libebat faciebant et excom-
municationis sententiam a nobis latam vilipendebant, videlicet
commune Ianuensium et commune Pisanorum et commune Vene-

B*G.

147 semper velato capite] velato capite semper G. ita, quod, cf. I, 13] et G.
cas om. G. 148 nec et G. eorum G. traducerent (cf. Ruodlieb I,
482: Si libet uxorem traducere nobiliorem...) G. 150 congregare G.
151 proposui eis B*, cf. 165, 310 (sed cf. 222, cf. 229). dei om. G. 156
et om. G. Armenos scripsi coll. 157: BO, 677, 7; 1094, 18] Armenos
B*G. aliud] aliquod G. 157 potui eos G. aggregare B*. 158
preterea] autem (cf. 153) B*, cf. 136, 169, 176, adu. cr. ad 337.

à la tétragamie, elle a toujours été interdite sauf chez les Ethiopiens", etc.;
XIV (1941), 3063 (Ziadé): „La trigamie est considérée comme contraire
aux lois ... mais la tétragamie est regardée comme exécrable: le mariage
ainsi contracté est considéré comme nul". (146-)147 Tam ipsos (uxores)
quans filias suas linteaminibus nudique ne videri possint involuentes (BO,
1039, 46-47). 151 Jean 6, 69. 153-154 Cf. 123-126. 157-158 aquam autem
cum vino in sacramento sanguinis Christi non ponunt (BO, 1094, 39-40).
— conficiunt] Sanudo (Bongars, *Gesta dei per Francos*, II), 181, 16. 158-
163 Cf. la lettre du pape Honorius III Abbatibus, prioribus, archiepiscopis,
prepositis, presbiteris et aliis clericis communitatum Ianuensium, Venetorum
et Pisanorum ac aliis ecclesiarum prelati in civitate Acconensi morantibus
(mars 1231, Pressuti 3218, Archives du Vatican, 11: V, 491, f. 98^v-99):
Sane venerabilis frater noster Acconensis episcopus suam ad nos querimoniam
destinavit, quod quam plures castrum danegantes sibi tamquam diocessano et
ordinario suo debitam obedientiam et reverentiam exhibere ... hoc solum in
excusationem frivolam pretendendo quod in civitate Acconensi tanquam hospites
et exiles commorantur, cum ipsos subesse alicui episcopo sit necesse... Voir
aussi l'appendice, p. 154-155. 160-161 et spiritualis gladii iustitiam
terribilem vilipendentes contemnebant (BO, 1038, 4-5). 162-163 illi autem
qui de Ianuensium, Pisanorum et Venetorum preclaris civitatibus et de aliis

R
XIV, 112

- ticorum. Hii autem nunquam vel raro sermonem dei audiebant, ad sermonem etiam meum dedignabantur venire; ego vero ad eos
 165 ivi et eis ante domos suas in vico verbum dei proposui, qui devote verbum dei suscipientes signum crucis facta confessione receperunt et extunc verbum dei diebus dominicis extra civitatem, ubi predicare consuevi, *corde contrito et humiliato* libenter audierunt. Inveni preterea homines de terra natos qui *Pullani*, quod gallice
 170 dicitur *Poulains*, nuncupantur: hii soli ad curam et ad iurisdictionem meam se pertinere fatebantur, vix autem inveniebatur *unus de mille* qui matrimonium suum legitime vellet custodire: non enim fornicationem | credebant esse mortale peccatum. Erant autem delicate <e>nutriti a pueritia et carnis voluptatibus penitus
 175 dediti, verbum autem dei audire non consueverant, sed quasi pro nichilo reputabant. Inveni preterea homines extraneos, qui pro diversis et immensis flagitiis de partibus suis quasi desperati confugerant, qui timore domini penitus abiecto nephariis operibus et perniciosis exemplis totam civitatem corrumpebant. Vltimum
 180 et omnibus aliis deterius genus hominum et amplius obduratum

B*G.

163 nunquam vel raro *scripsi coll. IV, 98-99 et Crane, 94* (p. 44, 4): raro enim vel nunquam] nunquam B*, vel unquam vel raro G. dei verbum (cf. 165, 166) G. 165 de voto G. 167 dei] domini B*, cf. adn. ad 183-184. 169 Pullani, cf. BO, 1088, 23-1089, 21, passim] Pulani G. 170 Poulains] Polani B*G, cf. p. 65. 170-172 ad iurisdictionem (cf. p. 64) et ad curam nostram (om. 2e) G. 171-172 autem unus de mille inveniebatur G, cf. I, 42-43 172 servare B*, cf. 414-419. 173 peccatum mortale G, cf. BO, 1091, 24-25: subdiaconatum sacrum ordinem non reputant. 174 <e>nutriti *scripsi coll. 137* (cf. opp. cr.), cf. BO, 1088, 31 (de Pullanis): in deliciis enutriti. 177-178 confugerunt B*.

Italiae partibus in Syria commemorantur, quorum patres et predecessores de Christi inimicis gloriose triumphantes immortale nomen et eternam coronam sibi acquisierunt, valde formidabiles existerant Sarracenis, et cessante invidia et insatiabili avaritia pugnas et immortales discordias inter se non habuerunt. Quoniam autem frequentius et libentius contra se invicem quam contra perfidam paganorum gentem preliantur, negotiationibus vero et mercimoniis plusquam Christi preliis implicantur, letificant et securos reddunt inimicos nostros, qui parentis eorum, viros pugnaces et strenuos, quondam maxime formidabant (BO, 1089, 21-30). 166 Ps. 50, 19. 169 de terra natos] des Francs créoles: BO, 1086, 14-15: Pullani autem dicuntur qui post predictam terre sancte liberationem ex ea oriundi exilerunt; BO, 1088, 31-35: in deliciis enutriti, molles et effeminati, balneis plusquam preliis assueti, immunditie et luxurie dediti . . . quam desides et ignavos, quam pusillanimes et timidos contra Christi inimicos se exhibuerint, nemo dubitat qui quantum a Sarracenis participandatur non ignorat. 170 Poulains] Voir p. 65. iurisdictionem] Voir p. 64. 171-172 Voir sur I, 42-43.

et excecatum scribas et phariseos inveni, qui tantum lac et lanam de ovibus recipientes et de animabus non curantes verbo et exemplo laicos corrumpebant: hii soli compunctis aliis et ad dominum conversis verbo dei et omni bono resistebant *ut adimpleretur quod*
 185 *scriptum est: publicani et meretrices precedent vos in regno celorum.* Cum autem monstruosam civitatem ingressus fuisset et eam innumeris flagitiis et iniquitatibus repletam invenissem, mente valde confusus sum, *timor et tremor venerunt super me et conplexerunt me tenebre*, quia tam grave et inportabile onus susceperam et pro
 190 his districto Iudici redditurus eram rationem. Fiebant autem singulis fere diebus et noctibus homicidia tam manifesta quam occulta: viri de nocte suas iugulabant uxores cum eis displicerent, mulieres ex antiqua consuetudine venenis et potionibus maritos suos ut aliis nuberent perimebant. Erant in civitate homines toxicum et
 195 venenum vendentes, vix aliquis alii se credebatur, *et inimici hominis domestici eius.* Quidam autem nobis confessus est quod quedam animalia in domo sua nutriebat, ex quorum fimo potiones ita artificiose temperabat, quod qui vellet inimicum perimere inveniebat pro voluntate sua unde posset eum occidere, ita tamen, quod
 200 langueret per annum, si vellet, vel per mensem vel, si vellet mortem accelerare, non viveret nisi per diem. Erat autem prostibulis passim repleta civitas: nam quia meretrices carius hospitium quam alii conducebant, non solum laici, sed persone ecclesiastice et quidam regulares in publicis scortis hospitium suum per totam civitatem
 205 locabant. Quis enumerare posset omnia alterius Babilonis

B^oG.

181 obcecatum B^o. 182 *pr.* et *om.* G. 183 deum B^o. 184 dei scripti; domini B^oG. *cf. comm.* 185 meretricii G. *precedunt* G.
 190 iudicii] die iudicii G (*cf.* 414: in die iudicii), *sed cf.* Crane, *Exempla*, 42 (p. 17, 8) et 134. 23: districti iudicii. 190-191 fere singulis B^o.
 194-195 venenum et toxicum G, *cf. adn. cr. ad* 59. 197-198 ita potiones artifice B^o. 202 civitas passim repleta B^o. 203 omnia *om.* G.

181 *cf.* Mathieu 23, 13-15. 181-182 *Pastores semetipsos pascunt, lanam et lac ex ovibus querentes* (*cf.* Ezechiel 34, 3), *de animabus autem non curantes* (BO, 1097, 27-28); *cf.* Crane, *Exempla*, 12, 3. 183-184 La correction s'impose: Jacques de Vitry, dans ses lettres, écrit toujours *gratia dei et verbum (sermo) dei*, mais *ad dominum converti* (I, 164-165; II, 216 (voir l'app. cr.), 244, 342-343, 445-446) ou *converti ad dominum* (II, 253, 396-397). 184-185 *ut adimpleretur quod scriptum est*] Mathieu 1, 21 (dictum), *et passim*. 185 Mathieu 21, 31. 188-189 Ps. 34, 6. 189 Mathieu 23, 4. 193-196 Mathieu 10, 36. 204 in ... scortis] voir p. 33, a. 1. 205 Babilonis; *cf.* VI, 281 et p. 63, n. 3.

R
XIV, 112

flagicia, in qua christiani servis suis Sarracenis baptismum negabant, licet ipsi ! Sarraceni instantes et cum lacrimis postularent ? Dicebant enim domini eorum, *in quorum consilio non veniat anima mea: 'si isti christiani fuerint, non ita pro voluntate nostra eos angariare*
 210 *poterimus'*. In tanta et tam miserabili confusione positus ad unicum confugi et singulare divine pietatis auxilium, *qui non vult mortem peccatoris, sed ut convertatur et vivat*. Et quoniam nescit tarda molimina spiritus sancti gratia, postquam verbum dei, *quod sanat universa*, libenter et cum desiderio audire ceperunt, ubi *super-*
 215 *habundaverat iniquitas, superhabundavit et gratia*: modico enim tempore ita ad dominum conversi sunt, quod diebus et noctibus non cessabant ad me cum lacrimis et gemitibus currere et peccata sua cum cordis contritione michi confiteri. Ego vero signum sancte crucis fere omnibus dedi iniungens eis ut arma et alia ad succursum
 220 sancte terre perinentia prepararent, mulieribus vero cruce signatis iniunxi ut secundum facultates suas ad opus exercitus de pecunia sua darent: nichilominus tamen iniunxi eis mediocrem pro peccatis suis penitentiam. Audientes autem quidam ex Sarracenis qualiter dominus operaretur, *ad baptismum convolverunt*, multi autem, ut
 225 asserabant, admoniti in sompnis vel a domino Iesu Christo vel a beata Virgine aut ab aliquo sancto ut ab errore Machometi ad Christi gratiam se transferrent. Dicebat enim eis, ut asserunt, beata Virgo, quod nisi christiani fierent, in proximo advenientibus christianis et victoriam optinentibus misera morte perirent. Do-
 230 minus autem occasione Acconensis civitatis *aperuit michi hostium*

B^oG.

206 supplicia G. sarracenis servis (om. suis) G. 208 enim om. B^o.
 210 et] et in B^o positus om. G. 211 et om. G. 212 peccatorum
 ... convertantur et vivant G. tarda om. G. 214 libenter uni-
 versa G. ubi] ut ubi G. 214-215 superhabundavit ... superhabun-
 dat B^o. 215 enim] autem G. 216 conversi sunt ad dominum G.
 218 michi om. B^o. 219 eis om. B^o, cf. 222. succurrendum G, cf.
 I, 170; II, 249 et adn. cr. ad 242. 221 secundum] per G. 223 autem
 om. B^o. 224 baptismum] baptisma B^o, cf. comm. 225 admoniti] qui mo-
 niti sunt B^o. all. a om. G. 226 aut ab] vel G. ut om. G. 227
 enim] autem B^o. 229 morte misera B^o. 230 Acconensis om. B^o

208-209 Genèse 49, 6. 210-211 Cf. I, 4-5. 211-212 Ezéchiel 33, 11.
 212-213 tarda molimina] cf. Alain de Lille, Anticlaudianus, I, 224: *nec morbi veteres molimina tarda requirunt*. 213-214 Sagesse 16, 12: (*sermo*) *qui sanat omnia*. 214-215 Rom. 5, 20 (*abundavit ... superabundavit*).
 224 ad baptismum convolverunt Sulpice-Sévère, Vie de saint Martin, III, 5 (CSEL, I, p. 114, 1). 230 occasione Acconensis civitatis] cf. occasione sym-
 boli dans la note sur 431-432. 230-231 I Cor. 16, 9; cf. 288-289.

magnum, nam residuum terre nostre, in qua christiani habitant, ad exemplum Acconensium desiderant verbum divine predicationis audire et recepto signo crucis ad defensionem terre sancte se et sua domino pro peccatis suis offerre, videlicet Tyrus et Baruth et Gibeiet
 235 et opidum quod dicitur Crac et Tortose et Margath et Album Castrum et Tripolis et Antiochia et insula Cypri, habens archiepiscopatum cum tribus episcopatibus, preterea Iaphe et Cesarea: hec sunt | civitates et opida que dominus nobis reliquit, et valde
 R
 XIV, 113 indigent predicatione. Sarraceni autem adventum peregrinorum
 240 valde metuunt, nos vero cum desiderio et exultatione expectamus *auxilium de sancto* et fidelium peregrinorum adventum oportum ad succursum terre sancte, ut *hereditas domini* ab impiis liberetur et in partibus orientalibus ecclesia dei reparetur et Sarraceni qui adhuc timore aliorum detinentur, ad dominum secure convertantur
 245 et christiani nostri qui in partibus Orientis sub paganorum dominio comprimuntur, liberentur. Credo autem, sicut multorum relatione didici, quod fere tot sunt christiani inter Sarracenos, quot sunt Sarraceni, qui cotidie cum lacrimis dei <ex>pectant auxilium et peregrinorum succursum. Ego vero terram promissionis, *terram*
 250 *desiderabilem* et sanctam, nondum intravi, licet civitas Acras non distet a loco habitationis Iesu Christi, ubi ipse conceptus et nutritus fuit et angelus Gabriel Virgini gaudium singulare adnunciavit,

231-247: B^oG; 247-252: G.

233 crucis signo G, cf. *adn. cr. ad 100.* terre sicut sc, ita sua G, cf. 297; (III, 42); V, 105, et Crane, *Exempla*, 133 (p. 60, 10): cruce signatorum qui se et sua dederunt domino. 234 suis om. B^o. pr. et om. G. 235 Crach G. 236-237 episcopatum G. 237 preterea om. B^o. 238 nobis dominos G. 240 vero] autem (cf. 79-80) B^o. 241 et fidelium... adventum oportum scripsi] et de (de om. B^o) fidelium... adventu (et G) op(ortuno) B^oG. 242 succurrendum (cf. *adn. cr. ad 219*) G. sancte terre B^o, cf. 5, 278; *ad* cf. I, 170; II, 233, 279; V, 102-103. 243 aliorum om. B^o. tenentur G. secure om. G. 247 Sarraceni desinit B^o. 248 <ex>pectant *corredi* coll. 250-251, 257-258, 376; VI, 179; VII, 150-151; spectant G. 250 *omn*s Acras nescio quid del. G.

231-232 residuum... desiderant, cf. 234-238] même construction I, 117; V, 131 et 241-245; VII, 209-210. 236-237 archiepiscopatum] Nicosie. 237 tribus episcopatibus] Famagouste, Limassol et Paphos. 241 Ps. 19, 3. 242 hereditas domini] Ps. 126, 3. 246-248 Inter Sarracenos non pauciores, ut dicitur, sunt christiani infidelibus coniuncti et eorum dominationi subiecti, quam sint ipsi Sarraceni (BO, 1093, 3-5); cf. 397-398. 249-250 Ps. 105, 24: Jérémie 3, 19. 250 civitas Acras] cf. le titre du ch. 25 du second livre de Foucher de Chartres: *De captione urbis Accon*, qui vulgo *Akra* dicitur

scilicet a Nazareth, nisi per octo miliaria, et a monte Carmeli, ubi
Elyas propheta vitam duxit heremiticam, nisi per tria miliaria,
255 quem respicio cum suspiriis quociens fenestram domus mee aperio.

Propter metum Saracenorum nondum loca sancta visitavi, sed
quasi habens aquam ad mentum nondum bibi, sed divinum expecto
subsidiū, quod mittet nobis in tempore oportuno. Sicut mentes
nostras vinculum caritatis Christi coniunxit, ita nomina nostra
260 litteris presentibus coniungere et vobis communiter scribere volui,
ut sit vobis commune gaudium de profectu meo et de meis defectibus
communis passio. Vos autem de statu vestro et de hiis, quibus
anima mea aliquam recipiat consolationem, rescribatis. Ego vero
vitam meam, donec veniat exercitus, sic ordinavi quod, summo
265 diluculo missa celebrata, peccatores recipio usque post meridiem,
demum, sumpto cibo cum magna difficultate — meum appetitum
manducandi et bibendi amisi ex quo terram ultramarinam ingres-
sus sum — infirmos per civitatem oportet me visitare usque ad
nonam vel vespas. Post hoc vero causas orphanorum et viduarum
270 et aliorum, quibus iniustitia *** dicere non valeo, cum tumultu
et gravamine magno recipio ita, quod dulce tempus lectionis non
habeo nisi ad missam vel ad matutinas vel quando aliquid modicum
spacium me abscondo. Tempus autem orationis et considerationis
quiete noctis tempori reservavi, quandoque tamen ita fessus sum
275 vel turbatus, quod nec orationi nec propriæ infirmitatis considera-
tioni possum vacare. Vos autem, carissimi, orate pro me, ut deus
det michi humilitatem veram et patientiam tolerandi labores ad
salutem anime mee et subsidium sancte terre, ut pius dominus tene-
bras orientales illuminare dignetur et negotium terre sancte pro-
280 moveat et michi et omnibus amicis meis vitam bonam finemque
beatum <concedat>, ut sic per bona temporalia transeamus, ut
non amittamus eterna.

R
XIV, 114

G.

256 visitati G, corr. St. 270 exciderunt quaedam: quibus iniusticia <ho-
minum tanta mala operatur quanta> dicere non valeo vel tale quid sup-
plerim. 281 <concedat> scripsi.

253-254 (Il y a deux montes Carmeli): hic autem, in quo conversatus est Elias
situs est in maritimis, distans ab Accon IV (quatuor MO) miliaribus (BO
1075, 14-15). voir sur 146, et p. 4, n. 6; le texte de Guillaume de Tyr, s
souvent la source de Jacques de Vitry, ne mentionne pas de distance
253-259 Cf. 11-12. 278-279 Cf. II Rois 22, 29; I Cor. 4, 5; voir 448 et VI
229. 281-282 Cf. VII[c], 11-12 (cf. II Cor. 4, 18). 282-283 Voir p. 52 (II)

Postquam autem per gratiam dei toto tempore hiemali *verbum*
 dei Acconensibus *seminavi* et copiosa multitudo corrupte admodum
 283 civitates conversa est ad dominum, audientes alie civitates quo-
 modo dominus operabatur, exemplo Acconensium incitati fre-
 quenter nuntios ad me mittebant supplicantes ut ipsos caritatis
 intuitu visitarem. Ego vero intelligens *hostium magnum michi esse*
aperitum, imminente tempore Quadragesimali, licet valde difficilis
 290 et periculosa esset via et per terram Sarracenorum et maxime et
 per terram eorum qui dicuntur *Assasi* oporteret me transire, de
 domini confidens auxilio, multis dolentibus et flentibus iter arripui
 et post veniens in civitatem Tyrensem cum gaudio et devotione
 tam a clero quam a populo receptus sum, quibus verbum dei diebus
 295 aliquot predicavi. *Semen* autem per gratiam dei *cecidit in terram*
bonam: fere enim omnes, facta peccatorum confessione, signo crucis
 recepto se et sua domino optulerunt. Vidi autem puteum aquarum
 super quem dicitur quod dominus requievit cum veniret ad partes
 Tyri et Sydonis, de quo ad litteram dicit Salomon in Canticis:
 300 *puteus aquarum viventium, que fluunt impetu de Lybano*. Mons autem
 Lybanus non longe remotus est a loco illo, et <per> subterraneos
 meatus aque copiose usque ad locum illum defluentes constituunt
 puteum magnum quasi parvum lacum, qui non habet, ut credo,
 sibi similem in toto mundo. Milites vero Tyrenses armati condu-
 305 xerunt me usque ad Sareptam Sydoniorum, ubi per noctem moram
 feci predicans christianis, quos ibi inveni, verbum dei et ostendens,
 qualiter inter Sarracenos commendabiliter deberet conversari,
ne nomen domini propter ipsos blasphemaretur inter gentes: ipsi enim

G.

283-286 quomodo St] quarum G. 301 <per> scripsi coll. comm. et V, 284.

283-284 Marc 4, 13. 283-286 Voir p. 33, n. 1. 288-289 I Cor. 16, 9;
 cf. 230-231. 290 et maxime et; voir p. 31, n. 1. 291 Assasi; Voir p. 64;
 Marco Polo, *La description du monde*, texte intégral en français moderne
 avec introduction et notes par Louis Hambis, Paris, 1953, p. 364-365. Cf. 347,
 367, 408. 295-296 Marc 4, 8. 297-300 *In cuius territorio in loco ali-*
quantulum edito est fons sive puteus, supra quem fessus ex itinere dicitur
quiescere dominus (cf. IV, 45-46) *cum transiret per fines Sidonis et Tyri* ...
hunc Salomon in Canticis 'puteum aquarum viventium' appellat (BO, 1071,
 24-25). 298-299 Marc 7, 24. 300 Canticus des Cantiques 4, 15. 300-
 304 *Ad pedes autem Libani montis in partibus illis oritur fons ananissimus*
aquas habens limpidissimas, que per quosdam subterraneos meatus 'fluunt
impetu de Libano' omnes hortos regionis copiose irrigantes. Hunc dicunt esse
'fontem horrorum' (cf. 339), de quo in Canticis facit Salomon mentionem (BO,
 1069, 37-40). 308 I Tim. 6, 1.

R
XIV, 115

in civitate Sarracenorum valde erant corrupti, et ego fraudem Machometi et execrabilem eius doctrinam pro posse meo eis detexi eo, quod quidam eorum quasi inter legem christianorum et Sarracenorum hesitantes claudicabant. Visitavi autem modicam capellam in agris extra civitatem derelictam, ubi Elyas venit ad viduam in Sarepta ligna colligentem. Inde vero transiturus | Berithum, per civitatem Sydoniensem, quam tenent Sarraceni, premisi nuntios, ut milites civitatis michi obviam venirent, qui michi occurrentes cum multitudine armorum per terram Sarracenorum me et meos <con>duxerunt. Archiepiscopus autem Surianorum, qui habitabat Sydonem inter Sarracenos, extra civitatem michi pedes occurrit; transivi autem per locum ubi mulier Cananea post dominum clamans <accurrit> et de micis que cadunt de mensa dominorum suorum catulos edere cum omni humilitate asseruit. Ad pedem autem montis Lybani reliqui duos fontes, scilicet Ior et Dan, unde Iordanus fluvius habet initium; et inde nomen sortitus est Iordanus.

De monte autem Lybano, quando maximus est in estate calor, affertur nix et sub palea custoditur et care venditur ut vino commisceatur ad temperandum et reddat frigidum vinum. Postquam autem aliquot diebus moram feci in civitate Berithi et eis verbum dei predicavi, omnibus signatis tam mulieribus quam viris et etiam parvulis, signato domino civitatis cum militibus eius, transivi ad civitatem Biblii, de quo dicitur in libro Regum quod senes Biblii trans mittebant ligna de Lybano ad edificandum templum domini, qui cum gaudio magno a minimo usque ad maximum me recipientes,

G.

314 ante Berithum, G del. in. 318 <con>duxerunt scripsi coll. 304-305 et 333-354 331 <accurrit> scripsi] cf. 319: occurrit 331 Biblii] correct] cf. senes Biblii et II, 342.

312-314 *Civitas Sarepta, in cuius introitu locutus est Elias propheta ad viduam mulierem ligna colligentem ... in eodem loco iuxta portam civitatis modicam capellam fecerunt christiani* (BO, 1072, 26-29). 313-314 III Rois 17, 10. 321-322 Mathieu 23, 27. 325-327 in toto autem estivo tempore et maxime in diebus canicularibus arcentissimis et in mense Augusti, nix frigidissima a monte Libano per duas vel plures dietas defertur, ut vino commixta tanquam glaciem ipsum frigidum reddat. Conservantur autem predicate nives sub palea, ne fervore solis seu calore aeris dissolvantur (BO, 1003, 5-9). Vino enim non temperato in partibus illis nullo commode valet uti (BO, 1094, 43-44). Rappelons à ce propos qu'en 1191, lors du siège de Saint-Jean-d'Acre, Richard Cœur de Lion étant malade, Saladin lui fit gracieusement apporter des sorbets à la neige du Liban (Grousset, *Histoire des Croisades*, III, p. 61). 331 ... et iterum in libro I Regum 5 (= III Rois 5, 18) sic invenitur: Porro Biblii preparaverunt ligna et lapides ad edificandam domum domini (BO, 1072, 34-36).

audito verbo dei compuncti sunt ad penitentiam. Erat autem
 335 civitas illa valde corrupta et episcopus loci pauperrimus, sed libe-
 ralis et humilis, qui cum domino civitatis et universo populo signum
 crucis recepit. Inde vero transiturus Tripolim reperi vineas que bis
 in anno vindemeantur, et fontem irrigantem multitudinem ortorum,
 de quo dicitur in Canticis *pons ortorum* ad litteram. Cum autem
 340 appropinquarem Tripolim, comes civitatis et princeps Antiochie
 cum multis militibus obviam michi venit; in qua civitate oportuit
 me pugnare *ad bestias Ephesi[um]*. Videns autem quod ad domi-
 num universaliter converterentur, in eadem civitate moram per
 mensem feci, et quia communis lingua civitatis erat lingua sarracena,
 345 per interpretes frequenter predicabam et confessiones audiebam.
 Inde vero transivi ad opidum quod dicitur Crac, qui coniunctus
 est terre eorum qui *Assasi* nuncupantur: ubique autem occurrebant
 michi cum magna devotione viri et mulieres et parvuli. Cum autem
 non auderemus premittere nuncios, mittebamus columbas ferentes
 350 litteras nostras sub alis, ut homines civitatis nobis occurrerent,
 propter metum paganorum. Inde vero venimus ad opidum quoddam
 Templariorum, quod dicitur Castrum Album. Fratres autem milicie
 Templi, postquam ibi per dies aliquot verbum dei predicavi, con-
 duxerunt me cum manu armata usque ad civitatem que dicitur
 355 Antaradus, sic dictam eo, quod sita sit ante insulam Aradi, in qua

R
 CIV, 116

G.

342 Ephesi[um] St. 344 lingua St. ligna (2 r. G. 346 Crac, qui scripsi coll.
 335] Cracum qui G. Cracum, qui <locus> St; cf. BO, 1074, 34: ... Petram
 Deserti, cuius nomen modernum est Crac (de Moab) compunctus, corr. St.

337-339 In partibus etiam illis sunt vinee, que bis in anno vindemiantur (BO, 1069, 42-43). 339 Cant. des Cant. 4, 15. 340 comes ... Antiochie] Bohémoud IV (1201-1233). 341-342 Pauci: vel nulli inventi sunt in partibus illis prelati qui ad bestias Ephesi pugnarent (I Cor. 15, 32: BO, 1063, 52-53). 344-345 lingua sarracena? cf. 425: VII, 335; BO, 1094, 17: vulgari idioma sarraceno; mais cf. VII, 537. 346 Le Crac des Chevaliers. 347 Assasi] Voir sur 291. 349-350 Cl. P. Martell, Zur Geschichte der Brieftaube, dans le Zoologischer Anzeiger, LXXIII (1927), page 309-310(314); H. Feltier, Nuntius penniger volatus. Pigeons voyageurs, dans RIAL, III (1947), p. 156-158. 355-364 Voir BO, 1072, 41-55: ... in qua beatus Petrus apostolicum matrem beati Clementis mendicantem invenit et ad fidem conversam filio restituit, sicut in Itinerario Clementis legimus (il s'agit des Reconquêtes traduites par Rubin, cf. Siegmund, o.c. (p. 36, n. 3), p. 58-61) in quo etiam fit mentio de duabus columnis vitreis ... Inde Anteradensis civitas, sic dicta quasi ante Arradum sita: vulgari autem appellatione hodie dicitur Tortosa, in qua beatus Petrus ... cum a partibus Hierosolimitanis transiret in Antiochiam, in honore beate Virginis Mariæ modicam fundavit ecclesiam ... que

columnne quondam erant vitre<e>, in qua beatus Petrus invenit
nobilem mulierem, matrem beati Clementis, que mendicabat in
insula illa, et eam filio suo reddidit, qui eam per multos annos
amiserat. Est autem in civitate illa que<dam> modica et sanctis-
360 sinia capella, quam beatus Petrus, dum transiret Antiochiam, in
honore beate Virginis edificavit, que fuit prima ecclesia in honore
beate Virginis, ut dicitur, edificata, in qua dominus tot miracula
facit, quod non solum christiani, sed et etiam Sarraceni ad eam
causa peregrinationis veniunt. In qua ecclesia postquam missam
365 celebravi, facto sermone ad populum duos Sarracenos baptizavi.
Cum autem ad hospitium reversus fuisset quidam ex illis, qui
dicuntur *Assasi*, <qui> me secutus fuerat per mare et terras ut
me interficeret, ab conversis ad fidem manifestatus captus est et
incarceratus, et ita dominus de manibus eius me liberavit. Inde
370 vero transivi cum manu armata in civitatem quandam habentem
opidum munitissimum, quod castrum dicitur Margat, in quo cum
per dies aliquot verbum dei predicasset, proposueram per mare
transire in Antiochiam: dominus enim civitatis cum clero et populo
et magno desiderio adventum meum prestolabatur. Patriarcha vero
375 Ierosolimitanus misit michi litteras ut reverterer eo, quod passagium
imminebat et expectabamus adventum peregrinorum. Inde vero
reversus Tripolim proposui navigare Cyprum. Galeam armari feci:
rex enim Cypri misit michi litteras suas cum nuntiis suis. Expectavi
autem per dies quindecim et ventum ydoneum habere non potui;
380 audiens autem quod quidam de heremitis Nigri Montis, qui grece
dicitur *Nero*, transisset in Cyprum habens crucem in carne im-
G.

356 vitre<e> St. 359 que<dam> *correx.* 367 <qui> St.

*usque hodie in magno habetur honore ... eo, quod beata Virgo in illo loco ...
multa operatur miracula ... Dicitur autem a multis quod inter omnes beata
Marie ecclesias ista fuerit prima. Non solum autem a christianis, sed etiam a
Sarracenis in magna habetur reverentia, qui filios suos plerumque ad prelatam
ecclesiam adducunt baptizandos ut diutius erant (cf. 427-428) vel ut corporalem
recuperent sanitatem. Un autre sanctuaire vénéral par chrétiens et musulmans
est mentionné IV, 45-47 et dans un sermon, Greven, *Exempla*, 87 (p. 53,
9-11) (= Frenken, *Exempla*, 83, p. 139). 367 Assasi? Voir sur 291.
274-275 patriarcha; Raoul, v. sur III, 38. 378(383-384) rex Cypri? Hugues I,
voir sur III, 6. 380-381 Habet autem (principatus Antiochenus) a septen-
trionali parte montem quandam, qui vulgariter *Montana Nigra* dicitur, in quo
sunt multi eremita ... et quoniam fontibus et vicis lotus est irriguus, mons Nero,
id est aqueosus, nuncupatur: *neros* enim grece, *aqua* latino. *Simplices* autem et
laci *Nero* (MO, om. BO) noire, id est nigra, asponunt in vulgari sermone
(BO, 1069, 25-30).*



pressam, quam beata Virgo, ut asserebat, suo pectori impresserat
 et eum in Cyprum miserat, noīui illic ire, nam heremita ille regem
 et clerum et populum cruce signaverat, et ideo evadens per gratiam
 385 dei pericula mortis plurima reversus <sum> ad civitatem nostram.
 Acconenses autem absentiam meam moleste ferentes frequenter de
 civitate exibant dum diceretur eis quod ego reverti deberem
 Cum autem per dies plures michi obviam exirent, postquam certum
 nuntium de adventu meo acceperunt cum mulieribus et parvulis
 390 michi obviam occurrerunt. Nunc autem in civitate Acconensi
 frequenter ad mare respicio cum lacrimis et desiderio magno ex-
 pectans adventum peregrinorum: credo enim quod, si IIII milia
 militum armatorum haberemus, per gratiam dei qui nobis re-
 sistere valeret non inveniremus. Est enim magna discordia inter
 395 Sarracenos et multi, pro certo errorem suum cognoscentes, si aude-
 rent et haberent auxilium christianorum, converterentur ad |
 R
 400 IV, 117 dominum. Credo autem quod christiani habitantes inter Sarracenos
 plures sunt numero quam Sarraceni. Multi autem reges christiani
 habitantes in partibus Orientis usque in terram presbyteri Iohannis,
 400 audientes adventum cruce signatorum, ut eis veniant in auxilium
 movent guerram cum Sarracenis. Sarraceni autem, quia multas et
 varias habent sectas, valde inter se sunt divisi: quidam autem legem
 Machometi tenent, alii parvipendunt, unde contra mandata Macho-
 meti vinum bibunt <et> carnes porcinas comedunt, nec se more
 405 aliorum Sarracenorum circumcidunt. Velulus Montanus abbas est
 religionis *Fratrum Cutellorum*, qui non tenent aliam legem nisi
 quod credunt per obedientiam salvi fieri, quicquid eis precipiatur,
 et hii dicuntur Assasi, qui occidunt tam christianos quam Sarrace-
 nos. Sunt alii Sarraceni, qui dicuntur *occulte legis*: legem enim quam
 410 tenent nulli, nisi filiis suis quando iam sunt provectae etatis, revelant,
 ita quod uxores eorum quod mariti earum credunt ignorant, qui
 prius permittunt se interfici quam alicui nisi filiis suis secreta legis
 G.

383 <sum> St. 393 militum scripsi] e milibz G, e militibus StR. 395-
 396 audirent G, corr. St. 404 <et> scripsi, cf. adn. cr. ad I, 12. 409
 Montanus corrasi] montane G. 406 cf. p. 64.] 411 credant G, corr. St.

383 illic] Voir p. 33, n. 1. 397-398 Cf. 246-248. 405-409 Cf. Ch. E.
 Nowell, *The Old Man of the Mountain*, dans *Speculum*, XXII (1947), p. 497-
 519; voir sur 291 (cf. 347, 367), et BO. 1062, 43-46: *proficiunt autem sibi*
captivum ... quem ipsi Velulam seu Senam appellant ... Primus autem
et summus infausae religionis eorum abbas, etc.

sue manifestant. Sunt alii miserabiles et sine aliqua lege homines qui dicunt quod in die iudicii, quando dominus queret: *quara non*
 415 *servastis legem Iudeorum?* respondebunt: *'domine, non tenebamus eam servare, quia non eam suscepimus nec Iudei fuimus', — quara non custodistis legem christianorum?* *'domine, non tenebamur, qui christiani non fuimus, similiter nec legem Sarracenorum debuimus servare, quia non fuimus Sarraceni,'* et ita per privationem aliorum
 420 in die iudicii credunt evadere, cum tamen dicat dominus: *qui non est mecum, contra me est.* Inveni alios qui dicunt animas mori cur corpore, unde qui <d>libet agunt tanquam bestie pro sua pessima voluntate. Quia vero in terra Sarracenorum predicare non poteram in <con>finio terre christianorum et Sarracenorum quando pote
 425 ram predicabam et per litteras, quas eis trans mittebam in sarracens scriptas, errores eorum et legis nostre veritatem eis ostendebam. Multi autem ex Sarracenis filios suos per sacerdotes Surianorum baptizari faciebant hac sola intentione, ut diutius viverent. Intu illos autem, qui christiano nomine censentur, multos inveni qui e
 430 defectu sane doctrine in fide nostra maxime errant, qui principaliter in quatuor partes sunt divisi. *Suriani* autem sicut Greci Spiritum sanctum a solo Patre procedere dicunt, *Nestoriani* vero in Christi duas personas asserunt, sicut in eo sunt due nature et due voluntate unde, licet Christus sit deus, dicunt Mariam fuisse matrem Christi
 435 non tamen dei; et tales erant omnes qui sunt in terra presbyter Iohannis, sicut dixit michi quidam mercator | cum nuper in venerat, qui omnes de novo facti sunt *Iacobite*, qui dicunt unum tantum esse in Christo naturam et unam voluntatem sicut unam personam. Humana enim natura absorpta est, ut falso asserunt
 440 a divina, sicut gutta aque, que funditur in vino, a vino absorbetur. Patriarcha vero *Maronitarum* cum archiepiscopis et episcopis suis et populo Maronitarum sibi subdito relictis omnibus erroribus obediencie sancte et catholice Romane ecclesie se subdidit et mul

R
XIV, 118

G.

422 qui <d>libet *corraxi*. 424 <con>finio St. 431 sicut *corra*: sunt G. cf. *comm.* 435-436 Iohannis presbyteri Iohannis, *sed pr.* Iohannis del. G. cf. *adm. cr. ad I.* 98. 442-443 erroribus catholice et obediencie Romane ecclesie G. *corr.* St.

420-421 Mathien 12, 30. 425 cf. 344-345. 427-428 voir sur 355-3 (p. 94) 431-432 Unde tam Greci quam Suriani occasione symboli [cf. 23] quod in Nicena synodo composuerunt sancti patres, miserabiliter decipi narrant a Filio procedere Spiritum sanctum (BO, 1090, 37-39).

tam de hereticis in partibus orientalibus commanentibus quam de
 445 Sarracenis, si sanam doctrinam audirent, facile, ut credo, ad domi-
 num converterentur. Vos autem orate dominum, qui *nichil odit*
eorum que fecit et omnes homines vult ad agnitionem veritatis venire,
 ut ipse in diebus istis orientales tenebras illuminare dignetur. Amen.

[b]

Orate pro me et pro meis et
 450 specialiter pro capellano meo,
 fidelissimo socio meo, Iohanne
 videlicet de Cameraco.

G.

444 tam commanentibus] tum cum manentibus G, corr. St.

446 Cf. I. 192-193: IV. 208; VI. 230.

446-447 Sagesse 11. 25.

447 I Tim. 2. 4. 448 Cf. 275-279.



الخطاب الثاني

تم كتابة الخطاب الثاني على مرحلتين الأولى في ٤ نوفمبر عام ١٢١٦م
والجزء الثاني في فبراير عام ١٢١٧م بعد أن وصل إلى الشرق في سوريا



كتب جاك دفيتري الخطاب الثاني بعد ما رأى أن قوات الجيش الصليبي في دمياط لم تحقق الأهداف المرجوة منها، قبل أن يغادر "صكا" وكان الجزء الأول منه قد كتبه في نوفمبر ١٢١٦م والجزء الثاني قد كتبه في فبراير ١٢١٧م شارحاً فيهما الأوضاع التي تعرض لها اللاتين أو الجيش الصليبي في دمياط ومبيناً أيضاً أسلوب المسلمين في القتال التي فوجئوا بها في بلاد الشام عند محاصرة قلعة الطور، وطالباً من البابا أن يدعو له لتكون دعواه "من وجهة نظره" سنداً لأخواته في تحقيق النصر النهائي.

✍ ترجمة النص إلى العربية :

📖 رسالة إلى البابا بخصوص السيد المسيح وشرح أحوال الرحلة في البحار 📖

أيها الأحباء في المسيح ما كان يعزينا وجود الأصدقاء الممتلئين من الروح مثل دومني ليباوي والذي كان مرسلًا للكنيسة. وهؤلاء الأصدقاء هم الذين جعلوا الوقت يمر بهيسر وسهولة رغم كل الآلام والمصاعب ... ورغم الخطر الذي كان يحق بنا. وأود أن أكتب إليكم هذا الكلام .. إنني في غاية الشوق لرؤياكم، وأنني مشتاق إليكم كثيراً.. وذلك كي نتعاون سوياً في القنى الروحي والذي سوف نمتنع به جميعاً في المجد الأبدى .. واعتقد أن هذا طمع مقدس.

وبين هذا للخطر ونحن نبحث عن جزيرة تلجأ إليها كي ننجو من هذا الموقف، لابد أن يتذكر المرء خطايا ويكي عليها بشدة، ويتذكر المرء أنه مقصر في حق الرب وأنه لم يوف الرب حقه، لقد كان للبحارة يبحثون عن طريق يصلون به إلى جزيرة مثل سردينيا .. أو أن تأتي سفينة أفضل حالاً من سفينتنا لتقلنا .. وهنا لابد أن أشير إلى أمر هام .. وهو أن وجود خطر مشترك يؤدي إلى تلجير وظهور الطاقات الروحية من الجميع، ويظهر تعاون النفوس المشتركة "البشرية" على حقيقتها سواء أكان من للبحارة أو للركاب ... حقاً لقد كانت الرياح قوية .. وكانت تمسير في عكس اتجاهنا بحيث أنها كانت تعوق حركتنا .. وكان الوقت لا يساعدنا .. لكن هناك الرب وهو الشئ الوحيد الذي نستطيع أن نجده في كل زمان ومكان .. إن الرب بمثابة الربان الذي يقود سفينة الحياة إلى مرفأ الأمان فلا نبالي بالمخاطر سواء أتت من اليمين أو الشمال.

وعندما تشتد علينا وطأة الآلام والمخاطر، فإن التضرع والصلاة هما الملاذ لنا، وذلك عندما نشعر أننا صرنا عداد الموتى نتجه نحو الهاوية. وننادى لا ندري إلى أين نحن ذاهبون.

لقد استمرت العاصفة مدة يومين متواصلين .. كنا نعيش فيهما كأننا موتى، تكاد السفينة أن تتطاير من هول وشدة الرياح وقوة أمواج البحر، وهنا لا نملك سوى الدموع والاعتراف بالخطايا والذنوب الثقيلة التى تتوء بها أكتافنا. إلى أين الاتجاه.. إلى جهة اليمين حيث تقع مالطة حيث كان بولس فى محنة مشابهة كما جاء فى سفر أعمال الرسل الإصحاح السابع والعشرين عندما تحطمت به سفينته .. أم إلى جهة اليسار حيث تقع صقلية وكريت؟ ...

كان هذا هو اليوم السادس بعد عيد كل القديسين ويجدر بنا هنا أن نذكر أن الابتهالات كانت من كل الأساقفة المتواجدون معنا. ومن كل شفاء ومن كل واحد إلى آخر وأن كل الابتهالات كانت تطلب العون من الرب.

وكما كان الرب يسوع فى أيام تجسده .. يوضح لنا حقيقة التثليث والتوحيد .. حيث يضم التثليث الآب والابن والروح القدس ، والتوحيد يعنى إله واحد، وأنه أسلم نفسه لكي يصلب عوضاً عن البشرية كلها، وقال أثناء إقامته على الصليب .. ليست مشيئتى أنا، بل مشيئتك أيها الآب. هكذا كان الأمر أمامنا، فلا بد أن تخضع إرادتنا لمشيلة الرب ونحن نتحد مع المسيح من خلال المشاركة فى الأسرار الكنسية "الغيز المقدس والدم المقدس" فكأن المسيح هو فىنا يعطينا القدرة على مواجهة مثل هذه الظروف القاسية. نعم هناك فروق بين الطوائف المسيحية من جهة الخبز "أهو بغميرة أم يكون كقطير" لكن هذا لا يعنى

الشيء الكثير بالنسبة لجوهر الفكرة، وهى المشاركة فى المسيح .. وقد أرسل المسيح الرسل، ومن بعدهم الأساقفة لنشر هذا الإيمان، وأن يقوموا بتعميد الناس الذين يدخلون إلى حظيرة الإيمان، ولكن يجب أن نعلم فى حالة من يستخدمونه خبزاً بلا خميرة ولا يمزجون الماء مع الخمر فى تناول من جسده للمسيح.

ولنعد إلى ما كان يعظه الرب يسوع بشأن ملكوت السموات، فعلى سبيل المثال، العقبة التى ألقاها على الجبل والتى نهى فيها عن الزنا والقتل والخوف من الأحكام، فعلى أن لا نخشى من الأحكام فى قول الحق والخوف الحقيقى، يجب أن يكون من الرب وليس من الناس لأن الله قادر على أن يهلك الجسد والنفس معاً .. بينما الحاكم لا يهلك سوى الجسد فقط .

وكان الكتبة والفارسيون هم المعارضون الرئيسيون للرب يسوع أثناء وجوده على الأرض، ولكنه لم يأبه بهم .. وكان يهتمهم صراحة بالنفاق والرياء وأنهم قبور بيضاء من الخارج ومن الداخل عظام نخرة وأنهم نجاسة. وكما نجد فى مزموير داوود النبى "لا اخاف بشراً لأنك انت معى .. عصاك وهكازك هما يعازيننى".

ويجب أخيراً .. أيها الأخوة .. أن نهتم بإضافة وزيادة من يعملون لى خدمة الرب، ولا نملك سلوك الأعداء، فإتبه كل من لا يحب أخاه فهو قاتل نفس، كما يقول يوحنا الرسول فى رسالته الأولى.

إن المعمودية من أهم ركائز وأعمدة المسيحية، ولكن كان هناك من ينكر أهميتها وقيمتها .. ولكننا إذا نظرنا إليها على أنها تعنى الاعتراف بالرب وعمله الغدائى لأدركنا قيمتها للبالغة.

وأنا فى أحوالنا السيئة نحتاج إلى القوة وليس فقط إلى دموع التذلل من خطايانا.

وفى المعمودية نجد كلا الحالين، وحيث أن الغطس فى الماء يشير إلى رحلة البكاء والخروج من الماء ويشير إلى القيامة ويعطينا القوة والمبنة والعزة.

كذلك فإن الصليب يحمل نفس المعنى، فهو يشير إلى الضعف حيث تم صلب الرب يسوع عليه، وهو يقابل رحلة الدمع والدموع المسالفة النكر، ولكن كما قام الرب يسوع من بين الأموات وانتصر على الموت فإن الصليب الذى نحملة فى قلوبنا وتعلق به كورثة للملكوت الأبدى يمثل المعمودية التى تمنحنا الغلبة بعد الاتسحاق.

ومثل هذه الطقوس هى ما تقوم به الجماعات الأسقفية فى الكرك، وطوروس ومرعش وطرابلس وأنطاكية وجزيرة قبرص.

ولو عدنا إلى زيادة البشارة التى قام بها الملاك جبرائيل للسيدة العذراء مريم لوجدنا أنه يقول لها "وأنت أيضاً سيجوز فى نفسك سيف". وذلك إشارة إلى الآلام التى كان عليها أن تكابدها فى سبيل الرب.

كان هذا مع مريم العذراء فى مدينة الناصرة فى أرض بيت المقدس ... ولو عدنا إلى جبل الكرمل هناك فى العهد القديم، لوجدنا النبى إيليا والرب يريه قوات الملائكة والتى هى بالطبع أقوى من جيوش البشر، وبالمثل فإتينا عندما نصلى ونبتهل فى حياتنا سواء فى أوقات الخطر أو غيره من الصعاب أو فى حالة التأملات الروحانية، فإتينا نحصل على فيضاً روحانياً من السماء.

فالهدف هو إذن ليس الماء فى حد ذاته، بل إله يشير إلى قوة الروح القدس التى تدخل إلى حياتنا لكى تتبرر لنا الطريق .

لندع كلمة الرب تعمل فىنا كما أشار الرب يسوع فى مثل الزارع حيث شبه الكلمة بالبذرة التى تحتاج إلى أرض خصبة كى تنمو فيها وتعطى ثماراً مائة وثلاثة وستون .. وكما أشار سليمان الحكيم فى سفر نشيد الإشادة إلى المياه الحية التى تفيض من لبنان والتى تمثل بصورة بسيطة كما يحصل عليه من خلال مياه المعمودية فلا تكن جاحداً لهذه النعم التى وهبها لنا الرب.

فلا نحاول أن نغير فى التعاليم الصحيحة التى تسلمناها وتزيف المسيحية وتحولها إلى التاموسية ولناخذ إلها النبى مثلاً. حيث لم يبال الناس واستمر فى طريق الرب.

هنا يجب أن أشير إلى نفس السفر الذى ذكرته وهو "تشييد الإثساء" لسليمان الحكيم فى العهد القديم والذى يشير فيه إلى موضع يعينه باستمرار.

أقول وجذت هذا القول يتحقق فى محاربتى من أجل الرب ضد وحوش إفسوس التى أشار إليها بولس الرسول قائلاً "صارعت وحوشاً فى إفسوس" كنا نتحدث بموهبة بنفس لغات الأماكن التى تركز فيها فى كل تكرير قلبى حيث كان هذا فى الأماكن المختلفة ولعل أولها "كاسترم ألبم" بمعنى القلعة البيضاء .. وكان الأخوة يغفونى فى المعابد وكذلك فى مدينة أوتاراديس وفى جزيرة أرادى .. وهكذا وجدنا الأرض القديمة التى وعد للرب بها شعبه إسرائيل بدخولها بعد خروجهم من مصر "راجع سفر التكوين الثانى فى التوراة وسفر يوشع بن نون السادس من التوراة".

وهنا تشير إلى المطوب بطرس وكذلك أم المطوب أكليمينفص والذين قاما
ببناء أول كنيسة في مدينة أنطاكية وكانت تحمل اسم المطوبة مريم العذراء
تكريماً لها. وبدأت الاحتفالات والاعظات في هذه الكنيسة .. وشارك رجال الدين
والشعب في الصلوات .. وتحول عدد كبير من السكان إلى المسيحية وغد عدد
كبير منهم.

وبعد ذلك توجهنا إلى قلعة تسمى مارجت "مرعش" حيث تركز بقوة كبيرة،
وكانت البطرقيّة في بيت المقدس تشرف على ذلك ثم توجهنا إلى طرابلس
ثم أبحرنا إلى قبرص، وهناك وجدنا الجبل الأسود ويطلق عليه
اليونانيون اسم "نحرو".

وكانت نفوسنا في قبرص مملوءة بالبؤس والشعب ورجال الدين يجوز
في نفوسهم صليب، وكان الخوف من خطر الموت بسبب المخاطر التي نتعرض
لها بسبب أعمال التبشير والكرارة ولكن لا أستطيع أن أصف كم من الدموع
انهمرت عند الوداع حيث كان التأثير واضحاً .. أقول إنني شعرت أن هناك قوة
تعمل في دخلنا، وأقول أن السكان الموجودين رغم أنهم قبل ذلك كانوا يفرطون
في تناول الخمر ويأكلون لحم الخنزير، إلا أنه كان لديهم الاستعداد للتحويل تجاه
الإيمان بالرب .. إن الشرائع الوحشية التي كانوا عليها قبل ذلك لم تمنعهم من
القبول بنا، بل أنهم كانوا سابقاً يقتلون من يسمعون أنه مسيحي وكان ذلك بسبب
جهلهم وهكذا ظهر التحول أثناء فترة إقامتنا، وغدا هؤلاء القوم بين عشية
وضحاها يطيعون المخلص ويثقون في أتباعه كان هناك جهل بناموس لليهود،
حيث أن الناموس الذي كان سائداً بينهم هو ناموس الناس. وعندما تسألهم عن

ناموس اليهود يقولون "إبتنا لو كنا نعلم هذا الناموس لما كنا بهذا الوضع" وهنا أتذكر كلمات الرب يسوع للذى قال "من ليس معى فهو ضدى" كنا نواجه أنواع مختلفة من العقائد المسيحية ، فهناك العقيدة النسطورية نسبة إلى الأسقف نسطور الذى كان يقول "إن مريم هى لم للمسيح وليست أم لله" وهناك العقيدة اليعقوبية التى كانت تقول "إن الطبيعة الإنسانية للمسيح قد امتزجت فى الطبيعة الإلهية كما يختلط الماء مع الخمر ويختلفى الخمر فى الماء وكان المارونيون لهم أساقفة كثيرون. إبنى أخيراً أصلى من أجل أن يدخل جميع الناس إلى الحق ويعرفون الرب الذى ينير عبر الغيوم.

صلوا من أجلى ومن أجل خاصتى، وعلى وجه الخصوص لرفيقتى يوحنا من كابينزادك ...

❖ ههنا ينتهى الخطاب الثانى ❖

~~~~~

السلامة والسلامة

## III

R  
XV, 568

Reverendo in Christo patri ac domino Honorio, dei gratia summo pontifici I(acobus), divina miseratione Acconensis ecclesie minister humilis, tam debitam quam devotam cum osculo pedum reverentiam.

R  
XV, 569

- 5 Noveritis quod anno domini ab incarnatione MCCXVII aderant hii principes apud Accon, scilicet rex Hungarie, rex Cipri, dux Austrie, rex Ierusalem, Templarii, Hospitalarii, principes et comites, equites et pedites, quorum multitudo numerum excedebat, et, ut dicunt qui captioni civitatis Acconensis affuerunt, nulla comparatio  
10 fuit illius exercitus ad istum sive in armis sive in equis sive etiam in bellatoribus. Consilio ergo inito post aliquot dies iverunt fere usque ad Damascum et multas | villas et casalia depopulaverunt et destruxerunt arbusta et oliveta et omnia ligna fructifera, et quaecumque potuerunt Sarracenis mala intulerunt et aliquot captos  
15 ex eis in reditu suo deduxerunt; sed sciatis quod plures ex nostris in eadem amissi sunt equitatura, quam capti ex alienis. Postea vero, aliquot elapsis diebus, habito consilio iverunt ad montem Thabor, et facto ibi quodam insultu sine aliquibus machinis, statim recesserunt. Et dictum est quod, si viriliter institissent, de levi  
20 castrum acquisissent; sed, ut totus clamat populus, tam in hac vice quam in supradicta quorundam mala fides intercessit. Tercium

1-13: PR (=a); 13-21: P.

1 Sanctissimo R. in Christo om. R.; cf. IV, 15[a]; 1. 1: VII, 15[a]. 3-4 tam devotam quam debitam reverentiam (om. cum osculo pedum) P. 5-6 Noveritis ... Hungarie! In principio autem guerre (cf. IV, 192) aderant hii primates apud Aconem, rex Ungarie R. 5 MCCXVI P. 7-8 Templarii ... numerum; et Hospitale (cf. 39) beato Marie et beati Iohannis et Templum et principes et comites et equites et pedites, quorum numerum multitudo R. 9 Accon R. 10 istum] istum tum P. 10-11 sive etiam in bellatoribus; et in bello R. 11 ergo] vero R. aliquos R. fere om. P, cf. IV, 182. 12 et multas] et om. R. 13 arbusta] hinc desinit R.

Sur la non-attribution de cette lettre à Jacques de Vitry, voir p. 40-43. 6 rex Hungarie] André II (1205-1235). — rex Cipri] Hugues I de Lusignan († 1218, cf. 32-33), cf. II, 378-384. 6-7 dux Austrie] Léopold VI (1198-1230). — rex Ierusalem] Jean de Brienne (1210-1229). 9 captioni civitatis Acconensis] le 12 juillet 1191. 9-11 Cf. Donovan, *Pelagius*, p. 32, n. 30. 11: novembre 1217. 17-19: 3-5 décembre 1217.

vero iter aggressi sunt apud castrum quoddam quod dicitur Belfort et apud Belinas, qui alio nomine Cesarea Philippi noncupabatur, ubi satis adversitatis et inedia sustinuerunt necnon et iacturam  
 25 equorum, bestiarum et gentis magnam incurrerunt, et sic Accon reversi sunt; que omnia facta sunt a festo Omnium Sanctorum usque ad Circumcisionem Domini. Post festum itaque Epiphaniæ sumpta occasione recessit rex Hung<a>rie iter suum dirigens per terram ab Accon usque ad Tripolim et a Tripoli usque ad Antiochiam et  
 30 sic deinceps usque ad Constantinopolum et ita demum in patriam suam. Simul et similiter recessit cum eo rex Cipri, et cum eo comes Tripolitanus ut sibi sororem suam traderet in uxorem; nec longo elapso tempore apud Tripolim mortuus est rex Cipri, Sarraceni vero ipsum comitem Tripolitanum debellaverunt, qui treugas cum ipsis  
 35 coactus est inire. Diminuto ergo christianorum exercitu statim post recessum regum datum est consilium manum mitti ad firmandum castrum civitatis que dicitur Cesarea Palestine, ivitque illic rex Ierusaleni, dux Austriae, patriarcha, episcopus Aconensis, Hospitale et totus residuus exercitus cum eis, preter Templarios  
 40 et moratum est ibi donec firma[m]en[tum] est castrum et bene munitum. Ceterum Templarii nullo simulationis velamine se violentes palliare, ne in obsequium dei et terre sancte tam se quam sua prorsus exponerent opus egregium per se aggressi sunt, ubi tot et tantas effuderunt divitias, quod mirum est unde eas accipiant;

## F.

28 Hung<a>rie *corraxi* coll. 6. 39 templarius P. *corr* Marcène 40  
 firma[m]en[tum] Martène

26-27 Du 1 novembre 1217 au 1 janvier 1218. 27-28 Donc après le 6 janvier 1218. 31-32 comes Tripolitanus] Bohémond IV (1201-1233)  
 32 sororem suam; Mélisende, demi-sœur du roi Hugues I de Lusignan.  
 32-33 nec longo elapso tempore, le 10 janvier 1218. 33-35 Voir Röhrich, *Geschichte des Königreichs Jerusalem*, Innsbruck, 1898, p. 727, n. 3. 35 patriarcha] Raoul de Mérencourt, cf. II, 274. 42 Cf. l'app. cr. sur II 233.  
 43-44 Cf. une lettre du pape Honorius III (octobre 1218, Prossuti 1634, Pott-hast 5906, Archives du Vatican, 10: III, 74, f. 16r): *Sano venerabilis frater noster patriarcha et karissimus in Christo filius noster Iohannes illustris rex Ierosolimitanus, magistri quoque Hospitalis et Templi et universi principes ac barones exercitus christiani existentes in partibus transmarinis suis nobis litteris inluminant quod tam importabiles expensas facere compelluntur tam in machinis et galere hinc in alio bellico apparatu, quod nisi ad eas faciendas subveniremus eisdem, eas nullatenus poterunt sustinere, sed non absque confusione quod donec avertat ad incepto desistere compellantur, cum autem pro navigio Romanarum, in quo ultra viginti milia marcharum argenti expendimus, camera nostra penitus sit exhausta nec de illa possimus gentili oportunitum subsidium ministrare...*



R  
XV, 370

- 45 plus enim castrum illud iam Sarracenos gravavit quam totus fecerit  
christianorum exercitus. Temporis itaque curriculo procedente  
reversoque toto exercitu in Accon, preter partem illam que debellavit,  
timuit, ut cum Templariis in opere suo remaneret, a tempore merbe  
Quadragesime a rege et duce ceterisque magnatibus sepe et sepius  
50 iterata sunt consilia, quomodo ulterius sic procedendum. Adven-  
it itaque quidam magister Oliverus nomine, Coloniensis ecclesie  
canonicus, qui in partibus suis auctoritate domni pape crucem  
predicaverat, qui multos cogones cruce signaverat et infinitos ho-  
mines. Hii quidem cogones, cum in Hyspania hiemassent, eo tem-  
55 pore Accon applicuerunt. Congregato igitur quadam die capitaneo-  
rum omnium consilio cum ad aliquid faciendum ipsos vehementer  
dictus magister ex parte suorum incitaret peregrinorum, inspirante  
Spiritu sancto ab omnibus unanimiter concordatum est Babyloniam  
ire, sicque factum est quod in die Ascensionis Domini iter ab Accon  
60 arreptum est per mare, quousque favente domino Damiatam civi-  
tatem Egyptiorum permaximam supra ripam fluvii paradisi sitam  
prosperè perventum est. Ibi usque modo totus consedit christianor-  
um exercitus in quadam insula dicti fluminis, ex adverso civitatem  
ipsam debellans et quandam turrem, que est in medio fluminis,  
65 fortissimam et supra modum bene munitam, et que progressum  
in fluvio nostris omnino prohiberet necnon ad civitatem expugnan-  
dam nostris potissime obstaret, si non eam dante domino post  
multos labores et sudores et non sine proborum amissione virorum  
mirabiliter acquisissent: que quidem animante domino in die  
70 sancti Bartholomei capta est et in ea C et XIII preter occisos et  
eos qui putantes evadere in flumine submersi sunt. Nunc ergo  
omnium nostrorum studium est et una voluntas flumen transire  
et ex ima parte soldanum Babilonie, qui ex altera parte ripe cum infi-  
nito exercitu parum ab eis distat oppositus, invadere et ex alia civi-  
75 tem ipsam virilibus debellare insultibus et a tertia parte galeas et vasa  
sua potenter impetere; et manus dei bona sic inimicos crucis Christi  
deiciat, ut fideles suos in eius laudibus semper attollat. Amen.

P.

33-36 capitaneorum *correx*, cf. *adn. ad II, 305-309*] capreanorum P, capi-  
tanorum Röhrich 64 terram P, *corr.* Röhrich.

45 castrum illud] Chastel-Pèlerin. 52-53 Cf. I, 76. 34-55 eo tem-  
pore] le 26 avril 1218, cf. Röhrich, *SS min.*, p. 70. 58 Babyloniam]  
CL IV, 41. 59 le 24 mai 1218. 61 fluvii paradisi] cf. IV, 94-95.  
69-70 le 24 août 1218. 70 C et XIII] centum ... et duodecim IV, 138,  
cf. V, 32-33 et Donovan, *Pelagius*, p. 42, n. 22. 76-77 Cf. II Macc. 15, 16





## الخطاب الثالث

أما الخطاب الثالث فقد تم تدوينه بعد سقوط برج السلسلة  
في دمياط في ٢٤ أغسطس عام ١٢١٨م



كتب جاك دي فيتري الخطاب للثالث وهو في دمياط، عندما حقق الصليبيون  
نصراً مؤقتاً بإسقاطهم لبرج السلسلة وبعد غناء ومشفقة أرسل إلى البابا بخطابه  
هذا الذي تغلب عليه للصفة اللاهوتية متأثراً بالتوراه، ومبيناً ما تعرض له  
الصليبيون في مصر على أيدي المصريين، وجاء الخطاب وكأنه ينقل من التوراه  
ما ذكر فيه من معاناة لشعب إسرائيل في أرض مصر ومؤكداً أن المصريين دائماً  
أعداء لبني إسرائيل وآمل في دعوات البابا ليتحقق النصر النهائي على  
المصريين.

## ✍ ترجمة النص إلى العربية :

📖 نكتب من الأرض المقدسة إلى السيد هونوريوس بركة الأب الموقر يعقوب 📖

وسائر أفراد بعثة التبشير الكلدان بخدمة الرب يسوع المسيح

نود أن نخبركم بمجموعات الأخ الفاضل أكونينس للكنيسة وهو يحمل روح التواضع الشديد وسط المضايقات والاضطهادات الشديدة التي تحيط بنا من أجل نشر بشاراة الإنجيل ولقد سبق وأن كتبنا لكم فى هذا الشأن فى خطابات عديدة. حالياً نحن نواصل جهودنا فى منطقة قيسارية فلسطين وهذا وسط خطر كبير يحدق بنا من كل جانب من خلال جيوش الوثنيين التى هى متحفزة دائماً للهجوم على من يقوم بنشر كلمة الإنجيل، ونحن إن كنا قليلين فى العدد وسط العدد الكبير من الوثنيين الذين يحيطون بنا من كل جانب، غير أن ثقتنا فى قوة الرب التى تُعد وتمهد لنا الطريق إلى بيت المقدس السماوية، فإتبه من خلال هذه الثقة فإتينا نواصل عملياتنا التبشيرية ضد تعسف الوثنيين أعدائنا غير مباينين بما قد يلحق بنا من مضايقات فى سبيل نشر حق الإنجيل المبارك والتى يمكن أن تواجهنا براً وبحراً.

ولعل القسم الأكبر من المحيطين بنا وهم الشرقيون لا يدخرون أى جهد تحرشاً بالمؤمنين بربنا يسوع المسيح. ونحن قد بدأنا بعيد الفصح رحمة الرب مع رفاقنا الذين جاءوا للعمل معنا وهم من الفرزيين والتيتون، وهم جاليات يقطنون معنا فى المنطقة، وكنا نفضل أن نتجه فى مثل هذه الظروف إلى أرض مصر، حيث نعتقد أن الأمور تكون أيسر حالاً مما نواجهه هنا. والرب يسوع وأمه المطوبة مريم هما بالتأكيد معنا فى كل مكان . ولكن نعلم أنه فى أرض مصر توجد مزايا كثيرة أفضل مما فى هذه المنطقة حيث يتميز المصريون بالكرم ولم يعرضوا غير المسلمين إلى مضايقات كثيرة ولكننا نخضع دائماً لمشيئة الرب.

إننا نجد في مصر أن الشرق والغرب يتواصلان وهو أمر كنا نذكره ونحن نحتفل بعيد صعود الرب يسوع المسيح، أي بعد أن ذاق الصلب والهوان ، ثم قام من الموت في اليوم الثالث، إنه من خلال الألم حصل على المجد. وهكذا نحن نقاسي في حياتنا هذه لكي ننال الأمجاد السماوية التي أعدها الرب للمؤمنين به.

كل هذه الأحداث تذكرنا أيضاً بما واجهه بنى اسرائيل من اضطهاد في أرض مصر وما تعرضوا له من ذبح لأبنائهم وهم شعب الأرض المقدسة التي حصلوا عليها فيما بعد أن خرجوا من أرض مصر بساعد الرب. ونحن الآن في عهد وحكم دوميثيانوس تتكرر معنا الأحداث مرة أخرى.

وكما نعلم جميعاً بأن نهر النيل يمثل العصب بالنسبة لمصر، كما هو الحال بالنسبة لنهر الفرات في أرض بابل، وهكذا فإن هذا النهر يشق الأراضي التي يمر بها، وتجد أن فرعيه وهما فرع دمياط في الشرق والفرع الغربي المتجه نحو الإسكندرية يكونان ما يشبه جزيرة خصبة، ويختلط الرمل بالملح "المقصود به ماء البحر" وكذلك الحال في أرض بابل والتي ذكر أن نهر الفرات هو أحد أنهار الجنة كما جاء في سفر التكوين في توراة موسى. حقاً إن تسياب هذا النهر قد غير تاريخ مصر قديماً وحديثاً. أي أن مصر لم تعتمد على الأمطار في زراعة أراضيها أو في خصوبة تربتها، وهنا فإن نهر النيل يلعب نفس الدور الذي يقوم به نهر الفرات في أرض بابل.

### ❖ ههنا يتجهز الخطاب الثالث ❖



## IV

II  
XV. 570 a) Sanctissimo patri ac domino Honorio, dei gratia summo pontifici I(acobus), divina miseratione Acconensis <ecclesie> minister humilis, tam debitam quam devotam cum osculo pedum reverentiam.

5 b) Dilecti<ssimi>s in Christo amicis I(acobus), divina permissione Acconensis ecclesie minister humilis, in spiritu humilitatis et in animo contrito agno sponso virginum constanter servire Iesu Christo.

Quam arda est via que ducit ad vitam, et pauci intrant per eam: quoniam per multas tribulationes, ut ait apostolus, oportet nos  
R 10 intrare in regnum celorum, et dominus in | evangelio: contendite  
1. 571 intrare per angustam portam, multi pusillanimes et inconstantes ab exercitu domini inexploto voto recedentes multa et varia falsa locuntur, in excusatione sue ignavie solatium querentes. Unde, sicut in aliis litteris de hiis que in exercitu domini fuerunt et ab  
15 initio facta sunt vos certificavi, ita et presentibus litteris de hiis que postea facta sunt vos certificare proposui. Noveritis itaque quod postquam a Cesarea recessimus, in qua cum inagno periculo contra exercitum paganorum, pauci contra multos, in via que ducit Ierusalem munitionem ereximus, media septimana Quadragesime  
20 devenimus ad locum quandam in eadem via Ierosolimitana, qui Districte nuncupatur, ut contra paganorum impetus operarios nostros, qui castrum inexpugnabile supra mare inchoaverant, defenderemus. Interim vero Sarraceni venerunt Cesaream, qui-

1-4: P; 5-7: G; 8-23: PG.

1-56 om. R. 1 Sanctissimo <in Christo> Martine, Rohricht. 2 <ecclesie> restitui. 3 Dilecti<ssimi>s corr. coll. II, 1[a]; VI, 5[b] et 9[c]; VII, 5[b] et 13[u]. 5 quam quoniam P. 12 falsa et falsa G. 13 et excusationem suam, ignavie sue G, cf. comm. 14 in om. G, cf. 15. fuerint P. 15 presentibus, cf. II, 259-260; hiis presentibus G, cf. 191: V, 22; VII, 535. 16 facta] dicta P. certos facere P. 18 exercitus P. ducit in. P. 20 qui Martine: que PG. 21 ut] et P. paganorum om. G.

6-7 Daniel 3. 39. 8 Mathieu 7. 14, voir V. 35-36. 9-10 Actes 14. 21. 10-11 Luc 13. 24. 12-13 falsa locuntur; cf. Ps. 57. 4. 13 Cf. Crane, *Exempla*. 4. 6-7: lepuleculi autem et pusillanimes prelati dum ignavie sue excusationem querunt. 18 pauci contra multos; cf. VI, 192. 22 Cf. I. 137. VII, 181-182

# الخطاب الرابع

dam vero ex nostris, licet pauci, eorum se opposuerunt multi-  
 tudini et aliquot de militibus nostris ibidem interfectis Sarracenos  
 cum principe suo fugaverunt. Nos vero imminente Paschali sollemp-  
 nitate ad Acconensem civitatem sumus reversi, multis autem pere-  
 grinis a nobis recedentibus et repatriantibus nichil magni aggredi  
 ausi sumus. Non multo vero post Pascha divina misericordia nobis  
 succurrente venerunt Frisones et Theutonici cum quadraginta  
 navibus, que *cogones* appellantur. Habito autem communi consilio,  
 cum non possemus estivo tempore obsidere Ierusalem propter  
 aque penuriam — alia vero opida in regno Ierosolimitano in mon-  
 tibus sita nobis quasi inexpugnabilia videbantur — proposui-  
 mus pergere in Egyptum, que terra fertilis est et ditissima super  
 omnes alias que sunt in Oriente, ex qua Sarraceni potestatem  
 habent et divitias ut terram nostram valeant retinere, qua terra  
 obtempa de facili totum regnum Ierosolimitanum recuperare pos-  
 semus. Terra autem Egypti plana est sine montibus, non sunt ibi  
 lapides nec aliquæ munitiones exceptis tribus civitatibus, scilicet  
 Damia et Babylonia, quam ipsi Kayre appellant, et Alexandria,  
 quarum una optenta de facili totam terram nostro subiugaremus  
 imperio. Est autem terra Egypti in multis privilegiata, in qua  
 dominus noster Iesus Christus cum beata Maria matre sua aliquo  
 tempore commoratus est. Vnde in eodem loco, in quo beata Virgo  
 ex itinere Iessa dicitur requievisse, constructa est ecclesia, quam  
 habent : Sarraceni in magno honore. In eadem vero terra multi  
 fuerunt sancti patres, plusquam in aliis mundi partibus; unde  
 adhuc in eadem terra plures sunt christiani quam Sarraceni, qui  
 tamen armorum usum non habent, sed terras excolunt et sub  
 servitute paganorum detinentur. Vltius autem versus Orientem

R  
 XV, 572

#### PG.

25 ibidem om. G. 27 Acconensem civitatem? Accon P. 28 nil mag-  
 num P. 29 sumus ausi P, cf. 90. multum P. 30 quadraginta;  
 L (= 50) P, cf. comm. 33 terra Ierosolimitana P. 34 inexpugnabilia)  
 inexpugnabilia esse P. 41 pr. et om. P. ipsi appellant Le Caire P.  
 44 Maria om. G. 48 fuerunt ... 49 quam? sunt christiani et plures  
 quam P. 51 autem? vero G.

29-31 Voir sur III, 54-55. 30 quadraginta? Le nombre des vaisseaux frisons  
 n'est donné par aucune source, ni même par le *De itinere Frisonum* (éd.  
 Röhrich, SS *min.*, p. 59-70). Mon choix (voir l'apparat critique) présuppose  
 que dans P, un X est tombé devant L; mais le texte n'en reste pas moins  
 douteux, voir l'app. cr. sur VI, 104. 45-46 Cf. II, 297-298. 46-47 Voir  
 sur II, 353-364 (p. 94). 47-48 Probablement allusion aux *Vitas Patrum*.



usque in finem mundi ubique sunt christiani; unde, si per misericordiam dei terram illam optinere possemus, christianam religionem ab Occidente usque ad Orientem continuarem. In eadem  
 55 etiam terra est vinea balsami unde fit crisma, quod nusquam terrarum nisi in partibus illis reperitur. In die vero Ascensionis celebratis divinis dominus patriarcha cum clero et populo ab ecclesia Dominici Sepulcri, que est in Accon, lignum dominice crucis sollempniter asportavit. Est autem crux illa, que quondam abscisa  
 60 fuit ab illa parte dominice crucis, que in bello Sarracenorum quondam fuit amissa; cuius muniti presentia naves ascendimus in Egyptum profecturi. Fuimus autem in portu usque ad diem dominicam sequentem non habentes ventum ydoneum. Die autem dominica in mane <im>misit nobis dominus ventum competentem,  
 65 scilicet Boream, ita, quod duobus diebus et duabus noctibus, transeuntes civitatem Thanis iuxta campos Thaneos, die tertia pervenimus ad insulam ante Damiatam, que sita est inter Nilum fluvium et mare prope ecclesiam sancti Ieremie prophete, qui defunctus est in Egypto. Putantes autem patriarcham, regem et  
 70 alios principes exercitus nobiscum esse, non nisi minores et mediocres invenimus; nichilominus tamen de divino confisi adiutorio armis spiritualibus et corporalibus muniti nostri terram contra inimicos nostros acceperunt, quod miraculose a domino factum credimus. Non minus tamen fuit miraculum quod duobus diebus  
 75 et duabus noctibus a terra promissionis usque in Egyptum navigavimus, cum postea per mensem multi sequentes nos ad exercitum vix pervenire possent, cum etiam a terra Egypti usque ad terram promissionis spacium XL annorum I filii Israel consumpsissent.

R  
 XV. 573

52-56: PG; 56-78: PR, G (= aG).

52-53 dei misericordiam G. 53 possemus obtinere P. 54 usque ad] in G. 56 terrarum om. G. 56 in die; hinc incipit R. 58 dominici] domini et P, domini R. 63 ydoneum] validum a. 64 <im>-misit scripsi coll. II, 32, 101; I<sup>1</sup>, 159-190; I<sup>2</sup>, 90, 92, 145-146. nobis om. a. 70 exercitus om. G. 70-71 mediocres et minores a. 73, miraculoso R. —sum P. a domino factum] factum est et a domino G. 74-75 duabus diebus et noctibus G. 76 menses G. 77 pervenire possent] pervenire potuissent P, pervenissent (cf. 80) R.

56 la 24 mai 1218. 60-61 A Hattin, en 1187, cf. BO, 1118, 27-28: *lignum salutare crucis, quod die illo tenebroso (le 4 juillet) secum in praelio detulerunt, lamentabili infortunio amiserunt.* 62-63 Donc jusqu'au 31 mai 1218 (voir 63-64). 68-69 Sur la mort et l'enterrement du prophète Jérémie en Egypte, voir Olivier de Cologne, *Hist. Damiatina*, éd. Hoogeweg, p. 242-243; cf. Jérémie 43, 1-7. 73 Ps. 117, 23. 74 non minus ... miraculum] cf. VI, 159.



Cum autem patriarcha et rex cum duce Austrie, cum Templariis  
 80 et Hospitalariis post tres dies ad nos pervenissent, mirati sunt  
 valde et gavisii sunt videntes quod tentoria nostra in insula non  
 obstante inimicorum nostrorum foritudine fixissemus. Est autem  
 insula illa ante civitatem Damiate sita, Nilo fluvio interiacente  
 ab eadem civitate separata, que in prima sui parte per tria miliaria  
 85 non habet nisi sabulum cum sale, postea vero per septem dietas  
 usque versus Babyloniam protenditur, plena divitiis et bonis om-  
 nibus habundans, quam plusquam duo milia Sarracenorum, qui  
*Beduini* dicuntur, custodiebant. Nos autem de facili possemus eam  
 optinere et multa tam in divitiis quam in victualibus acquisissemus,  
 90 sed naves nostras cum parte exercitus non ausi sumus relinquere.  
 In illa vero insula statim quando volunt habitatores pullos habent  
 recentes: non enim ova gallinis supponunt ad cubandum, sed in  
 furnis calentibus illa ponentes statim pulli ex ovis prosiliiunt.  
 Nilus vero fluvius, qui alio nomine Eufrates nuncupatur, unus de  
 95 IIII fluminibus paradisi dicitur, qui sine pluviis vel aliqua alia  
 evidenti causa singulis annis mense Augusti mirabiliter excrescit  
 et per totam terram Egypti se transfundens eam fecundam et  
 fertilem reddit, que alio modo non posset fructificare, quia nunquam  
 vel raro pluit in Egypto, et postea ad alveum suum revertitur. In  
 100 hoc autem flumine vidimus monstra quedam que *cocodrilli* nuncu-  
 pantur, gallice autem *cocatrix*, que hominibus et equis insidiantes  
 quicquid dentibus suis attingunt devorant. Per hunc autem flu-  
 vium omnes fere aromaticæ species ab Orientis partibus devehuntur.  
 Est autem aqua fluminis pinguis et spissa et paludosa, que plus  
 105 quam aliquis limus vel marla terram impingat; unde multi ex  
 nostris ex potu aque fluxum ventris incurrentes in | sabulo defuncti

R  
 XV, 574

PR, G (= aG).

79 cum rege et duce G. 80 post] per G. 87 plusquam om. G. 89  
 acquisisse GR. 90 sed ... relinquere om. G. 93 illa om. R, illa po-  
 nentes om. G. 93 vel] nec (et R) sine x. alia om. x. 96 evidenti  
 causa] evidenti P, proevidenti R. in mense x. cf. II, 325-327 (conm.);  
 sed cf. I, 171; I, 100, 106. 100 quedam monstra P, quedam om. R.  
 101 cocatrix R, caucatrices P. 102 suis om. x. 103 devenerunt P,  
 advenient R. 106 fluxum ventris ex potu aque G.

91-93 Cf. BO, 1105, 47-49: in Egypto autem ex ovis gallinarum in clibano  
 calefactis absque matrum cubatu pulli procreantur, unde quot ova habent,  
 tot pullos eodem die predicto artificio, si placet, habere possunt. 93 illa po-  
 nentes] nominatim absolute ou anacoloutho, cf. V, 247-248; VII, 419.  
 100 cocodrilli] Cf. Græven, *Exempla*, 32, 1-23 (= Frenken, *Exempla*, 31, p.  
 113-114); Crane, *Exempla*, 125, 1.

sunt. Cum autem in exercitu domini multos haberemus infirmos,  
 eis formosus hanc gratiam et consolationem contulit, ut loquendo  
 et gaudento et gratias agendo transirent ad dominum. Hoc enim  
 110 solatium recompensavit eis pius dominus, quia patrum et matrum,  
 uxorum et filiorum et amicorum suorum pro Christo relinquerunt  
 consolationem. Mansimus autem in insula predicta III mensibus  
 detenti in expugnatione cuiusdam turris mire fortitudinis, que nec  
 petraris nec instrumentis que *trabucla* dicuntur poterat superari  
 113 nec a parte inferiori sursum eo, quod in medio Nili fluminis inter  
 insulam et civitatem sita erat, a qua ex parte civitatis usque ad  
 ripam cathene ferree protendebantur, ut naves nostre non possent  
 fluvium ascendere. Multi autem ex nostris in expugnatione turris  
 coronati sunt martyrio, plures tamen de inimicis nostris quam de  
 120 christianis occisi sunt. Ereximus autem super naves nostras scalas,  
 quibus ad turrem fieret ascensus, inimici vero nostri proicientes  
 ignem grecum a turre et maximos lapides et tela innumerabilia

PR, G (= 2G).

107 multos om. G. 108 eis dominus hanc hanc om. G, dominus deus  
 talium eis R. 109-110 hoc enim solatium P, hanc enim consolationem  
 R. 110 quia quod G, qui P. 110-111 patrem et matrem, uxores et  
 fratres, filios et amicos (om. consolationem, R. matrum] matrum et P.  
 111 filiorum et] et om. P. 113 turris cuiusdam P, turris om. R. 114  
*trabucla correxi coll. Oliv. Colon. Hist. Damiatina* (ed. Hoogeweg, p. 181, 6-7:  
 turrim capi non posse petrariarum vel trabuculorum ictibus] *trabuta* R, *trabu-*  
*cheta* P, *intrebucheta* G, cf. *adu. cr. ad V*, 182. 116 esset G. 116-117  
 a qua usque ad ripam ex parte civitate (sic) cathene P, a qua naque ad ripam  
 civitatis due cathene R. 118 fluvium, et. 200] per fluvium G, cf. *Röhricht*,  
*SS min.*, p. 120, 7: quod nulla navis per flumen ascendere poterat; 144, 8-9:  
 quod nulla navis per fluvium posset ascendere. ascendere fluvium R,  
 fluvium transcendere P. 120 christianis christianis nostram G. occisi  
 sunt ceciderunt G. nostras om. 2. 122 tela] tela et G.

110-112 Luc 14, 26: *patrem suum et matrem et uxorem et filios] et fratres et*  
*sorores*; Mathieu 19, 29: *fratres aut sorores aut patrem aut matrem] aut uxorem*  
*aut filios*, cf. Crane, *Exempla*, 133, 1-3: ecce quomodo deus diligit peregrinos  
 et consolatur eos qui pro eius amore communem parentum et consanguineorum  
 consolationem reliquerunt; voir également une lettre du pape Honorius III  
 (juillet 1218, Pressuti 1353, Archives du Vatican, 10° III, 1, f. 1): ...Esse  
 non potest qui in fractis pietate amicus grandam amaritudinem sentiat  
 interdum ex eo, quod reliquistis patriam et parentes, sorores et fratres, filios  
 et uxores et exposuistis maris ac terra periculis vosmetipsos...; cf. V, 31.  
 117 cathene ferree] voir Röhricht, *SS min.*, p. XIX, n. 2. 122 ignem  
 grecum] Cf. BO, 1098, 42-43: *Est fons quidam in partibus Orientis, ex cuius*  
*aquis ignis grecus efficitur quibusdam aliis admixtis, qui postquam vehementer*  
*fuerit accensus vis aut nunquam potest attingi nisi aceto et hominum urina*  
*et sabulo. Predicti autem fontis aquas magno pretio comparant Sarrazeni*  
*passage non mentionné par M. Mercier, voir l'index général s.v. feu grégeois.*

- pertrahentes nobis viriliter resisterunt. Ex impetu autem fluminis  
et militum armatorum fracte sunt scale ita, quod valde probi  
123 milites in flumine decedentes compendio martyrii evolaverunt  
Cum autem nobiles et potentes exercitus de expugnatione turris  
iam fere desperarent, quidam homines pauperes, deo devoti et  
numiles, videlicet Frisones, consilio magistri Oliveri Coloniensis  
cancellarii super duas naves sibi invicem connexas et colligatas  
130 mirabilem et a seculis inauditam erexerunt machinam cum magno  
labore et expensis, scilicet duarum milium marcarum. Fecerunt  
enim scalam superius, pontem vero tornatilem inferius et castellum  
scale imminens, per quod totam machinam defenderent. Et quia  
predicti Frisones de virtute sua non presumunt, sed *in deo spem*  
135 *suum* totam ponunt, factis processionibus, premissis ieiuniis cum  
lacrimis et orationibus turrem cum instrumento predicto invaserunt  
Erant autem in turre ducenti et quinquaginta Sarraceni electi  
inter alios pugnatores, qui, proicientes super scalam ignem, primam  
partem, quam ad turrem nostri applicuerunt, combusserunt  
140 Unus autem solus ex nostris valde probus, qui cum vexillo turrem  
intrare conabatur, cecidit et mortuus est, alii vero super aliam  
partem scale sese recipientes inter lapides et inimicorum tela con-  
stantes persistebant. Peregrini vero tam nobiles quam alii in sabulo  
sese proicientes et pulverem super caput suum aspergentes cum  
145 lacrimis et gemitu clamabant ad dominum ut miseretur populi  
sui. *ne forte dicerent in gentibus: ubi est deus eorum?* Nostri vero

PR. G (= aG)

123 resisterunt a. 124 scale fracte sunt G. 127 deo] et deo P, vero R  
128 scilicet P, sicut R. 130 inauditum a. 132 et om. G. 135  
promissis a. 135-136 et orationibus cum lacrimis G. 137 et om. G  
Sarraceni om. G. 141 conabatur intrare G. 144 suum om. a. 145  
clamabant om. G. deum G.

124 valde probi. cf. Crane, *Exempla*, 252, 3: multum probus; cf. 140.  
130 Voir BO, 1118. 49-50: ex quo illud miserabile et a seculis inauditum  
referunt ibi accidisse; Esther 6, 13: inauditis machinis. 131 duarum  
milion marcarum. cf. Donovan, *Pelagius*, p. 42, n. 18. 131-133 Cf.  
Oliver de Cologne, *Historia Damiatina*, éd. Hoogeweg, p. 181, 12-132, 4:  
duos cognos coniunximus trabibus et funibus fortissimis coherentes et socia  
compaginatione vacillandi periculum prohibentes, quatuor malos et totidem  
audentes in eis ereximus, in summitate castellulum firmum asseribus et opere  
reticulato contextum collocantes; contra machinarum importunitatem corus  
testis illud per circumitum et super tactum contra ignem grecum. Sub castel-  
lulo fabricata fuit scala funibus fortissimis suspensa et triginta cubitis ultra  
proram protensa. 133-134 Voir page 17. 134-135 Ps. 77, 7. 140  
voir 124. 145 Voir sur II, 100. 146 Ps. 78, 10, cf. Palmer A. Throop,  
*Criticism of the Crusade* (voir p. 15, n. 2), p. 18, n. 31.

residuum scale combuste turri applicantes lacrimis et orationibus peregrinorum vegetati et in domino confortati per medios ignes et gladios et sagittas et lapides in turreni prosilientes quosdam ex  
 130 Sarracenis interfecerunt; alii vero in partem inferioris turris sese receperunt, et proiecto igne superius cum iam nostri sustinere ulterius fumum et ignem grecum non valerent, in scalam sese receperunt. Submisso vero ponte tornatili inferiori multi ex nostris turrem circumdantes et ante turris hostium per totam noctem ignem  
 133 copiosum accendentes adeo Sarracenos inclusos oppresserunt, quod multi ex eis per fenestras sese in fluvium precipitantes submersi sunt in aquis et perierunt, aliqui vero auxilio suorum evaserunt. Centum vero et duodecim in turre remanentes sese cum turre et armis et victualibus in manus nostrorum tradiderunt. Inimici vero  
 R  
 XV. 376 160 nostri, amissa turre que clavis erat totius terre et patrie et ceterarum civitatum valde confusi sunt et perterriti, nostri vero debitas deo gratias retulerunt et precipue eo, quod tantum decem ex nostris in turrem prosilientes, sicut dictum est, CC et L quibusdam occisis superaverunt. Sarraceni vero vires suas pro posse suo  
 163 colligentes ripam fluminis nobis oppositam ex parte civitatis fossatis, armis, balistis et machinis et viris bellicosis contra nos munierunt, nobis vero valde periculosus et difficilis est transitus propter fluminis excrementum: unde in festo Sancte Crucis in Septembri, quando litteras has scripsimus, nondum fluvium transieramus vel  
 170 civitatem obsederamus, sed preparantes naves et alia ad transitum necessaria novos expectabamus peregrinos, qui fere ex qualibet mundi parte cum multitudine copiosa et innumerabili ad obsidionem

## PR, G (= aG).

149 ex] de G, cf. 174. 151 et proiecto... 152-153 receperunt om. R. 151-152 nostri non possent ulterius (fumum... grecum om.) sustinere, in scalam se G. 154 et om. a. 156 fenestram, ut videtur, G. flamine G. 157 sunt om. G. 159 inimici... 161 perterriti om. R. 160-161 totius patrie et custodes civitatis confusi sunt valde G. 162 eo om. G. 163 in turrem om. a. sicut dictum est prosilientes a. 164 supervenerunt R, fugaverunt G. 167 vero om. a. 171 [ero] vero R. sunt P. 172-173 ad obsidionem ... venire festinabant scripsi] ad

143 in domino confortati] cf. Ephés. 6, 10. 148-149 Cf. V, 61-62. 151-152 Cf. V, 72-73. 158 G et XIII dans la lettre III, 70, cf. V, 52-53 et Donovan, *Pelagius*, p. 42, n. 22. 160-161 (voir 197-198) terra] la contrée où se déroulent les opérations, patria la ville même de Damiette, les castra civilia, celles nommées lignes 40-41? cf. VII, 518-519; voir l'app. cr. 162-163 tantum decem ex nostris] cf. V, 51-52. 163 sicut dictum est] cf. 149. CC et L] cf. 137-138 et V, 53. 168 le 14 septembre 1218.

civitatis, sicut nuntiatum est nobis, venire festinabant. Multi vero  
 ex Sarracenis dum essemus in obsidione ad nos transierunt ut bap-  
 175 tizarentur, multo vero plures devenissent, sed fluvium de facili  
 transire non poterant: quidam enim in flumine submersi sunt,  
 alii vero a suis interfecti. Dum hec in exercitu domini agerentur  
 soldanus, timens sibi ne regnum Egypti amitteret, metuens etiam  
 ex alia parte guerram Sarracenorum in se insurgentium ut regnum  
 180 Damasci sibi auferrent, milites cum armis et munitionibus bellicis,  
 que erant in munitione montis Thabor, misit Damascum, partem  
 vero in Egyptum, munitionem vero quam fere per septennium cum  
 multo labore et innumerabilibus expensis inter Accon et Ierusalem  
 quasi clavum in oculis nostris construxerat, destruxit penitus et  
 185 evertit: a domino factum est istud, et est mirabile in oculis nostris,  
 quia, si universus exercitus domini per annum munitionem destruere  
 posset, ei sufficeret. Civitatem etiam Gibelet timore christiani  
 exercitus destruxerunt et etiam alia opida fere ut credo quinque  
 190 inter Tyrum et Damascum everterunt domino timorem eis immin-  
 tente, et hoc in nobis et pro nobis sine nobis operante. Ut autem ea  
 breviter que in hoc anno presenti dominus operatus est perpendatis  
 — in principio guerre soldanum de campo fugavimus, postea vero  
 casalia eius succendimus et partem terre eius vastavimus, duas  
 munitiones in via Ierusalem, scilicet Districtum et Cesaream,  
 195 firmavimus, montem Thabor et civitatem Gibelet cum aliis quibus-  
 dam munitionibus timore exercitus domini Sarraceni destruxerunt,  
 terram Egypti navigio ingressi sumus, turrem, que clavis erat

173-190: PR, G (=aG); 190-197: PG.

obsidionem civitatis, sicut nuntiatum est nobis (a) festinabant R, venire  
 festinabunt P, veniunt ad obsidionem civitatis, sicut nobis nuntiatum est  
 G. 174 ex] de G, cf. 149 175 multo vero plures] multi vero P,  
 multi vero ex Sarracenis R. venissent a. 175-176 transire  
 de facili G. 176 in om. G. submersi sunt ... 177 interfecti]  
 submersi (sunt add. R) ... interfecti sunt a. 178 sibi (ibi P) timens a.  
 etiam] etiam sibi a. 181 in ... montis] in munitione R, in monte P.  
 181 fere om. a, cf. III, 11. 185 evertit] delevit R, subverterunt P.  
 et est ... nostris] et ... nostris fuit G. 186 universus om. G. 189  
 domino om. G. 189-190 imminente eis timorem R, eis timorem mini-  
 strante P. 190 operante] hinc desinit R. ea om. G. 193 incen-  
 dimus G, cf. V, 176. sue P. duas ... 196 destruxerunt om. P, cf. p. 20.

182 munitionem] la forteresse du mont Thabor elle-même (cf. 193; Deschamps,  
*La défense du Royaume de Jérusalem*, Paris, 1939, p. 26). 184 Nombres  
 33, 55. 185 Ps. 117, 23. 189 timorem ... imminente] Eccl. 36, 2.  
 190 in nobis ... operante] Ps. 67, 29.



universe terre Egypti, in medio fluminis Nili sitam cepimus, cathe-  
nas ferreas, que a turri usque ad civitatem protendebantur ne naves  
200 possent fluvium ascendere, confregimus, pontem etiam ex navibus  
factum iuxta catenas ferreas destruximus:

(b)

solcanus vero pre dolore turris  
mortuus est.

Confidimus autem in domino, quod ipse, qui bene incepit negotium  
205 suum, in proximo feliciter consummabit. *Vt autem consileatur*  
*domino omnia opera eius et mirabilia eius filiis hominum, glorificare*  
*eum et consilemini illi, quia fecit nobiscum misericordiam suam.*  
Orate autem incessanter pro nobis, ut ipse de terra Egypti reducat  
nos in terram promissionis *in columna nubis et ignis*, mare rubrum  
210 nobis pervium faciat, *in terra deserta et in via et in aquosa* nobis  
appareat, aquas Marach nobis dulces faciat, aquas dulces de petra  
deserti nobis eliciat, *carnes in vespere* et manna *in mane* tribuat,  
a serpentum morsibus nos defendat, calciamenta nostra incontrita  
et vestimenta nostra incorrupta custodiat et transito Iordane  
215 terram promissionis nobis *in funiculo distributionis* dividat, ipso  
prestante qui ait: *vado preparare vobis locum: in domo | aulam*  
*patris mei mansiones multe sunt.*

R  
XV, 578

(a)

Hiis autem litteris prescriptis  
et latore presentium festinante  
220 ceteros nuntios recepimus quod

(b)

Orate <pro> sociis nostris  
defunctis, scilicet pro magistro  
Waltero de Tornacho, archidia-

198-217: PG; 218-220(a): P; 218-220(b): G.

198 sita G. 199 ad] in G. 200 fluvium; cf. adn. cr. ad 178. pos-  
sent ... ascendere] fluvium ascenderent P. 200 ex] de P. 204-205  
suum negotium G. 205 feliciter om. G. 206 pr. eius] sua G. 208  
autem] eum P. cf. VI, 230. 210 nobis om. G. cf. adn. cr. ad 212, 215.  
et in via] et om. P. aquosa G. 212 faciat nobis dulces P. 212  
nobis om. G. cf. adn. cr. ad 210, 213. 214 nostra om. P. 215 nobis  
om. G. cf. adn. cr. ad 210, 212. 216 vado vobis parare locum P. cf. comm.  
autem om. P. textus biblicus. 217 mei] nostri P. 218(b) <pro> Rohricht.

202-203 Voir p. 20-21. 204-205 Philipp. 1, 6, cf. VI, 217 et VII, 363-  
364. 205-207 Ps. 144, 10 et 106, 8; Ps. 21, 24. 207 Tobie 12, 6.  
208 Cf. I, 192-193; II, 446 et VI, 230. 209 Exode 13, 21. 209-210  
mare ... faciat] Cf. Exode 14, 16-22. 210 in terra ... in aquosa] Ps. 61, 3.  
211 aquas Marach] Exode 15, 23-25. aquas dulces] Nombres 20, 9-11.  
212 Exode 16, 8. 213 Cf. Actes 28, 3-6. 213-215 Cf. Deut. 29, 5.  
215 Ps. 77, 34. 216-217 Jean 14, 2: in domo patris mei etc. ...  
vado parare vobis locum (3) et si abiero et praparavero vobis locum ...

- soldanus, frater Saladini, qui terram promissionis post mortem fratris sui contra christianos detinuerat, cum audisset quod  
 223 turris Damiate capta esset, vitam malam morte peiore pre dolore finivit. Novem vero naves cum domno Petro Hanibal et quibusdam aliis Romanis in eb-  
 230 domada post festum sancti Bartholomei in portu Damiate applicuerunt. Domnus vero Pelagius), Albanensis episcopus, Apostolice Sedis legatus, cum  
 233 uno principe Romanorum Accon devenit, quem de die in diem cum magno desiderio et spe capiendi civitatem in adventu suo Christi exercitus expectabat. —  
 240 Datum in exercitu Damiate VIII<sup>o</sup> die post Exaltationem Sancte Crucis.
- conco ecclesie nostre, per quem dominus in Acconensi civitate multa bona operatus est. Orate pro magistro Constantio de Duacho, decano ecclesie nostre, pro domno Iohanne de Cameracho, ecclesie nostre cantore, pro domno Reinero, quondam clerico nostro, nunc autem Sancti Michaelis in Accon pastore, pro H. serviente nostro et pro aliis in exercitu christiano nobiscum ministrantibus. Orate etiam pro sociis nostris defunctis qui, nobis in hoc exilio relictis, ad dominum feliciter transierunt, scilicet pro magistro Thoma cancellario Noviomensi, pro magistro Leonio, qui legebat de theologia in civitate Acconensi, pro magistro Alexandro, nepote magistri Roberti) cardinalis, pro Iohanne iuniore de Cameracho, nepote cantoris nostri, qui, relictis omnibus  
 243 pro Christo cum diviciis suis, migravit ad Christum. Quidam autem de familia nostra in expugnatione turris martyrio coronati sunt. Magister vero Reinaldus de  
 250 Barbachon, ecclesie nostre quon-

[a]: P; [b]: G.

230[b] Accon G. cf. 222, 239-240, et passim: Acconensis civitas. 235[b] ante exilio del. s(oculi?) (seculo?) G. cf. adn. cr. ad 257.

228[b] cf. VI, 242[b,c] 230[a] festum] le 24 août. 234-235[a] cum uno principe] Jacques d'Andria, cf. Donovan, *Pelagius*, p. 46, n. 41. 237[b] Un magister Thomas est mentionné par Olivier de Cologne, *Hist. Daniatina*, éd. Hoogeweg, p. 172, 5-6: *magister Thomas theologus et doctor bonus et optimus clars apud Castrum Filii Dei* (c.-à-d. Chastel-Pölarin) *diem clausit extremum*. Mais ce fut avant l'expédition en Egypte et il semble peu probable que les deux Thomas soient identiques. 240-242[b] Cf. p. 10. 241-242[a] La fête de l'Exaltation de la S. Croix tombe le 14 septembre. 242[b]-246 cf. p. 47.

IV. 251-272

dam thesaurarius, cum in nocte  
 Pentecostes matutinas audisset,  
 missa autem de die solempniter  
 celebrata, flexo genu ante altare  
 255 recepit viaticum. Expleto vero  
 vespertino officio iussit sibi ster-  
 ni lectum iuxta capellam no-  
 stram in modico tentorio, nocte  
 vero eum inunximus oleo sancto  
 260 infirmorum. Ipse, continuo ha-  
 bens in ore eum quem fideliter in  
 vita sua predicaverat, imminen-  
 te diluculo cum laude dei et gra-  
 tiarum actione migravit ad do-  
 265 minum. Ego vero per duos men-  
 ses ante Damiatam fere usque ad  
 mortem infirmatus sum, sed ad  
 laborem et dolorem forsitan pec-  
 catis meis exigentibus ad <huc>  
 270 me reservabit dominus, cui est  
 honor et gloria in secula seculo-  
 rum. Amen.

---

G.

237 *ante capellam del. altare G.* 269 ad <huc> scripsi.

---

263-270 Cl. VI, 207-209 et 277-280.





## الخطاب الرابع

أما الخطاب الرابع فقد قام جاك دي فيترى بكتابته  
فى الفترة ما بين ١٤ سبتمبر و٢٢ سبتمبر من عام ١٢١٨م



يوضح هذا الخطاب مدى الاضطراب وعدم الدقة فى تحديد التواريخ فى النص الأسمى اللاتينى. فمن المفروض أن يكون تاريخ الخطاب الرابع يأتى منطقياً بعد الخطاب الثالث، ولكننا نجد أن الخطاب الرابع قد كتبه جاك دي فيترى فى عام ١٢١٧م، بينما الجزء الثانى من الخطاب الثالث جاء فى النص الأسمى عام ١٢١٨م. كتبه جاك دي فيترى أثناء عودته إلى بلاد الشام عندما استشعر عدم وصول إمدادات من الغرب "حملة الامبراطور فردريك الثانى" وركز فى الخطاب على الخطب والعظات الدينية لشحن هم الصليبيين حتى تصل الإمدادات من الغرب.

✠ اكتب من الأرض المقدسة إلى السيد هونوريوس بركة الأب الموقر (يعقوب) ✠  
وسائر أفراد بعثة التبشير المكثفين بخدمة الرب يسوع المسيح

ونحن نعمل كجنود للرب، فإن منا من يكون مريضاً ويتحمل آلام المرض من أجل الرب يسوع حيث أننا نحصل على التغذية من خلال مراحم (رحمة) الرب حيث نجد أن الرب يسوع المسيح قد ذكر في الإنجيل "أن من أحب أمّاً أو أباً أو أخاً أو اختاً أكثر منه "أى من يسوع المسيح" فإنه لا يستحقه". .. فإتينا فى ذواتنا لا نعد شيئاً بالنسبة إلى المهمة المقدسة المعطاة لنا، ولا حتى الرجم بالحجارة يمكن أن يفت فى عضدنا، بل أن الرب ذكر أن المؤمنين به يجعل الروح القدس تفيض أنهاراً من الماء الحى وهو ما على عليه الرب يسوع المسيح عندما سأله واحد ما أعظم الوصايا فى الناموس فقال له "تعب الرب إلهك من كل قلبك ونفسك وتعب قريبك كنفسك" وهكذا فإن السؤال الموجه إلينا دعماً "أين قلبك؟" أى ما يشغل بالك. فهذا هو الأمر الهام الذى يجب أن نشغل أنفسنا به. وهكذا فإننا نتضرع دائماً من خلال الصلاة ، ودموع منهمة تفيض أنهار الروح القدس فى قلوبنا وتخضع أنفسنا للرب، ولا نخشى السيوف والسهام والحجارة؛ ونحن نواجه كل المخاطر.

هذا هو مشروعنا الذى نوجه كل مجهوداتنا له، وهذا يتطلب منا الخضوع التام لمشيئة الرب لكى يوجهنا كما يشاء، ويشاركنا فى ذلك كل الأحباء المخلصين للرب من خلال النعمة التى يهبها الرب. هذا الإيمان هو بمثابة النور الذى يبدد ظلمة المضايقات التى تحدق بنا، وكذلك الجسر الذى يوصلنا إلى هدفنا السماوى، ونحن نتحرك من خلال هذا الدعم فى كل الأماكن لا نبالى بما قد يصادقنا من أخطار كما قال حزقيال النبى: "نحمل كالمياه التى تتحرك تلقائياً، أو دعونا نقول، إننا بمثابة سفن مستعدة لكى يحملها التيار إلى المرفأ الذى يقصده الرب".

لقد حل عيد الصليب المقدس فى شهر سبتمبر ونحن نتأمل قول الرب يسوع  
"لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد، بل من الذى يهلك الجسد والنفس فى نار جهنم ."

وهكذا تجعل عيوننا الروحية متجهة إلى رب ، فلا نبالى فى حربنا ضد من  
ينصب نفسه عدواً لنا مهما كان يملك من أسلحة. حدث ذلك ونحن نتجه نحو دمشق  
وصور .

لقد نال منا التعب مبلغاً كبيراً ونحن ننتقل بين عكا وبيت المقدس، وسمعنا  
فى تلك الأثناء أنه قد حدث هجوم على أرض مصر فتذكرنا قول الرب يسوع :  
"بدونى لا تقدرون على أن تفعلوا شيئاً" وهكذا فإتينا نبشر من خلال قوة الرب معنا، ونحن  
فى هذه الحرب كجنود للمسيح لا يمكن أن يهرب واحد وهو يملك كل هذه الوعود  
الثمينة، ولعل أبرزها ما قاله داوود فى مزمور ١٧، ٢٣ "من قبل الرب كان هذا وهو عجيب  
فى أعيننا". وكان يقصد خلاص الرب الذى يهبه للمؤمنين به. وكل جندى يضع الموت  
نصب عينيه فلا يحفل به إذا ما أنشأ أظفاره فيه.

نحن نتق أن الرب الذى رعى شعبه فى الصحراء وكان يقودهم بعمود نور  
فى وسط المسحاب أى أنه كان يتولى توجيههم، ويحدد الجهة التى يجب أن يسيروا  
فيها رغم مخاطر الصحراء، بل أيضاً لم يتأخر فى إمدادهم بالماء والعلف ، ولم  
تستطيع الحيات أن تؤذيهم ، ولا أن تبلى جلود أحذيتهم ، حقاً كان الرب يحفظ شعبه  
إسرائيل ولم يتأخر عنه فى عبوره البحر الأحمر. وتكرر نفس الأمر عندما عبر شعب  
إسرائيل نهر الأردن . ولا ننسى وعد الرب يسوع لجيميل "أنا أمضى لأعدكم مكاناً ومتى  
أعددت هذا المكان آتى لأخذكم حيث أكون تكونون أقم أيضاً صلوا من أجل رفائلا الذين رقدوا فى  
الرب ولاجل رئيس خدم الرب "والسردى توناكو" وكذلك الأخ سلايينى، وكذلك أولئك الذين  
قاتلوا السيد بيتر وهاننيال .. والذين واجهوا الرومان، وكان هذا فى عيد القديس  
بارثليميو فى ميناء دمياط ، وكذلك الأسقف البانيمنس، وكذلك الكرسي الأسقفى، ونحن  
جميعاً نعمل عمل الرب بكل حمية ورغبة.

كانت هذه الرسالة فى اليوم الثامن بعد عيد الصليب المقدس. أخيراً لاتنسوا أن تصلوا لأجل كونساتنس دى دواكو، وهى خادمة فى كنيسةنا المقصود بالخادم هنا المعنى الروحى وليس المعنى الحرفى للكلمة وهى بمعنى "عامل" وكذلك السيد يوحنا وهو يعمل فى كورسى الكنيسة، وكذلك السيد "رينو" فى هيلة رجال الدين، وكذلك القديس ميخائيل، وهو يعمل راعياً، وكذلك الآخرين الذين يعملون فى الجيش المسيحى لخدمة الإنجيل، صلوا أيضاً لأجل أولئك الذين رقدوا فى الرب، وكذلك للسيد توما والسيد ليونو والذى كان يتولى للتعليم، وأيضاً السيد إسكندر وهو ابن أخ يعمل فى كورسى الكنيسة، وكذلك للشهداء الذين نالوا الأكاليل، والآن نحن نحتفل بعيد يوم الخمسين "وهو أحد الأعياد اليهودية التى احتفل بها المسيحيون فيما بعد" وقد قمنا بدهن المرضى بالزيت المقدس فى سر المسحة للمرضى وليكن المجد للرب فى كل الأجيال .. آمين.

فبنتمة المسيح وبركة الأسقف "يعقوب" ترسل إليكم هذه الرسالة، وذلك فى عام ١٢١٧م من تجسد المسيح وذلك بخصوص ملك المجر، وملك قبرص قائد النمسا وملك بيت المقدس الذين يلعبون دوراً بارزاً فى الأحداث المحيطة بنا، حيث أن الحروب التى نشبت فى كل مكان قد أتت على شجر الزيتون وكل الأشجار دلالة على الخراب الذى حل فى كل جهة حيث أن الاعتداءات التى قام بها بفسورت ومن بعده بليفاى والتى أصابت قيسارية فيليب قد قضت حتى على الحيوانات المفترسة. تذكرنا ذلك ونحن نحتفل بعيد الظهور الإلهى "وهو عيد ميلاد المؤمن الروحى بذكرى معمودية المسيح" أو بمعنى آخر "عيد المسيح على يد يوحنا المعمدان" حيث تكون الأعياد فرصة للتأمل والخروج عن الأساليب العادية فى حياتنا وفى تلك الأثناء هجم ملك قبرص على مدينة طرابلس مما سبب خسائر فادحة وكذلك قام جيش كبير بالهجوم على قيسارية فيليب وهى تقع بالقرب من بيت المقدس.

وقد قام القادة بدور كبير فى درء الخطر عن البلدان. وكانت كنيسة كولونيا والكنائس فى أسبانيا قد لعبت دوراً هاماً فى التقليل من الخسائر. وتم عقد كثير من الاجتماعات لمناقشة الأوضاع الخطيرة، وقد أحسنا بقوة الروح القدس علينا فى عيد الصعود حيث كنا نستمد منه الدعم ونحن نتحرك فى البحر. وهكذا فإن للتجارب التى تقوى الإيمان وتنبع من داخلنا أنهاراً من ماء حتى كما قال الرب يسوع للمسيح فى إنجيل يوحنا حيث أنه رغم الطرد والتكيد الذى يحيط بالمؤمنين فإن إيمان المؤمن لا يضعف بل يزداد حيث أننا نتحرك وفق الإرادة الإلهية.

وإننى الآن أواصل الدراسة فى الكتاب المقدس ، بالإضافة إلى الصلاة، حيث أن هذا هو الطريق الذى يجعلنا نتحمل الآلام والشوائم التى توجه إلينا من الأعداء إذ أن الرب يسوع للمسيح يمد يده ليقدم لنا العون فنحن من خلال صليب يسوع المسيح نحقق النصر ولهذا فهو يستحق التسبيح والحمد فى كل الأجيال.

آمين

❖ **نحن ينتهي المطالب الرابع** ❖

~~~~~

الخطبة الخامسة

Sanctissimo patri ac domino Honorio, sancte et universalis ecclesie summo pontifici I(acobus), divina providentia Acconensis ecclesie minister humilis, tam debitam quam devotam cum osculo pedum reverentiam.

- 5 Cum orientalis ecclesia ab origine sua, instar illius *regine*, que a dextris regis in vestitu *deaurato*, virtutum *circumdatus* varietate astitisse perhibetur, prerogativa regionis floruerit et sue lucis radios ad partes occidentales transmiserit, a tempore peritidi Machometi usque ad tempora nostra, consenescentis mundi die
10 vergente ad vesperam, passa eclypsim tetendit ad occasum, immo fere pervenit ad defectum; et que crebris pressurarum tonsionibus concussa, sevientis inimici vibratam hastam, cedere nesciens, ad pugnam edocta[m] constanter sustinuit, fallacibus pseudoprophete persuasionibus et carnali[du]s voluptatis illecebrosis fluxibus emol-
15 lita et miserabiliter irretita, immo graviter sauciata, succubuit, et que *nutrita erat in croceis*, amplexata est *stercora*, derelicta a domino tanquam *umbraculum in vinea* et tanquam *lugarium in cucumerario*. Que tamen in quibusdam membris suis, quasi pauci *racemi finiti vindemia* et *paucæ oleæ* post concussionem olive, quasi Iob in terra
20 Hus et Loth in terra Sodomorum, quasi *lilium inter spinas*, inter

1-4: P; 5-20: P. *Historia Orientalis*, c. XV (BO, 1064, 7-20).

1-43 om. R. 3 *formulam salutationis restitui*: tam devotam quam debitam P. 5 cum] cum autem BO, 7. regine BO, 7] regionis P. 6 virtutum om. BO, 8. 7 religionis BO, 9. 8 radios; primitivos radios BO, 9. a] et a BO, 10. 9 nostra BO, 10] nostri P. 10 eclypsim passa BO, 11. 12 vibrantem BO, 13. 13 edocta BO, 13. 14 carnalis BO, 14. voluptatis BO, 14] voluntatis P. 14-15 emollita BO, 15] emolita P. 15 immo; quin imo BO, 15. 15-16 et amplexata est stercora que nutrita fuit in croceis BO, 15-16. 16 derelicta a domino] Et propter hoc a domino derelicta est BO, 16-17. 18 tamen BO, 18] tantum P. 19 post] cum P, corr. Martène. quasi BO, 19] que P. 20 Hus BO, 19] hac P. terra] regione BO, 19.

5-29 = *Historia Orientalis*, ch. XV, ad quantam miseriam devenerit orientalis ecclesia (BO, 1064, 7-28). 5-6 Ps. 44, 10. 10 Cf. VII, 199. 11 Cf. Grégoire, *Moralia*, XXX, 14 (Migne, PL LXXVI, 532-A): *tribulationum praesentium tonsionibus*. 16 *Lamentations* 4, 5. 16-17 *Isaie* 1, 8. 18-19 *Isaie* 24, 13. 19-20 Cf. *Job* 1, 1: *Vir erat in terra Hus, nomina Iob*. 20 Loth] *Genèse* 13, 12. — *lilium inter spinas*; Cant. des Cant. 2, 2.

malleum et incudem adhuc perseverans, cogitur proclamare:
o vos omnes qui transitis per viam, attendite et videte si est dolor sicut
dolor meus: filios enutriti et exallati, ipsi autem spreverunt me;
quonodo obscuratum est aurum, mutatus est color optimus; nolite
 25 *me vocare Noemi, id est pulchram, sed vocate me Marach, id est ama-*
ra <m>, *quia amaritudinibus me replevit omnipotens.* Hiis vocibus
 vidua pauperula tempestate divulsa non cessat clamare et coram
 domino genua flectere et ad ostium misericordie eius indesinenter
 pulsare, cuius afflictionem dominus respiciens in diebus nostris
 30 multis eiusdem ecclesie filiis inspiravit ut matris sue compaterentur
 doloribus; qui relictis uxoribus et filiis et venditis terrenis here-
 ditatibus, ut meliorem et eternam in celis consequerentur heredita-
 tem exierunt de terra et cognatione sua et de domo patris sui—egre-
 dientes ad ipsum extra castra, improprium eius et stimata in corpore
 R
 XV, 380 35 *suo portantes, contendentes intrare per angustam portam, | ardam*
viam peregrinationis, que ducit ad eternam patriam, ingressi — et
labores multiplices pro nomine Christi sunt aggressi. In huius autem
 tam copiose messis ubertate benedicens dominus corone anni be-
 nignitatis sue, messuit myrram cum aromatibus suis, comedit asinum
 40 *cum melle suo, bibit vinum cum lacte suo:* quidam enim maximis
 tempestatibus, alii variis infirmitatibus, quidam vero proprii
 sanguinis effusione a torcularibus huius presentis et contemptibilis
 vite ad celestia cellaria, ad celi palatia, ad eterna gaudia transierunt.

21-29: P, Historia Orientalis, c. XV (BO, 1064, 20-28); 29-33: P.

23 vocari P, corr. Martène. Mara BO, 24. 25-26 amarum BO 24.
 26 me amaritudinibus BO, 24. hiis: his et consimilibus BO, 25.
 27 non... 29 cuius] dum clamare non cessaret et coram piissimo domino
 genua flectere et ad ostium misericordie eius sue intermissione pulsare
 non desisteret, eius BO, 25-27. 29 afflictionem et humiliationem BO, 27.
 33 de (domo) scripsi coll. de terra et Gen. 12, 1] a P. 38 domus] domus
 dominum P. anni] domus] agni P. 38-39 benignitas P, corr. Martène.

22-23 Lamentations 1, 12. 23 Isaie 1, 2. 24 Lamentations 4, 1.
 24-26 Ruth 1, 20. 29 Genèse 31, 42; Exode 4, 31, cf. II, 63-64; VII, 146.
 — respiciens] respiciens, cuidam pauperi et religioso homini de regno Francie,
 in Andrianensi episcopatu (Amiens) vitam eremiticam agendi, qui et Petrus
 Eremita dicebatur, inspiravit quatenus sepulchrum dominicum et loca religiosa
 et reverenda visitaretur cum multo labore et periculo Hierosolimam adiret
 BO, 1064, 28-31. 31 Cf. IV, 110-111. 32 Cf. I Pierre 1, 4. 33
 Genèse 12, 1. 33-35 Hébreux 13, 13 et Galates, 6, 17. — stimata] voir
 p. 64. 35-36 Luc 13, 24 et Mathieu 7, 14 (quam... arda via est que
 ducit ad vitam, cf. IV, 8). 38-39 Ps. 64, 12. 39-40 Cant. des
 Cant. 3, 1.

Postquam enim duce domino in portu Damiate iuxta campos
 45 Thaneos supra Nili fluvium applicuimus, magna pars exercitus
 domini quasi ad epulas invitata orans et *exultans in domino* per
 totam estatem fere absque ullo dolore *obdormivit in domino* de
 fluxu ventris. Inminente autem hiemali tempore cum iam turrem
 50 fortissimam que in medio Nili inter nos et civitatem sita erat,
in manu forti et brachio extento, cum magno labore et sanguinis
 effusione nostri mirabiliter expugnassent ita, quod decem ex nostris,
 qui per scalam turrem ingressi sunt, CC et L ex adversariis partim
 interiecerunt, partim in captivitatem redegerunt, confregimus et
 55 catenas ferreas que a turri in civitatem protendebantur ne naves
 ad superiora fluminis possent ascendere. Sarraceni vero tot naves
 in flumine submerserunt totque alia obiecerunt impedimenta, quod
 per totam hiemem in sabulo super fluvium commorantes nec naves
 nostras ad superiora fluminis protrahere, nec fluvium ut ex pro-
 pinquo civitatem obsideremus potuimus pertransire, exceptis
 60 paucis admodum navibus quas cum magno periculo inter turrem
 et civitatem, per lanceas et spicula et lapides et ignem et ictus
 petrariarum deduci fecimus, paucis tamen ex nostris interemptis.
 Venerabilis autem pater Albanensis episcopus, Apostolice Sedis
 legatus, absque dampno rerum suarum et personarum cogonem
 65 suum fecit ad superiora fluminis protrahi, ego vero meum cum
 ducentis fere hominibus, quibusdam tamen ex illis interfectis et
 vulneratis, deduci feci, post hec vero barbotam meam cum viginti
 hominibus in flumine amisi, quorum sex captivi ducti sunt, reliqui

PR. (=a).

44 postquam] hinc incipit R. 44-45 iuxta ... supra] in ... iuxta P.
 campos Thaneos *correx* coll. IV, 66] campotaneos a. 46 domini] nostri
 R. invitati R. 47-48 obdormivit ... ventris] fluxu ventris obdor-
 mivit in domino R. 48 turrem] terram P. 51 expugnaverunt R.
 52 CCL R, cf. IV, 163. 52-53 partim interiecerunt om. R. 53 reduxerunt
 R. et om. R. 54 catenam ferream R, cf. IV, 117, 198-199, 201.
 pertendebantur P, cf. IV, 117, 199. 55 vero om. R. 56 obtexerunt R.
 57 super fluvium *scripsi* coll. VII, 174; Crane, *Exempla*, 232, 6] fluvium [om.
 super] P, super flumine R, fluminis *Rührich*. 58 nostras om. P. 58-59
 protrahere, nec ... potuimus *scripsi*] protrahere (cf. 54, 63) nec ... potuimus
 P, protrahere non poteramus nec ... potuimus R. 59 fluvium ut om. R.
 60 cum om. P, cf. 50. 61 et lapides] et om. R. 62 tamen om. R. 65
 protrahi fluminis P. 66 hominibus fere P, cf. 70. interfectis et om. R.
 67 vulneratus P. 68 amisi in flumine R. quorum om. R.

46 Cf. Luc 14, 16-24. — [isaie 41, 16. 47 Actes 7, 60. 50 Deut. 5, 15.
 51 Cf. IV, 162-163. 52 CC et L] cf. IV, 163. 61-62 Cf. IV, 148-149.

R' vero pugnando | viriliter interfecti sunt. Cogo autem Templariorum,
 XV. 581 70 cum prope civitatem pertransiret cum triginta fere hominibus,
 a Sarracenis est detentus; qui tamen viriliter resistentes, postquam
 multos ex adversariis occiderunt et cum iam amplius ingredientium
 Sarracenorum impetum sustinere non possent, circiter quingentos
 75 Sarracenos armatos secum in flumine cum navi submergentes, ad
 modum Samsonis *plures moriendo quam vivendo* peremerunt. In illa
 autem hieme non multi ex nostris, multi autem ex Sarracenorum
 militibus nostrorum gladiis interempti sunt: nam die quadam,
 cum multi ex Sarracenis cum galeis suis galeas nostras vellent
 invadere, plusquam mille qui in terram ex parte nostra descende-
 80 rant, a paucis militibus nostris partim interfecti sunt gladio,
 partim in flumine perierunt. Non longo post tempore cum quadam
 die multi ex Sarracenis fecissent quendam pontem in superiori
 parte fluminis ut ad nos transirent, pauci ex militibus nostris
 occurrentes plusquam duo milia interfecerunt. Multi autem ex
 85 Egyptiis dum fugerent eo, quod dominus pro nobis pugnaret, *submersi*
sunt quasi plumbum in aquis vehementibus, nostri vero sani et
 incolūmes, duobus tamen martyrio coronatis, ad castra cum magno
 triumpho redierunt. Non tamen divine placuit providentie illud
 tempus hiemale, quo morati sumus in sabulo, absque multiplici
 90 lucro animarum pertransire: inmisit enim dominus nostris morbum
 nulla arte medicorum curabilem, morbum contagiosum absque
 fisicis rationibus magne parti exercitus nostri divinitus immissum

PR (=a).

69 vero P. 70 transiret (sic) R. 72 exj de P. 73 circa R, cf.
 171, 252[a]; Greven, *Exempla*, 18, 19-20 (=Frenken, *Exempla*, 18, 3).
 76-77 Sarracenorum militibus; Sarracenis (cf. 73) P. 77 sunt interempti
 R. die quadam, cf. 171, 271; in die quadam R; cf. 82-82. 78 galeas
 nostras *Rührich?* galleis nostris R, galleas suas P. 78-79 vellent invadere;
 possent evadere P. 79 in terram] ad terram Egypti P. descenderunt
 P. So nostris militibus R. sunt om. P. 81 longe post tempus
 P. 82 multi ex Sarracenis] om. P. cf. adu. cr. ad 83. quendam om. R.
 83 transirent] transirent Sarraceni P. cf. adu. cr. ad 82. pauci om. P.
 84 occurrentes] *nescio an scribendum sit <eis> occurrentes.* *nescio an*
scribendum sit duo milia <ex ipsis> coll. 174, cf. VI, 32. 86 sunt om. R.
 87 duo tantum coronat (sic) sunt martirio, ad R. castrum R. magno
 om. P. 88 non placuit tamen divine provintie (sic) P. 89 sumus]
 sunt] P. 90 nostris om. P. 92 rationibus om. R.

72-73 CL IV, 151-152. 75 Juges 16, 30; même comparaison chez Olivier
 de Cologne, *Hist. Damiasina*, éd. Hoogeweg, p. 195, 1-2. 85 Exode
 14, 25. 85-86 Exode 15, 10. 86-87 Voir sur I, 191.

vel ad purgationem peccatorum vel ad maiorem promerendam coronam: femoribus enim et tibiis primo ingrescentibus et deinde
 95 putrescentibus, carnibus etiam superfluis in ore subcrescentibus, diutius absque dolore magno languentes et paulatim corde deficientes cum suis loquendo et iugiter deum deprecando, more dormientium claudentes oculos et spiritum suum domino commendantes relictis corporibus ad gaudia supernorum civium evolabant. In
 R 100 diebus illis venerabilis pater magister R(obertus) de Corson, |
 XV, 581 tituli sancti Stephani in monte Celio cardinalis, vir litteratus et devotus, affabilis, liberalis et benignus, *zelum dei* habens et liberationem terre sancte ardentem desiderans, feliciter migravit ad dominum, una cum venerabili patre Parisiensi episcopo et quibusdam
 105 aliis nobilibus qui se et sua domino optulerant, *quorum nomina scripta sunt in libro vite*. Ex asperitate autem hiemis et terrore frigoris preter solitam habundantiam fluvii et maris intumescens inundationem multi ex nostris, longe autem plures ex Sarracenis interierunt, et nisi dominus misertus suorum mirabiliter avertisset
 110 dum aqua marina subito et cum impetu ad castra nostra perveniret, vix aliquis ex nostris evasisset; sed nostri divinitus ut credo inspirati paulo ante amplum fossatum fecerant in sabulo circa castra nostra, non quia maris inundationem quam nunc advertabant timuerunt, sed ut naves nostras absque periculo ab inferiori parte
 115 fluminis ad superiora per fossatum trahere valerent. Cum autem aqua maris sevientis et ripas per unum miliare versus castra nostra

PR (=a).

93 peccatorum purgationem P. cf. VI, 167. 94 coronam] personam P. enim om. R. et deinde ... 95 subcrescentibus om. R. 96 magno labore R. 98 suum om. R. 100 magister] noster P. 102 zelum domini R. sed cf. I Macc. 2, 54. 103 sancte terre R. 105 nobilibus, cf. VII, 487] *fortasse nobilibus <viris>*, cf. 253, 256-257 et VI, 200 (cf. p. 52). optulerunt R. 106 in celis vel libro vite P. terrore, quod non recte traditum sit dubitari licet in tempore P. 107 fluvii om. R. 108 inundatione P. longe autem plures] plures tamen R. 109 miserabiliter P. 110 et om. R. cum impetu post castra nostra R. 111 ut credo divinitus P. 112 paululo R. fecerunt P. 113 nostra om. P. 114 inferioris P. 115 autem om. R. 116 maris aqua P.

93-94 Cf. VI, 167-168. 94 coronam] cf. I Cor. 9, 25. 98 spiritum suum etc.] cf. I Pierre 4, 19; Ps. 30, 6 = Luc 23, 46. 99/100-104 Voir Greven, *Frankreich*, p. 19, n. 14-15. 102 zelum dei] I Macc. 2, 54. 104 Pierre, évêque de Paris depuis 1208; cf. Guillaume le Breton, *Gesta Philippi Augusti* (*Recueil des historiens des Gaules*, XVII (1818), p. 92-A, B. 105 se et sua] voir l'app. cr. sur II, 233. 105-106 Apoc. 13, 8 et 17, 8, cf. 21, 27. 110 subito et cum impetu] cf. II, 41-42.

egredientis metas consueta excedens redundaret, quidquid invenit
extra fossatum nostrum submersit, scilicet tentoria cum victualibus;
quibusdam autem ex nostris submersis, alii, qui se intra fossatum
120 receperunt, per dei gratiam evaserunt. Cum autem ad fossatum
perveniret et ab alveo fossati usque ad alveum fluminis perflueret,
ruptum est fossatum nostrum ex parte castrorum nostrorum in
quibusdam locis, et cum iam inciperemus submergi obicientes vela
navium cum tabulis et sabulo et cadaveribus animalium submer-
125 sorum, cum ingenti labore, sicut domino placuit, tam periculosum
et improvisum diluvium evasimus. Interim autem, cum hec ageretur
a nostris, venerabilis pater Albanensis episcopus, Apostolice
Sedis legatus, una cum patriarcha Ierosolimitano et | archiepiscopis
et episcopis et universo clero, indicto a principio triduo ieiunio
130 in pane et aqua, qualibet VI^a feria cum psalmodia, letania et devotis
supplicationibus nudis pedibus in processione procedentes popu-
lum exhortaba<n>tur ut clamarent ad dominum et divinum
implorarent auxilium, in illo solo spei anchoram ligendo qui salus
est humilium, consolator afflictorum et miseriarum medela, qui
135 non in fortitudine equi voluntatem habebit nec <in> tibiis viri bene-
placitum erit ei, qui potens est vincere quando vult et quomodo
vult, eque in paucis ut in multis. Omnia autem prostibula et eos
qui tabernas ad potandum frequentabant, eos etiam qui cum
decis et aleis ludebant tam sanctum negotium quantum in se erat
140 fedantes et corruptentes, † partim per excommunicationis senten-
tiam ab exercitu Christi vir providus et in officio sibi commisso

PR (=a).

117 invenit om. R. 119 inter R. 121 ab alveo fossati om. R. per-
flueret Rährich] perfluat a. 122 nostrum om. R. 123 iam om. R.
mergi R. 124 cadavera R. 126 invasimus R. autem om. R.
129 indicto ieiunio (sic) a primo triduo (sic) R; cf. Olin. Colon. Hist. Dan.,
ed. Hoogweg, p. 191, 3: premissis triduo ieiunio. 130 in] et in R.
XI^a R^a, cum R. letania] et letania R. 130-131 devotis orationi-
bus R. 132 exhortaba<n>tur Martine. ad dominum] in celum P.
cf. II, 100. 134 consolator] et consolator R. miserorum R.
135-136 nec ... ei] et cetera P. 136 quando vult vincere P. 138 tha-
bernarn R. 139 ludebant post corruptentes (140) P. 140 fedantes]
defendentes R. † partim] corruptelam statui: desideratur alt. partim.
141 ab exercitu om. R. vix] vix R.

131 procedentes, cf. 127-129] voir sur II, 231-232. 132 Voir sur II, 100.
133 (VII, 131) Hébreux 6, 18-19. 133-134 salus ... humilium] cf. Ps.
36, 39. 134 miseriarum medela] cf. Eccli. 38, 2. 135-136 Ps. 146, 10.
141-142 Voir p. 21, n. 1.



- sollicitus eliminabat. Imminente vero Quadregesima misertus dominus afflictionis populi sui cum iam naves per predictum fossatum ad superiora fluminis cum magno labore traxeremus, fluvium autem
 145 absque magna sanguinis effusione transire nequaquam valeremus, inmisit dominus regi et exercitui Egyptiorum tam pingui unum formidinis aculeum, quod nocte fugientes castra sua cum tentonis et parte magna supellectilis sue et navium et animalium nobis relinquerunt. Illi vero qui erant in civitate, videntes dominum suum cum universo
 150 exercitu suo a facie nostra fugisse, fugerunt ex maiori parte ita sese comprimantes in porta, quod fere mille utriusque sexus, in compressione suffocati, mortui sunt; alii vero omnes fugere proposuerant et nobis vacuam relinquere civitatem, sed nostri festinantes et summo mane fluvium absque hostium impedimento
 155 transeuntes cinxerunt undique civitatem, tam per aquam quam per terram eam obsidentes, pontem etiam fortissimum super naves fabricaverunt ut hii, qui in sabulo ex parte alia ad custodiendum fluvium et portum remanserant, si opus esset, auxilium absque mora et impedimento ferre possent. Audiens autem Coradinus rex
 160 Damasci fratrem suum, scilicet soldanum Egypti, predicto modo fugisse, congregata multitudine copiosa Turcorum descendit ad partes Egypti ut fratri suo et civitati obsesse | succurreret festinanter. Sed et illis, qui iuxta Eufraten fluvium commorantur et qui in partibus Babylonie et Alexandriae, in partibus etiam orientalibus
 165 valde remotis habitant, in unum contra nos congregatis, nostris non visum est expedire tante multitudini cum armis occurrere eo, quod magna pars ex nostris egritudine detinebatur, equi vero nostri ex maiori parte per totam hiemem mortui fuerant, residui vero debiles erant et macilenti. Habito autem consilio ex utraque parte fossati
 170 cum propugnaculis nostrum cinximus exercitum, Turci vero tam per fluvium cum galeis quam per terram cum gladiis, arcubus et

PR (=α).

144 fluvium autem] et fluvium P. 145 effusione sanguinis P. 146 regi ... unum] regi Egyptiorum et exercitui eius tam fugitivum R, sed et unum (P) num sanum sit dubitari licet. 147 fugientes Röhrich] fugiens P, fugere si R. 150 maiore P, cf. 168. 151 se R. componentes R. 152 mortui om. R. vero] autem P. 153-153 proposuerant R. 154 hostium om. R. 155 civitatem undique R. 156 eam om. R. 157 fecerunt R. 162 partem R. festinanter post Babylonie (164) R. 163 fluvium Efraten R. 164 Alexandria et Babilonio R, cf. IV, 41. 165 habitaba <n> t R. 166 tante multitudini expedire P. 168 fuerant ... 169 erant] fuerunt ... fuerunt R. 169 autem om. R. 170 nostris R.

147 nocte] dans la nuit du 4 à 5 février 1219.

balistis ex parte fossati in sabulo insultum acerrimum contra nos
 facientes, divino nos protegente subsidio ad castra sua confusi
 redierunt, duobus fere mīibus ex ipsis partim interfectis, partim
 175 vulneratis; de nostris autem pauci admodum interfecti sunt, qui-
 dam autem leviter vulnerati, sed et machinam vehementer succen-
 sam, quam super naves fabricatam ad pontem nostrum ut ipsum
 comburerent transmiserant, absque aliquo pontis dampno, nostri
 retinuerunt. Extunc autem expectabant Sarraceni ut, quando in-
 180 sultum in civitatem faceremus, ipsi ex alia parte insultum in castra
 nostra facerent et ita nos ab impugnatione civitatis retraherent et
 impedirent. Nos interim petrias, trabucula, scalas et alia bellica
 preparantes instrumenta, sub terra etiam fodientes ut turres muro-
 rum deiceremus vel civitatem per meatus subterraneos ingredi-
 R 185 mur, | confidimus in domino, quod civitatem tradet in proximo
 XV. 585 in manus christianorum: pauci enim in civitate remanserunt et
 victualium penuria quam plurimum affliguntur. Coradinus etiam
 cum magna parte exercitus in proximo recedere † cogeatur eo,
 quod audierat soldanum Yconii et regem Armenie et filium Saladini
 190 cum innumerabili multitudine tam equitum quam peditum fines
 eius ex parte Halapie et Damasci ingressos et contra ipsum Coradi-
 num ut terram suam sibi auferrent pugnatueros. Optenta autem a
 nostris civitate Damiate, que clavis est totius Egypti, adiuvante
 domino totam terram residuam de facili Christi subiciemus imperio,
 195 et sic demum *cum gaudio et exultatione*, cum triumpho et grati-
 arum actione ad terram promissionis ducente domino et orationibus
 vestris cursum nostrum dirigentibus revert[re]mur.

172-185: PR (=a); 185-197: P.

174 fere] vero P. 174-175 partim vulneratis, partim interfectis P, cf.
 V, 52-53, 66-67 et 80-81; VI, 194-195 et 199. 177 supra R. ipsum
 om. R. 181 ita om. R. civitatis em. R. 182 trabucula, cf. adu.
 cr. ad I', 114] tribuceta P, tribucca R. 185 confidimus ... 218 om. R.
 188 in proximo recedere † cogeatur] corr[uptam] statui. 189 Yconie P.
 corr. Röhricht. 197 revert[re]mur RJaricht.

192-194 Ce même sentiment est exprimé dans une lettre du pape Honorius
 III (novembre 1218, Pressuti 1716, Porchast 3934, Archives du Vatican,
 10: III, 136bis, L 30^v-31^r): *Rem aggressus est exercitus christianus existens
 in partibus transmarinis, in qua consistit aut plena victoria aut vincendi
 desperatio manifesta, sicut hi qui locorum habent notitiam asseverant. Obsedit
 enim civitatem Damiatem opulentam et magnam, quam si dominus in vultibus
 eorum tradiderit, nullum ut fortis aut parvum obstaculum in tota Egypto
 inveniant.* 195 Luc I, 14.

Sciatis quod ad passagium Pasche de statu exercitus crucis Christi pro fide Christi coram Damiata decertantis, qualiter scilicet
 200 in hieme proxima preterita equoreis et igneis, aereis et hostium in transitu fluminis exponebatur periculis, vobis ad plenum significamus; quomodo autem in negotio predicto postmodum processum sit, presentibus declaramus. Sciatis, quod per totam estatem preteritam captioni civitatis per ingeniorum erectionem et frequenter per terram et aquam insultui vacavimus; et cum predictis operam daremus, Sarraceni, agminibus factis et bellis ordinatis, in manu potenti licias nostras expugnabant ita violentem, quod licias nostras semel intraverunt, quos nos potenter eiecimus et tam equorum quam personarum stragem fecimus
 210 copiosam; et huiusmodi vexatione nos a proposito nostro, quod quandoque proximum fuit effectui, revocabant. Cumque consideremus quod sine bello difficili tantum non opus perficeremus, habita prius magna deliberatione quis castra nostra custodiret et qui nobiscum egrederentur et quis galeas et vasa nostra dirigeret per
 215 flumen ad expugnanda vasa et capienda tentoria inimicorum nostrorum, de communi consilio cleri et militie maiorum et minorum, de licis nostris, agminibus factis et bellis nostris dispositis, tam viriliter quam potenter in die Decollationis beati Iohannis Baptiste ad sedandum *murmur populi* et quorundam clericorum exivimus,
 220 habentes in firmo proposito quod, si Sarraceni per virtutem sancte crucis et per ministerium nostrum bello succumberent campestri et nos in castris eorum, que nobis vicina erant ad unam leucam, hospitaremur, et ita nostris per interpositionem nostram securitatem prestaremur invadendi civitatem. Et cum sic cuneis |
 225 ordinate incidentibus a castris nostris <nos> elongaremus, similiter Sarraceni bellis ordinatis a castris suis exibant ita, quod de bello securi esse credebamus, et nobis procedentibus illi pedem refere-

R
 XV. 386

198-218: P; 218-220: PR (=a); 220-227: P.

200 hostibus P, corr. Röhricht. 201-202 significamus scripti] Cf. p. 53(V)-54. 203 sci<a>tis scripti. 218 in die] Contigit autem die R. sancti R. 219 populi] populi nostri R, cf. 228 et comm. 219 et... clericorum om. R. exivimus] potenter exierunt R. 220 quod... 227-228 referebant] contra Sarracenos bellum agere R. 225 <nos> scripti coll. 232. 227 procedentibus correcti] precedentibus P.

198-203 Voir p. 53(V). 199-201 qualiter... exponebatur periculis] cf. p. 33, a. 1. 200 proxima preterita] voir p. 33, n. 1. 203 pr. et] explicatif, voir p. 33, n. 1. 207 bellis] cf. 217, 226. 218 le 29 août 1219. 219 Nombres 11, 1. 223 et ita (alors), voir p. 33, n. 1.

bant. Cumque ad fossatum eorum devenissemus, quod ipsi ad
 emittendum galeas suas in mare effoderant, illi fossatum illud tur-
 230 piter dimiserunt indefensum, nostri vero transeuntes neminem
 invenerunt resistentem, quia, cum procederent, Sarraceni ordine
 retrogrado se elongaverunt. Maiores autem exercitus nostri consi-
 derantes quod non expediret nobis eos ita insequi, cum non posse-
 mus eos comprehendere et gens nostra, quae pedes fuit, siti et calore
 235 sabuli detenta et armorum pondere cruciaretur, perpendentes etiam
 quod non prodesset nobis ad castra eorum progredi, quia ipsa tentoria
 sua subito fuerant asportata, cum assensu minorum asseruerunt
 nobis expedire quod ad tabernacula nostra reverteremur; et rever-
 tentibus nobis quidam ex Sarracenis a latere, quidam ante, quidam
 240 retro, lanceis, sagittis, clavis et pilis et igne greco nos molestabant;
 quod nostri pedites et etiam quidam ex nostris militibus non va-
 lentes sustinere terga dederunt in fugam et versus licias nostras
 reversi sunt irrevocabiles et nos in mediis conflictibus reliquerunt
 auxilio eorum destitutos, quorum magna pars calore et siti in sabulo
 245 sabuli extincti sunt. Sarraceni vero in milites nostros postmodum
 ita vehementer irruerunt, quod nostri<s> in personis et equi-
 taturis intolerabilia damna intulerunt. Quod quidam ex militibus
 nostris non sustinentes, quidam inde indignati hostes impetebant;
 sed Sarraceni includentes dispersos qui eorum consuetudinem non
 250 noverant, eos in tantum clavis et ensibus, pilis et igne greco agita-
 bant, quod ipsi succubuerunt, et ita in conflictibus illis perdidimus
 duceos milites de militibus Templi et Hospitalis et aliis pere-

PR (=a).

228 devenissemus] pervenissent nostri R. quod ... 229 effoderant om. R.
 229 231 R. 230 demiserunt P, emiserunt R, corr. Martène transeuntes
 om. R. 231 insistentem R. 232 nostri om. P. 233 nobis om. P.
 cf. 235. ita eos P. 234 eos om. P. 235 detenta om. R. 236 quod
 ... 237 minorum om. R. 238 quod om. P. 239 quidam ante om. R.
 240 sagittis om. R. nos] nostros R. 241 et quidam etiam P. no-
 stris om. R. 242-243 terga dederunt in fugam ... reversi sunt] terga
 dederant ... in fugam conversi sunt P. 243 et nos ... 244 destitutos
 om. R. 244 quorum] sed R. 245 fugiendo om. R. vero om. R.
 nostros om. P. 246 ita om. R. nostri<s> scripsi, nostri<s> in
 om. P. 247 intolerabilia] et multa R. quod ... 251 succubuerunt
 om. R. 252 Hospitalis R, sed cf. VII, 491: de fratribus Templi et
 Hospitalis etc.; (III, 7); IV, 79-80; VI, 48-49.

235 et] cf. p. 33. n. 1. 244-245 quorum magna pars ... extincti sunt]
 voir la note sur II, 231-232. 247-248 Quod ... sustinentes] voir sur IV, 93.



grinis, inter quos nobiles viri electus Belvacensis, domnus Walter
domni regis Francie camerarius, filius eius vicecomes de Bellomonte,
255 domnus Iohannes de Archies, domnus Andreas de Espoisse et
domnus Andreas de Nantuel, frater supradicti electi, et alii nobiles
viri quidam capti, quidam interfecti sunt; de populo vero perdi-
dimus circa duo milia. Inimici vero crucis Christi nostros taliter
† cedendo et tabescendo eos nos † usque ad licias nostras insecuti
260 sunt et post hanc nostram confusionem cum spoliis suis ad taber-
nacula sua reversi sunt non sine tumulto, cachinno et derisione, nec
sine dampno magno reversi sunt, et singulis diebus coram liciis
nostris revertentes verbis nos contumeliosis irritant et obprobriis
laccessunt. Ad hec sciatis quod quidam peregrini metu, quidam quia
265 moram fecerant annuam in exercitu ad transfretandum se prepara-
bant, quod remanentibus timorem pariter generat et rancorem;
preterea noveritis quod, sicut a quibusdam exeuntibus a civitate
sponte sua et ab aliis in fugiendo captis didicimus, | quod inclusi
non habent quod manducent: qui in tantum fame artantur, quod
270 in proximo oportet ut se captivos reddant vel aliquo alio modo pacem
faciant, et capta civitate cum adiutorio pauxillo in residuum terre
ingressum habebimus facillimum et terra sub<iu>gata cum dei
adiutorio in Iudeam revertemur muros matris nostre Ierusalem et
aliarum munitionum que sunt in Iudea reedificaturi, quarum muri,
275 turres et propugnacula ad terram funditus p̄sternuntur.

R
XV, 387

253-257: P; 257-258: PR (=a); 258-275: P.

253 inter ... 257 viri om. R. 257 vero om. R. 258 milia] hinc desinit
R. 259 † cedendo et tabescendo eos nos †; tota haec sententia pars prop-
ter unam vel plures corruptelas intellegi nequit. 261-262 nec sine ...
reversi sunt (cf. 243), et] haud scio an lateat corruptela. 272 sub<iu>-
gata Martène.

253-256 = VI, 200-203 = VII, 488-490, voir p. 19 et Greven, *Frankreich*, p. 44,
n. 110, et p. 47. 263 annuam] voir Donovan, *Pelagius*, p. 53: *With the usual
crusade vow leaving the duration of enlistment to the dictates of each one's
devotion, there were always some who were ready to go home, et nota 96: It was
Pope Innocent's desire that the crusaders enlist for two years, but in practice
there was no consistency.* 271 adiutorio pauxillo] cf. II Paral. 12, 7.
273-275 Les murailles de Jérusalem avaient été détruites dès le 19 mars
1219; cf. VI, 40-43.



الخطاب الخامس

أما عن الخطاب الخامس يتكون من جزئين تم كتابة الجزء الأول منه في ربيع عام ١٢١٩م عندما كان في دمياط.
أما الجزء الثاني من الخطاب فقد تمت كتابته في صيف نفس العام عندما ترك دمياط واتجه إلى عكا ، وكان على وجه التحديد في شهر مايو ١٢١٩م



يقع الخطاب في جزئين : الأول منه يتناول الأحداث التي وقعت في شتاء وربيع ١٢١٨ - ١٢١٩م بين المسلمين والصليبيين أثناء حصار دمياط في الحملة الصليبية الخامسة.

ويتضح من نص الخطاب أن جاك دي فيترى كان حريصاً على الاتصال بالبابا هونوريوس الثالث بشكل دائم ومستمر ليوقفه على أوضاع الصليبيين في الشرق، وبالتالي لفت نظر البابا إلى إرسال المساعدات والإمدادات العسكرية لإقناذ الصليبيين هناك.

ويتبين من الخطاب أيضاً أن الجزء الأول منه قد أُرِجى إرساله لعدم تحرك السفينة التي كانت متجهة إلى القرب بسبب سوء الأحوال الجوية. وفي أثناء توقف السفينة عن الإبحار استأنف جاك دي فيترى كتابة ملحقاً عن الخطاب، يشتمل على الأحداث التي وقعت في الصيف التالي.

كما يتضح من الرسالة مدى الجهد والمعاونة التي واجهت القوات الصليبية أثناء المسير في بيئة غريبة وبعيدة كل البعد عن أرض الوطن. كما توضح الرسالة أيضاً المعنى الحقيقي للهدف الروحي، وفي الوقت ذاته اتعدام للنظام في المعسكر الصليبي.

وتبين الرسالة أيضاً الأسى والحزن الذي وقع على نفس أسقف عكا، وبعض الأفراد في المعسكر الصليبي خاصة العلمانيين منهم. كما تبين حالات المرض التي تعرض لها أفراد المعسكر الصليبي والموت بالجملة، وكذلك العنف الذي كان يقع بين الصليبيين من وقت لآخر وأيضاً الهجمات التي كان يشنها المسلمون المتكررة والمفاجئة. هذا في الوقت الذي فيه الخلاف بين القادة الصليبيين، مما لم يمكن الصليبيين في النهاية - حسب ذكر جاك دي فتيرو - إلا من تحقيق نصر جزئياً. غير أن أهمية الخطاب ترجع إلى أن صاحبه كان شاهداً لأحداث الحملة الصليبية الخامسة على مصر، ومن أصحاب القرار العسكري في ميدان القتال، بل ومن المشاركين في الأحداث بنفسه.

ترجمة النص إلى العربية :

❏ الغضب من جاك دي فيتري إلى البابا هونوريوس الثالث يصف الأحداث التي
وقعت بين المسلمين والصليبيين أثناء حصار دمياط ١٢١٨/١٢١٩م

في أثناء فترة الصيف، وبعد أن بلغنا مع الرب - ساعدنا - إلى ميناء
دمياط الواقع على نهر النيل وبالقرب من للمنطقة المجاورة لسهل تنيس
"Tinnis" قام الجزء الأكبر من جيش الرب بالصلاة والابتهاال إليه ثم راحوا في
سبات عميق مع الرب، وكانوا في هذه اللحظة أشبه بالأشباح الذين دُعوا إلى
وليمة دسمة، وظهرت عليهم سمات الكآبة بسبب ما أصابهم من مرض
الديسنتريا، وبفضل مساعدة الرب قمنا في نهاية الشتاء بتدمير برج قوى جداً
كان قد تأسس في وسط النيل وكان يفصل بين قواتنا وبين المدينة، وكان
استيلاء قواتنا على هذا للبرج قد أذهل العدو - المسلمين - بسواعد قواتنا ومدد
السماء لهم، فقد تمكن عشرة من أفراد قواتنا بعد عناء كبير من دخول البرج
بواسطة سلم أعدوه لذلك الغرض وتمكنوا من قتل حوالي مائتين وخمسين من
أعدائهم، وأسروا البقية الباقية منهم، ثم قمنا بعد ذلك بكسر السلاسل
الحديدية التي كانت تمتد من البرج إلى المدينة، وكانت هذه السلاسل تمنع السفن
وتعوقها من الوصول إلى أعالي النيل. والحقيقة التي يجب ذكرها أيضاً، أن
المسلمين قد نجحوا في إغراق بعض السفن في مياه النيل، وألقوا بأشياء أخرى
كثيرة في مياهه، كما يعوقوا تقدم قواتنا الأمر الذي جعلنا نبقى طوال موسم
الشتاء على البر. إذ لم تتمكن سفننا من التراجع إلى أعالي النهر، كما لم نتمكن
نحن من عبور النهر في اتجاه المدينة بسبب محاصرة المسلمين لنا. وكان من
جراء هذه المخاطر الجسيمة أن نفرت السفن التي في حوزتنا، والتي ترسوا في
نيل بين البرج والمدينة. ورغم وابل السهام والرماح والنبال التي أمطرتها بها

العدو، فإنه لم يتمكن من التراجع سوى الأترب الميكل "بلاجيوس" أسقف البانو "Albno" والرسول قبابوى ومعه عدد من الرجال وأحمالهم إلى أعالي النيل دونما خسارة تذكر. وبينما كنت أراجع لنا "جاءك دى فيترى" ومعى مائتين من الرجال على متن إحدى السفن قتل بعض هؤلاء وجرح البعض الآخر.

وعندما أرسلت قاربى وعلى متنه عشرون رجلاً تمكن المسلمون من أسر ستة رجال منهم وقتلوا البقية الباقية بعدما أبلى هؤلاء بلاءً حسناً فى قتال المسلمين. كما تمكن المسلمون أيضاً من أسر قوة من أفراد الداوية التى كانت تعبر النهر بالقرب من المدينة ومعهم ثلاثين رجلاً من البحارة، وكان هؤلاء الرجال قد قاتلوا الأعداء قتال الشجعان، ونجحوا فى قتل بعضهم وفى الوقت الذى أخفقوا فيه للتصدى للمسلمين نجحوا فى إغراق بعض السفن الإسلامية فى النهر وبها ما يقرب من خمسمائة من المسلمين، وقد تحطمت السفن عن آخرها. وعلق "سيمون" على ذلك بقوله "تقد فاق عدد القتلى عدد الأحياء".

وفى شتاء ذلك العام نجح رجالنا من قتل وذبح العديد من الفرسان المسلمين أكثر مما قتل المسلمون بسيفهم بعض رجالنا.

وفى أحد الأيام، وعندما كان المسلمون يحاولون إتزال قواربهم فى النهر لمهاجمتنا. قام بعض فرساننا بأسر ألف من المسلمين أو يزيد وأنزلوهم إلى البر وغرق بعضهم وأهلكنا قواتنا البقية الباقية فى النهر. وبعد مرور فترة وجيزة على وقوع هذه الحادثة قام المسلمون ببناء جسر فى شمال النهر ليعبروا من خلاله إلى قواتنا "معسكرنا" غير أن بعض قواتنا نجحوا فى أسر ألفين من المسلمين وقتل بعضهم، بينما تمكن بعضهم من الفرار وغرق بعضهم الآخر. مما

أتاح الفرصة أمام قواتنا من السيطرة على المياه وكان يساعدنا الرب. إذ أن الرب كان يقاتل من أجلنا. وقد رجع رجالنا إلى المعسكر وهم مغمورين فرحون بهذا النصر الكبير. باستثناء اثنتان منهم قد توجوا بالشهادة.

لقد قضينا فصل الشتاء على البر، ولم نقم بأى عمل يسعد به الرب لأن السماء قد أنزلت علينا مرضاً لم تتمكن أية مهارة طبية أن تعالجه. فهو مرض معد لا نعرف له سبب طبيعى. وقد أصيب عدد كبير من قواتنا بهذا المرض. ربما نزل علينا من السماء ليظهرنا من أثامنا. أو ربما لكى نكون أكثر لحقية بالناج. وكانت أعراض هذا المرض هي : تورم الألفخاذ والأرجل حتى تقرحت، وكذلك نماء الجلد الزائد فى اللحم. وتتمثل خطورة هذا المرض فى أنه لم تظهر له مقدمات ملفنة للنظر، ولكن استمرت أعراضه فترة طويلة سطحياً، ولم يصحبه آلام كبيرة حتى أفقد حماسة وشجاعة قواتنا الذين راحوا فى ثبات عميق مبتهلين إلى الله حتى أسلموا أجسادهم وأرواحهم إلى الله آمليين السعادة فى السماء، وكان من بين هؤلاء السيد روبرت كرسون كاردينال سان سيفثانو وكان على درجة كبيرة من العلم والتقوى والورع، اتمتع بالعطف والحنان وكان متحمساً من أجل رضاء الرب. حريصاً على تحرير الأرض المقدسة. ومن بين هؤلاء أيضاً، الأب الموقر أسقف باريس وبعض النبلاء الآخرين الذين قدموا أنفسهم وأملأهم للسيد للمسيح^(١) وقد دون أسماء هؤلاء فى كتاب الحياة.

لقد تميز هذا الشتاء بالبرد القارس وارتفاع منسوب مياه النيل نتيجة المد العالى الناتج عن البحر، الذى ابتلع كل شئ ومات العديد من قواتنا دونما قتال مع المسلمين. وبسبب هذه الظروف، وبالإضافة إلى الغربة وبعد المسافة عن أرض الوطن، اضطرت فئة قليلة من قواتنا إلى الهروب أمام فيضان النيل، والذى لم يمنعه الرب عن قواتنا.

(١) انظر : Riley Smith, the crusades, Documents of Medieval History 173 - 176

كانت قوتنا قد قامت قبل ذلك بحفر خندقاً واسعاً في الرمال. ليس بسبب خوفهم من المد العالى للبحر، ولكن بسبب إلهام الرب لهم، كيما يتمكنوا من سحب سفننا دون تعرضها للخطر في عرض النهر. غير أن مياه البحر الثائرة قد طفت فوق الكثبان الرملية وغمرتها على امتداد مسافة ميل من حولنا. وبذلك تعدى المد حدوده المعتادة، وأصبح كل شئ مغمور بالمياه من حولنا وألركت المياه الخيام، وتخللت المتاع، وتمكن البعض من قوتنا من الفرار والنجاة بأنفسهم بينما غرق البعض الآخر.

لقد أغرقت المياه معظم جوانب الخندق عن طريق قناة كانت تتصل بالنهر، ولكن بفضل مساعدة الرب لنا تمكنا من النجاة من هذه الفيضانات الخطيرة، التى فاجأتنا بعد أن قمنا بسد هذه الفتحة وإغلاقها بإلقاء سوارى السفن المحطمة فيها والدعامات الخشبية وأجسام الحيوانات الميتة.

وبينما كان رجالنا منشغلين بهذه المهام أعلن الأب المبجل أسقف الباتو "بلاجيوس" والرسول البابوى ومعه بطرق بيت المقدس ورئيس الأساقفة وكل رجال الدين وأعضاء المجلس الإكليرى صياهم ثلاثة أيام عن الخبز والماء، وأعلنوا أن يقوم الجميع وهم حفاة عراة الأقدام فى كل يوم سبت بالابتهال والتهدج والصلاة مع المصلين الخاشعين، بالتوسل إلى الرب يطلبون المدد والعون الإلهى، معلقين آمالهم على الرب وحده.. طوى النجاة للضعفاء ومطمئن القلوب ودواء المصابين إذ لايفرحه قوة الجياد ولاسواعد الجنود لأن القوة للرب وحده والذى بيده النصر مع القليل أو الكثير على حد سواء. فالرجل الحكيم العاقل هو الذى يستطيع القيام بالأعمال التى تؤكل إليه أما الذين طردوا من رحمة الرب والكنيسة، فهم أولئك المذنبون، مرتكبى الآثام والفواحش،

والذين يلهون ويضيعون أوقاتهم فى لعبة النرد مثلاً ويشملون فى الحاحات والمدنسون الذين فسدت أخلاقهم : فكل هؤلاء لا يستطيعون للقيام بمثل هذه الأعمال لأنهم بعيدين كل البعد عن الرب مطرودين من رحمة الكنيسة.

ومع كل هذا، وبعد معاناة كبيرة، أنزل الرب رحمته على عباده المعذبين، وتمكنا من سحب القوارب عبر الخندق إلى أعالي النهر بعد معركة أريقث فيها الدماء. وبعد ما أنزل الرب الخوف فى قلب الملك "السلطان الكامل" ومعه عدد كبير من المصريين حتى اضطروا إلى الفرار والرحيل بعيداً، تاركين معسكرهم وخيامهم ليلاً مخلفين وراءهم جانباً كبيراً من أمتعتهم وسفنتهم وحيواناتهم والتي تمكنا من الاستيلاء والاستحواذ عليها. هرب معهم سكان المدينة، بعد ما شاهدوا ملكهم وكل قواته يهربون من أمامنا. لقد التقى الجانبان عند بوابة المدينة ومات حوالى ألفاً من كلا الجانبين وقررت البقية الباقية من المسلمين الهرب. وتركوا لنا المدينة خالية وأسرع رجالنا وعبروا النهر فى ساعة متأخرة من الصباح دونما أية عوائق تعوق تقدم رجالنا من قبل العدو، حوصرت المدينة من كل جانب من قبل قواتنا وكذلك أحاطتها المياه من كل جانب أيضاً. كما قامت بعض قواتنا ببناء جسر قوى من القوارب على الجهة المقابلة من النهر لتلقى أية مساعدات طوال اليوم وكذلك حماية وحراسة النهر.

وعندما سمع الملك المعظم ملك دمشق، نبأ هروب أخيه سلطان مصر كما بيئنا الآن قام بجمع قوات كبيرة من الترك ونزل بهم صوب مصر لإنقاذ أخيه المعظم.

وضرب حصاراً حول المدينة. وعندما أصبحنا في مواجهة هذه القوة المتحدة من أولئك الذين يقيمون وراء النهر "نهر الفرات" وإخوانهم في القاهرة والأسكندرية وكذلك من مناطق شرقية أو قرى بعيدة جداً. أدركت قوتنا أنه ليس هناك طائل من الاشتباك مع هذه الجموع المحتشدة والدخول معهم في قتال، لأن جانباً كبيراً من قواتنا كان قد مرض، كما نفقت معظم جيادنا أثناء الشتاء، هذا في الوقت الذي أصاب السأم والتخاذل القوة للمتبقية من قواتنا، فبادرنا على الفور بعقد مجلساً للتشاور، وقررنا من جديد حفر خندقاً وقمنا بوضع المتاريس حول خندقنا ومعسكرنا.

ومع هذا قامت تلك الحشود سالفة الذكر عن طريق البر والبحر معاً وهاجموا الخندق بالسهام والرماح والأقواس. ولكن مساعدة الرب لنا أجبرت هذه الجموع على التراجع من أمامنا بعد أن قتلت قواتنا ما يقرب من ألفين من الأعداء. هذا في مقابل بعض القتلى والجرحى من قواتنا بنسبة ضئيلة. وبذلك نجحت قواتنا في منع قوات العدو من الوصول إلى الجسر الذي أقمناه من القوارب. ولكي يشغلنا العدو عن المدينة قاموا بمهاجمة من جهة أخرى ونجحوا بالفعل في تحويلنا وبالتالي إعاقتنا عن مهاجمة المدينة.

ومع هذا قمنا نحن باتباع وسائل أخرى من أجل التمكن من دخول المدينة فأعدنا آلات للحرب من المتجانيق والحجارة والسلام، كما قمنا بحفر بعض السرايب والخنادق لإسقاط بعض الأبراج، وكذلك التمكن من دخول المدينة عن طريق هذه السرايب السرية تحت الأرض، وبهذه الوسيلة يمكن أن تُنتزع المدينة من أيدي المسلمين لتصبح في أيدي المسيحيين بفضل وعون

الرب لنا خاصة وأن سكان المدينة كانوا يعانون من نقص الطعام، إلى جانب مغادرة الملك المعظم للبلاد مع جانب كبير من جيشه عندما سمع بأن سلطان الروم وملك الأرمن وأحد أبناء صلاح الدين قد دخلوا حدود مملكته في كل من حلب ودمشق في قوة لاحصر لها من الخيول والقوات المقاتلة. فكان هذا إيذاناً بفتح وتمهيد الطريق أمامنا لاحتلال مدنية دمياط تلك المدينة التي تعد بحق مفتاح الدخول إلى أنحاء وربوع مصر. والتي بفضلها أيضاً سوف يسهل علينا ضم كل الأراضي المتبقية إلى أتباع السيد المسيح. والتي سوف تعود في النهاية علينا بالخير والسعادة خاصة وأنها تمهد الطريق للدخول إلى أرض الميعاد. ونحن نبتهج إلى الرب ونشكره لهذا النصر، فهو مرشدنا، ونحن نأمل أن تكون صلاحكم عوناً وامتداداً لنا في خطواتنا القادمة.

❖ نهاية الجزء الأول من الخطاب الثامن ❖

~~~~~

### الجزء الثانى من الخطاب التاسع :

إننا نأمل فى أن نطلعكم ونخبركم بأننا قد قمنا بكتابة تقريراً كاملاً عن الأوضاع فى الشرق ونخبركم أيضاً كيف أن الجيش الصليبي قد قاتل من أجل خلاص السيد المسيح أمام دمياط وأنه كان قتالاً فوق الشبهات. كما نخبركم كذلك عن حالات المعاناة التى عاها جيش الرب فى ذلك الشتاء السالف الذكر. وكيف أن هذا الجيش تعرض لخطر الفيضانات والحرائق والنيران، وكذلك شدة الحرارة. هذا إلى جانب الغارات التى كان يشنها علينا العدو فى شمال النهر وسوف نصف لكم فى هذا الملحق ما حدث للمشروع الصليبي منذ ذلك الحين.

كما أننا نرسل إليكم وتطمئنكم على أننا كرسنا أنفسنا من أجل الاستيلاء والسيطرة على مدينة دمياط أواخر الصيف الماضى بعد قيامنا بغارات وهجمات مستمرة ومتعاقبة، وقد قمنا بمحاصرة المدينة براً وبحراً. ومع هذا فإن المسلمين لم يتورعوا عن مهاجمة معسكرنا بقوة بعد أن استعدوا بقوتهم وأنفسهم من أجل خوض معركة كبيرة لدرجة أنه عندما سنحت لهم فرصة واحدة تمكنوا من دخول أسوارنا على الرغم من تصدى قواتنا لهم بقوة وبعد أن قمنا بذبح العديد منهم ومعهم خيولهم. غير أن هذه المحاولات المقلقة من جانبهم قد مكنتهم من تحويلنا عن تحقيق أهدافنا التى أوثقت أن تتلاشى بأسرع ما يمكن وعلى الفور أدركنا أنه فى مثل هذه الظروف لا يمكن لنا الدخول معهم فى معركة، وبعد مشاور تم بين القادة قرروا ضرورة عودة قواتنا إلى المعسكر. وبينما نحن متجهون نحو معسكرنا وجدنا المسلمين وقد قاموا بتطويقنا من كل جانب ورمونا بالسهم والأقواس والرماح ، وكذلك النار الإغريقية، فأحدث ذلك اضطراباً وفزعاً

فى صلفوف قوّاتنا خاصة المشاة منهم، فعداوا أدرّاجهم فخرّمتنا بذلك من مساعدتهم لنا فى المعركة. هذا بالإضافة إلى أن العديد من قوّاتنا قد ماتت بسبب شدة الحرارة وتعرض أفراد قوّاتنا لعطش شديد أثناء تراجعهم واتسحابهم.

لقد تعرض فرساننا لهجوم عنيف من قبل المسلمين فأصابوا قوّاتنا بأذى كبير وعندما حاول فرساننا التصدى للمسلمين، أوصد المسلمون الطريق أمامهم لم يتمكن أحد من فرساننا التصدى للمسلمين. لأن طريقة الشرقيين فى القتال بدت غريبة على قوّاتنا لم يتعود أفراد قوّاتنا عليها.

وكان من جراء هذه الطريقة فى القتال أن تعرضت قوّاتنا لعذاب كبير إذ كان المسلمون يرمونهم بالسهام والرماح والنار الإغريقية حتى تغلبوا علينا فى النهاية.

لقد فقدنا فى هذه المعركة حوالى مائتين من الفرسان وصناديد الداوية والاسبتالية. وعاد بعض الحجاج وآخرون معهم، بينما قُتل البعض الآخر. كما تم أسر النبلاء والأسقف المشهور "بيوفيس" سيد والقر الحاجب الخاص بالملك الفرنسى وابنه الفيكونت "بيمونت" واللورد "انديو اذ ناتيللى" شقيق الأسقف سالف الذكر هذا بالإضافة إلى بعض النبلاء الآخرين. لقد فقدنا حوالى ألفين من العامة وظل أعداء الصليب يتعقبون قوّاتنا حتى بلغوا على أفلاجنا مقطعين رؤوسهم ومقاتلين بعد أن أربكوا صفوفنا على هذا النحو، تراجعوا إلى خيامهم ومعسكرهم ومعهم أسلابهم محدثين جلبة وسخرية وتهكماً علينا وقد أوقعوا بنا خسارة كبيرة أثناء اتسحابهم وظلوا يهاجموننا كل يوم ويشنوا غاراتهم ضدنا لاستفزائنا ساخرين منا وأخذوا يوبخوننا بتحديدهم لنا على هذا النحو.

وبالإضافة إلى هذا يجب أن نعرف أن بعض الحجاج كانوا يعدون أنفسهم للعودة إلى ديارهم، لا لكونهم خائفين فحسب بل لأن بعضهم كان قد قضى "امضى" عاماً كاملاً في للجيش وصار من حقهم العودة إلى أوطانهم. فركبوا البحر وتركوا القوات اللاتينية في مواجهة المسلمين، فكان ذلك أحد الأسباب التي أحدثت قلقاً واضطراباً في صفوف الأخوة الموجودين في دمياط.

❖ *هنا ينتهي الكتاب الثامن* ❖

❖ ❖ ❖ ❖ ❖

الخطبة السابعة

## VI

R  
XVI, 72

a: < Sanctissimo patri ac domino H(onorio), dei gratia summo pontifici I(acobus), divina miseratione Acconensis ecclesie minister humilis, tam debitam quam devotam cum osculo pedum reverentiam >.

3 b: Dilectissimis in Christo fratribus magistro Iohanni de Nivella et ceteris fidelibus Iacobus, divina permissione Acconensis ecclesie minister humilis, *ingum* Christi *suave* cum gaudio et unanimitate portare.

c: Karissime in Christo abbatisse et conventui de Awir<i>a  
10 Ia(cobus) Acconensis episcopus, in anteriora se extendere.

R  
XVI, 73

*Confiteantur domino misericordie eius et mirabilia eius filiis hominum, qui portas creas contrivit et rectes ferreos confregit, subiecit populos nobis et gentes sub pedibus nostris, | civitatem glorie paganorum, civitatem fiducie incredulorum, civitatem munitissimam et*  
15 *inexpugnabilem, a multis regibus et populis olim pluries obsessam et nunquam superatam, in diebus nostris sancte ecclesie et exercitui christianorum subiocit et cornua peccatorum confregit, aperiens nobis hostium magnum ad subiugationem infidelium et ad ampliandum Christi imperium, ut captis et eiectis vulpeculis*  
20 *vinea domini Sabaoth quasi novella plantatio propagetur et succiat utas que jaciebat labruscas et ubi tociens invocatum est nomen maledictum perfidi Machometi, nomen abhominabile, quod os demonis nominavit, invocetur amodo nomen benedictum Iesu Christi.*

1-4: PQ (=α): 3-5: AFLV (=β): 9-10: G: 11-23: PQR (=α1, AFLV (=β), G.

1-4 *formulam salutationis* (om. R) *restitui: dñu pape x'*. 9 Awir<i>a *correxī coll. II, 8.* 15 olim pluries] olim om. 3, pluribus olim G. 16 *pr. et; om. G, sed 3.* sancte ecclesie] cf. p. 51.

7 Mathieu 11, 30. 9 abbatisse] Agnès, voir Ploegaerts, *Les moniales cisterciennes*, etc., I: *Histoire de l'Abbaye d'Aywidres*, Bruxelles, 1925, p. 5. 10 Cf. Greven, *Exempla*, 30, 17-18 (=Frenken, *Exempla*, 29, 2-3): *contra sancti posteriorum obliti semper in anteriora se extendunt*, cf. Philipp. 3, 13. 11-12 Ps. 106, 15-16. 12-13 Ps. 46, 4. 14 *civitatem etc.*] cf. Prov. 21, 22 et Jérémie 1, 18. 17 Ps. 74, 11. 18 I Cor. 16, 9. 19 captis ... vulpeculis] cf. Cant. des Cant. 2, 15. 20 Ps. 143, 12; cf. 231. 20-21 Isaïe 5, 2.

nomen gloriosum quod os domini nominavit, ut cognoscant Egyptii  
 25 dominum et convertantur ad ipsum et ab Occidente ad Orientem  
 lumen veritatis revertatur: non enim est deus noster ut deus eorum,  
 et inimici nostri sunt indices videntes virtutem domini et mira-  
 bilia eius in captione civitatis Damiate. Quod qualiter

[a]

[b. c]

factum sit, vestre dignum duxi factum sit et quam miraculose,  
 30 significare sanctitati. ex sequentibus patebit.

Cum ex parte liciarum nostrarum et fossati nostri pluries nos  
 impugnassent Sarraceni et nichil profecissent, sed multis ex ipsis  
 interemptis recessissent confusi, ad solita sue pravitatis arma  
 recurrentes verbis pacificis et dolosis nostros decipere et circum-  
 35 venire temptaverunt multa nobis promittentes si obsidionem relin-  
 quere et recedere vellemus, que | magna in superficie his qui minus  
 cauti erant videbantur. Primo quidem promiserunt quod sanctam  
 crucem et terram planam cum civitate Ierusalem et sepulcro  
 dominico et omnes quos in potestate sua captivos detinebant  
 40 christianos redderent et pecuniam pro muris Ierusalem reparandis  
 nobis darent, secundo vero quoddam castrum quod in territorio  
 Tyri situm est, quod Turo dicitur, cum quibusdam aliis munitionibus,  
 scilicet Sephet et Beaufort cum Belinas, cuius muros destruxerant,  
 nobis reddere promiserunt, castra autem munitissima, scilicet  
 45 Craccum et Montem Regalem, volebant retinere, sed pro illis  
 annum censum nobis dare promittebant, quod multis ex peregrinis  
 nostris magnum et omni acceptione dignum videbatur. Hii vero,  
 qui experimento fraudes vulpium cognoverant, et maxime Tem-  
 plarii et Hospitalarii sancti Iohannis et sancte Marie Aleman-  
 50 norum, dominus etiam legatus cum patriarcha, archiepiscopis,  
 episcopis et universitate cleri et quadam parte peregrinorum,  
 verbis eorum seductoriis nullatenus assensum prebebant eo, quod  
 intenderent Sarraceni sub occasione simulate pacis exercitum  
 Christi dissipare, ut recedentibus peregrinis qui nobiscum erant,

PQR (=α), AFLV (=β), G.

28 civitatis] om. β, urbis G.

41 vero] om. A, α, nos FLV.

quoddam] om. G, R.

46 peregrinus] om. G, R.

32 ex ipsis] ex suis α, ex nostris R, suorum β.

quoddam castrum] castrum quoddam β, quod-

dam om. G, R. 42 aliis munitionibus] munitionibus aliis β, aliis om. G.

43 cognoscebant β, agnoverant α.

24 (cf. 22-23) Isaie 62, 2, cf. BO, 1069, 32: in hac autem (= Antiochia) nomen  
 sanctum, quod os domini nominavit, primo impositum est Christicolis. 26-

27 Deut. 32, 31. 45 Craccum] Le Crac de Moab, voir l'app. cr. sur II, 346.

47 cf. BO, 1120, 10: omni acceptione dignus.



55 et aliis, qui hoc audirent, non venturis, terram planam recuperarent et Ierusalem cum monte Thabor et aliis castris collecta contra nos multitudine et fortitudine sua recuperarent. Crucem vero sanctam eos nullo modo habere credebamus, cum Saladinus et alii | Sarraceni, recuperata a nostris Acconensi civitate, eam  
 R  
 XVI, 75 60 diligentissime quesissent ut captivos suos a morte liberarent, et non potuerunt invenire. Sic ergo inter nostros facta est dissensio et discordia, quod et ipsi Sarraceni ab initio intendebant et modis omnibus procurabant. Consideravit autem dominus legatus, vir cautus et providus et in negotiis domini peragendis vigil et sollicitus,  
 65 quod hec dissensio et mora maximum ad se trahebat periculum et quod gratia dei abutebantur, cum dominus civitatem nobis offerret, his qui in civitate erant partim mortuis, partim egrotantibus fame et inedia tabescentibus, pauci vero in ea remanserant qui valerent defendere civitatem. Soldanus autem tum de die tum  
 70 de nocte tam per terram quam per aquam pro posse suo novos in civitate mittebat pugnatores. Vnde dominus legatus non sustinuit amplius expectare, paucis tamen quod conceperat revelavit, scilicet quibusdam ex clericis suis et militibus de familia sua in quibus confidebat, ne quidam ex nostris maliciose insultum impedirent et  
 75 ne Sarracenorum exploratores hoc secretum eius ipsis intimarent. Ante mediam autem noctem consurgens cum militibus et serviensibus suis ad fossatum civitatis pervenit; Sarraceni vero quendam pontem destruxerant, quo mediante ad primum murum civitatis et eiusdem muri portam erat | accessus. Dominus vero legatus cum  
 R  
 XVI, 76 80 scalis et asseribus pontem reparari precepit et sic ad fossatum primi muri nostri transierunt accensoque igne vehementi iuxta portam, ipsam combusserunt. Deinde festinantes et per medios ignes transeuntes inter duos muros se viriliter receperunt et accenso igne ad portam secundi muri, secundo muro scalas applicantes

PQR (=α), AFLV (=β), G.

55 hoc] om. G, hec α. 58 eos post modo G, eos habere nullo modo FLV. 61-62 dissensio et om. G, discordia et divisio β. 63 autem] om. G, R, ergo FLV. 68 fame et inedia, cf. Crane, *Exempla*, 17, 8: 312, 4] fame om. G, inedia et fame α. 69 qui vellent civitatem defendere G, qui civitatem possent defendere (cf. 108-109) β. tum de die tum] om. α, cum die nocteque A, tam de die quam FV, cf. p. 28. 76 autem] om. G, igitur FLV. 81 secundi muri, secundo muro] secundi muri, muro secundo G, et secundi muri porta succensa β.

57-61 Voir p. 32-33. 59 En 1191 (la ville tomba le 11 juillet). 63-64 Voir p. 21, n. 1. 66-69 Voir p. 32-33. 70-71 in civitate] voir p. 33 (n. 1).

- 83 ascenderunt, alii vero per medios ignes secunde porte transierunt. Sarraceni vero, qui in civitate erant, in stuporem et pusillanimitatem conversi et confusi, *dissoluti corde* et concussi timore, contracti viribus et de defensione sua desperantes, modico conamine restiterunt. Vnde factum est quod nullis ex nostris interemptis, paucis  
 90 tamen leviter vulneratis, de Sarracenis pluribus interfectis dominus in manus nostras miraculose traderet civitatem: *gloriam suam alteri non dedit*, triumphum vero sancte Romane ecclesie et eius legato tradidit. Quosdam vero ex nostris, qui propriam gloriam querebant et iam contentiose inter se | agebant de spoliis et partitione civitatis, hac gloria suo more privavit. Illucescente vero die videns soldanus et exercitus eius vexilla nostra super turre civitatis erecta, ingenti terrore concussus cum dolore et merore fugiens, castra sua cum ponte quem super fluvium fecerat combussit, pro certo sciens et cognoscens quod dominus pro nobis reprobatis et  
 100 confusis Sarracenis miraculose pugnavit. Cum enim mense Februario, in die festo beate virginis Agathe in nonis eiusdem mensis, fluvium Nili, qui alio nomine Gion nuncupatur, fugientibus Sarracenis transiremus et undique civitatem Damiate tam per aquam quam per utramque insulam cingeremus, plusquam sexaginta  
 105 milia Sarracenorum infra muros civitatis inclusi remanserunt. Post novem vero menses, videlicet mense Novembris in nonis eiusdem mensis, capta civitate vix tria milia Sarracenorum invenimus, inter quos vix centum sani remanserant qui possent defendere civitatem: dominus enim vulnere pessimo percutiens inimicos  
 110 nostros *evaginavit gladium suum post eos* et interfecit eos *a maiore usque ad minimum* et a sedente in solio usque ad *mingentem ad*

83-99: PQR (=a). AFLV (=β). G; 99-111: PQ (=α). AFLV (=β). G.

89-90 paucis ... interfectis] uno autem leviter vulnerato a, paucis vulneratis leviter, de Sarracenis pluribus quam vellemus interfectis G. 91 tradidit 2A. 93 hac gloria more suo a, hac suo more gloria β. 99 cognoscens] hanc desinit R. 101 beate om. G, sancte β. 102 alio Gion nomine nuncupatur G, alio nomine Gion (Gyon V) dicitur FLV, alio nomine dicitur Gion A. 104 LX (=60) G, quadraginta x', cf. adn. ad IV, 30.

87 Eccli. 2, 13. 91-92 Isale 42, 3 (= 48, 11), cf. 161 et 223-227. 100-101 le 3 février 1219. 103-107 le 3 novembre 1219. 109 Cf. Job 2, 7: (Satan) percussit Iob ulcera pessimo. 110 Ezéchiel 12, 14. 110-111 Genèse 44, 12; cf. VII, 176. — sedente in solio] cf. Exode 11, 3; 12, 29. 111-112 mingentem ad parietem] I Rois 25, 22; III Rois 21, 21; IV Rois 9, 8.

*parietem, in femoribus et posterioribus illos percutiens opprobrium  
 sempiternum dedit illis adeo, quod cum ingrederemur civitatem tot  
 invenimus mortuorum cadavera super terram, eo, quod pauci  
 R 115 vivi | qui remanserant ex Sarracenis tot mortuos sepelire non pote-  
 XVI, 79 rant, quod fetorem et aeris corruptionem vix aliquis poterat susti-  
 nere. Purgata autem civitate domnus legatus et patriarcha cum  
 clero et universo populo, accensis candelis et luminaribus, cum  
 hymnis et canticis, cum laudibus et gratiarum actione in die  
 120 Purificationis beate Marie processionaliter ingressus est civitatem.  
 Fecerat autem domnus legatus preparari maximam basilicam, in qua  
 in honore beate Marie Virginis cum lacrimis et magna populi devotio-  
 ne celebravit, in qua etiam sedem archiepiscopalem instituit.  
 Multis etiam aliis infra civitatis ambitum constitutis ecclesiis eiecto  
 125 perfido Machometo divinum officium diebus ac noctibus ad honorem  
 dei et sanctorum eius iugiter adimpletur et in diversis ecclesiis  
 diebus singulis a sacerdotibus in illis constitutis Patri Filii offertur.  
 Invenimus autem in civitate pauca valde victualia, aurum vero et  
 argentum et pannos sericos cum vestibus preciosis et aliam multam  
 130 suppellectilem reperimus in civitate. Sed quoniam multi fures et  
 latrones et nomine solo peregrini, deo odibiles, domno legato non  
 obedientes, sicut Achor cupiditate excecati, in exercitu nostro  
 supra modum tunc temporis erant, Sarraceni vero maximam  
 partem pecunie partim in terra absconderunt, partim in fluvium  
 135 proiecerunt, vix ad utilitatem communitatis quadringentorum  
 milium bizantium precium colligere et inter nostros dividere  
 potuimus. Idcirco murmur et | scandalum non modicum, rixe et  
 contentiones exorte sunt in populo insipienti et indisciplinato.  
 De captivis vero Sarracenis, quos in civitate cepimus, quadringentis*

R  
 XVI, 79

PQ (=α), AFLV (=β), G.

114-115 pauci vivi remanserant (om. qui) x'. pauci qui vivi remanserant  
 FLV, pauci qui remanserant vivi A. 118 candelis, luminaribus G, cam-  
 panis et luminibus x'. 128 valde pauca x', pauca admodum G. 133  
 supra modum om. β, super modum G, cf. III, 65. vero] autem G, etiam β.

112-113 posterioribus ... illis] Ps. 77, 66. 119-120 le 2 février 1220.  
 121 maximam basilicam] cf. Olivier de Cologne, *Historia Damiatina* (éd.  
 Hoogeweg) p. 239, 3-13. 128 Cf. Donovan, *Pelagius*, p. 65-66. 132  
 (cf. VII, 29-30) Achor] Josué 7, 1, 24-26. Celui dont il est dit qu'il *utilit aliqnd*  
*de anathematis* s'appelait Achan; sa lapidation prit place dans une vallée  
 dite Achor. Même confusion chez Olivier de Cologne, *Historia Damiatina*,  
 éd. Hoogeweg, p. 238, 2-3. 138 populo insipienti] cf. Deut. 32, 6. 139-  
 140 *trois cents* d'après Olivier de Cologne, *Hist. Damiatina*, éd. Hoogeweg,  
 p. 236, 15-17.

- 140 melioribus et ditioribus retentis ut captivos nostros facta commutatione cum ipsis recuperare possemus, alios omnes eo, quod sumptuosum esset nimis tot homines pascere, vendidimus christianis ut servirent eis in perpetuum, exceptis parvulis, quos ego cum labore magno et expensis feci reservari. Quibus baptizatis plusquam  
 145 quingenti, ut credo, post baptismum ad dominum *primitie deo et* agno transierunt: *hi sunt qui cum mulieribus non sunt coinquinati, virgines enim sunt et secuntur agnum quocumque ierit.* Alios autem preter illos quos retinui quibusdam amicis meis ut eos nutrent et litteris sacris ad cultum dei imbuerent commisi. De consensu vero  
 150 peregrinorum dominus legatus dominium civitatis cum pertinentiis ad ampliationem regni Ierosolimitani regi Ierosolimitano contulit in possessionem perpetuam, domos vero civitatis cum quibusdam turribus secundum varias nationes qui ad hoc electi fuerant diviserrunt peregrini. Erant autem in ambitu primi muri viginti et octo  
 155 turres maiores exceptis minoribus, quarum munimine inexpugnabilis erat civitas, nisi eam dominus miraculose populo tradidisset christiano. Non solum autem illam, sed et civitatem Thaneos cum castro adiacente octo turres inexpugnabiles habente, quod ex nulla parte potest obsideri, non minori ut dicunt dominus miraculo nobis  
 160 subiecit. Civitas autem Thaneos cum eius diocesi sub Damiatina metropoli continetur. In hiis omnibus *gloriam suam alteri non dedit dominus, sed ne* | triumphum multitudinis nostre vel viribus humanis possemus ascribere, ut humiliaremur et cum propheta domino confiteremur: *non in arcu meo sperabo et gladius meus non salvabit*  
 165 *me, dominus mortificat et vivificat, deducit ad inferos et reducit, pauperem facit et dilatat, humiliat et sublevat.* multis tribulationibus et variis persecutionibus ad purgationem peccatorum et maiorem coronam electorum antequam civitatem nobis traderet permisit affligi populum suum, inimici vero nostri exaltati sunt super nos,  
 170 sicut scriptum est: *ante ruinam exaltatur cor.* Cum enim in multitu-

R  
XVI, 80

PQ (=α), AFLV (=β). G.

136 eam dominus] dominus eam FLV, eam om. x'. 166 sublevat, cf. VII, 567] sublimat (sicut VII, 567, G) GP. 168 nobis civitatem traderet G, traderet civitatem (om. nobis) β.

143-144 Voir p. 42-43. 145-147 Apocal. 14, 4. 159 non minori ... [miraculo] cf. IV, 74. C'est par ces mêmes mots qu'Olivier de Cologne (*Hist. Damiatina*, éd. Hoogeweg, p. 240, 17) aborde la prise de Thanis (le 23 novembre 1219). 161 Voir sur 91-92. 164-165 Ps. 43, 7. 165-166 I Rois 2, 6-7; cf. VII, 566-567. 167-168 Cf. V, 93-94. — coronam] cf. I Cor. 9, 25. 170 Prov. 16, 18.

dine magna tam equitum quam peditum die quadam nostri exirent  
ad pugnam contra soldanum, tanquam nichil timentes, sed in  
fortitudine sua confidentes, non proposuerunt deum ante conspectum  
suum, non cum lacrimis et devotione, sed cum pompa et elatione,  
175 multi tamen propter lucrum et commodum temporale, contra  
hostes perrexerunt. Soldanus vero qui prius frequenter per expe-  
rientiam didicerat quod pauci ex nostris, dum ponerent deum  
adiutorem suum, multos ex suis absque magna difficultate superas-  
sent, non ausus est exercitum nostrum expectare, sed paulatim,  
180 nostris subsequenter, cum tentoriis suis et omni suppellectili sua  
fugiendo cedebat. Cum autem infra fossatum, quo soldanus castra  
sua cinxerat, exercitus noster pervenisset, paululum tanquam  
fessi ex itinere nostri subsistentes pausaverunt. Tunc mirum in  
modum inimicis nostris nundum insequentibus quidam ex nostris  
R 185 terga vertentes non fugati [fugerunt; quod videntes quidam ex  
XVI, 81 nostris militibus corde constantes et de fuga nostrorum admi-  
rantes et mirabiliter dolentes, ut a posteriori exercitum custodirent  
ordinate consertis aciebus secundum ordinis militaris disciplinam  
paulatim subsequebantur et sic absque dampno magno reverti posset  
190 exercitus, nisi quidam ex nostris impetum subsequenterum Sarra-  
cenorum, qui nostrorum equos sagittis vulnerabant, sustinere no-  
lentes relictis sociis pauci multos invaserunt Sarracenos. Ex quo  
factum est ut illo die priusquam ad castra nostra perveniremus  
plusquam mille ex nostris amisimus, quibusdam gladio interfectis,  
195 aliis captis equis suis vulneratis et pre calore deficientibus, multis  
etiam ex peditibus propter estum solis siti extinctis; quidam etiam  
solo timore iusto licet occulto dei iudicio in insaniam conversi  
expiraverunt. In illo autem die plusquam ducentos milites amisimus  
quibusdam interfectis, aliis in captivitatem ductis. Capti autem  
200 fuerunt viri nobiles electus Belvacensis et frater eius Andreas de

PQ (=α), AFLV (=β), G.

171-172 exirent nostri ... soldanum α', nostri contra soldanum exirent ad  
pugnam β. 173 proponentes β. posuerunt (cf. 177) G. 184 nundum  
om. G, necdum β. 189 dampno magno, cf. V, 262] magno dampno β,  
magno om. G. 198 in ... die] in illo (om. autem die) G, L, in illo bello A,  
ibi etiam FV, cf. p. 28. 199 aliis] aliis vero α', A. 199-200 autem  
fuerunt] autem om. G, sunt autem β. 200(-204) cf. p. (19 et) 51.

171 le 29 août 1219. 172-173 Juges 20, 22. 173-174 Ps. 53, 5.  
177-178 Ps. 51, 9. 184 nundum] voir p. 63. 192 pauci: multos] cf.  
IV, 18. 197 iusto ... dei iudicio] cf. Jean 5, 30. 200-203 Voir sur V,  
233-236.

Nantuel, Iohannes de Archies, miles strenuus, Andreas de Espoisse, Galterus camerarius regis Francie et filius eius vicecomes Bellimontis, frater Andegavensis episcopi, Odo de Castellione et multi alii; multi vero die illo coronati feliciter ad dominum migraverunt. Ego vero die illa absque armis cum cappa et supplicio cum domino legato et patriarcha, qui sanctam crucem ferebat, exieram et non placuit domino cum suis martyribus indignum et miserum me vocare, sed adhuc voluit me ad laborem et dolorem reservare: multis etiam aliis tribulationibus dominus nostram compressit superbiam, naves enim nostras cum scalis ex parte fluminis muro civitatis frequenter applicantes repulsi sumus Sarracenis ignem grecum proicientibus et bellicis machinis, que *petraria* dicuntur, lapides iaculando quosdam ex nostris interficientibus. Ex parte vero terre cum labore et expensis magnis fodientes aquis fossati impredientibus nichil profecimus; cum autem bellica quedam instrumenta, que *callos* nuncupant, versus muros civitatis traheremus, ignem grecum copiose proicientes Sarraceni multis ex nostris vulneratis illa combusserunt. Multi etiam nobis invitati et ignorantibus quandoque ex parte terre, quandoque sub aquis per fluvium civitatem ingredientibus non modicum his qui in civitate erant conferebant solatium, nostri vero rete magnum ex transverso fluminis protendentes facti *piscatores hominum* transeuntes Sarracenos capiebant. Iam vero omnibus attemperatis, quid amplius faceremus vix excogitare potuimus: longe enim fortior erat civitas paulo antequam caperetur quam in principio obsidionis. Dominus autem sibi soli victoriam reservabat, meritum autem nostrorum laboribus non negabat. Confidimus autem in ipso, qui portas nobis Egypti miraculose aperuit, quod christianorum imperio residuum subiciet Egypti tenebras illuminando et in fines orbis terre ecclesiam suam dilatando. Vos autem sine intermissione orate pro exercitu Iesu Christi, ut in terra promissionis vinea domini propagetur, ecclesie

PQ = (α), AFLV (=β), G.

204 multi vero] multi autem 3, et multi G. <martyrio> coronati coniacarii coll. IV, 119, 248; V, 87, *quoniam* coronari frequenter idem valet quod martyrio coronari. 227 ipso] Christo 2, AV, cf. p. 30.

207-209 (277-280) Cf. IV, 265-270. 222 Marc I, 17; l'emploi de cette expression biblique offre un exemple d'ironie plutôt rare chez Jacques de Vitry: cf. I, 133-134. 225-227 Cf. 91-93. 227 Cf. IV, 204-205; VII, 563-564. 229 Voir sur II, 278-279. 230 Cf. I, 192-193; II, 446; IV, 208. 231-233 Cf. 19-20; VII, 171-174.

R  
XVI, §3 reparentur, infideles eiciantur, fides restauretur, *ut edificentur muri  
Ierusalem*, quos inimici nostri | subverterunt: *tunc acceptabit sacri-  
ficium, iusticie, oblationes et holocausta et adorabimus in loco ubi*  
235 *steterunt pedes eius.*

[a]

Numerus bellatorum qui erant  
in civitate Damiate, XLV milia  
in prima obsidione illius preter  
parvulos, decrepitos et mulieres,  
240 qui fuerunt XXXV milia compu-  
tati, et preter CCCC bellatorum  
qui missi fuerunt a soldano ad  
succursum Damiate de nocte per  
terram, quos fere omnes *in mani-*  
245 *bis* † eorum fidelium ad hono-  
rem sui nominis miraculose *con-*  
*clussit* <deus> quia, dum per  
castra nostra ingrederentur ut  
intra civitatem reciperentur,

[b]

Salutant vos socii et amici  
nostri, O. de Dionanto, I(ohan-  
nes) de Cameracho, cantor noster,  
Henricus senescalcus ecclesie  
nostre.

[b, c]

Domnus Reinerus, prior sancti  
Michaelis, tradidit se religioni  
Fratrum Minorum, que religio  
valde multiplicatur per univer-  
sum mundum eo, quod expresse  
imitantur formam primitive ec-  
clesie et vitam apostolorum. Hec  
tamen religio valde periculosa

232-235 PQ (=a), AFLV (=β), G; 236-249 [a]: PQ (=a); 236-240 [b]:  
AFLV (=β); 242-249 [b, c]: AFLV (=β), G.

242 [b, c] Domnus Reinerus; R tantum G. 243 [b, c] excludit G, cf. 270.  
244 [b, c] Minorum Fratrum §. cf. I, 109. 245 [a] † eorum corrumpit  
soluti, suorum con. Martène. 247 [a] <deus> scripsi coll. I Regum 26, 8.  
248 [b, c] et vitam apostolorum om. G. 249-250 [b, c] nobis periculosa §.

*Interpolations et omissions du manuscrit A* 248 [b, c] et per omnia vitam  
apostolorum A. 248-249 [b, c] Hec tamen ... 256 dividuntur om. A.

232-233 ut ... Ierusalem] Ps. 50, 20. 233-234 Ps. 50, 21. 234-235 Ps.  
131, 7. 236-240 [b] Voir sur 275-276. 242 [b, c] = IV, 228 [b] 244-  
247 [a] in ... <deus>] Ps. 30, 9, cf. I Rois 26, 8. 244-246 [b, c] *Tempore*  
*enim modico adeo multiplicati sunt, quod non est aliqua Christianorum provincia,*  
*in qua aliquos de fratribus suis non habeant* (MO, p. 331-332; Boehmer,  
*Analekten zur Geschichte des Franciscus von Assisi*, 1904, p. 104, 3-4). 246-  
248 [b, c] ... *vitam apostolicam expressius imitantes* MO, p. 350, Boehmer,  
l.c., p. 102, 30; cf. I, 116-117. 248 [b, c] Hec ... 256 dividuntur] Selon  
Golubovich, *Biblioteca Bio-Bibliografica della Terra Santa e dell'Oriente*  
*Franciscano*, I (1906), p. 7, n. 1, ce passage serait interpolé: „Tutto il periodo  
... ha tutti gl'indizi d'una postilla o nota marginale, scritta da qualche  
monaco, quale poi per ignoranza dell'amanuense passò nel testo di Vitry.  
Del resto esso stona evidentemente con tutto quanto scrisse il Vitry in più  
luoghi sull'Ordine novello e su Francesco". Ce point de vue est partagé par Ron-  
caglia, *St. Francis of Assisi and the middle East*, 3<sup>e</sup> éd., Le Caire, 1937, p. 23,  
n. 38: „It seems to me, as it does to Golubovich, that here there is a question  
of an interpolation in the text of James de Vitry". S'il s'agissait réellement

250 nostri eos perceperunt et C et  
XXXVIII ex eis interfecerunt,  
et circiter XXX ad exercitum  
soldani retro reversi sunt, resi-  
dui vero sese infra civitatem re-  
255 ceperunt.

nobis videtur eo, quod non so-  
lum perfecti, sed etiam iuvenes  
et imperfecti, qui sub conventu-  
ali disciplina aliquanto tempore  
artari et probari debuissent, per  
universum mundum bini et bini  
dividuntur. Magister vero illo-  
rum, qui ordinem illum instituit,  
cum venisset in exercitum no-  
strum, zelo fidei accensus ad  
exercitum hostium nostrorum  
pertransire non timuit et cum

260

250-255 [a]: PQ (=α): 250-261 [b, c]: AFLV (=β). G.

251 [b, c] sed et G. 253 [b, c] aliquanto tempore om. β, cf. I, 104.  
256 vero om. β. 258 in] ad (cf. 259) β. 260 hostium nostrorum]  
Sarracenorum G. 261 pertransire non timuit] pertransiit G.

*Interpolations et omissions du manuscrit A]* 256-258 illorum ... cum] il-  
lorum fratrum frater Franciscus (sic) nominatur, qui adeo est (? lecture  
incertaine) amabilis et ab omnibus hominibus veneratur, cum A.

d'une interpolation, elle devait dater de très bonne heure, tout comme celle qu'on trouve dans A (cf. le second apparat sur 256-258: *nominatur, generatur*): les manuscrits G et L datent du XIII<sup>e</sup> siècle! Or, la remarque s'accorde bien avec l'attitude de Jacques de Vitry envers le nouvel Ordre; seulement, il est trop réaliste pour ne pas se représenter les dangers qu'un mouvement rénovateur peut facilement provoquer en passant de l'enthousiasme au fanatisme. Au cours de l'an 1216 (lettre I) il aperçoit, pour la première fois, les frères mineurs; au milieu de la décadence presque générale, voilà un groupe qui ranime les idées si profondément chrétiennes. Aussi applaudit-il à leur tentative, sans réserve, comme plus tard, en rédigeant son *Histoire de l'Occident*, il applaudira à leur réussite. En 1220, cependant, il les apprécie comme en 1216, mais, en homme expérimenté, ne ferme pas les yeux sur le danger que présenterait le nouvel élan spirituel si des esprits jeunes se laissaient emporter par lui. — Parmi les manuscrits qui contiennent ce post-scriptum, seul A omet ce passage. A mon avis, c'est là un indice de son authenticité: le scribe du modèle d'A étant très favorable à saint François, la réserve que formule Jacques de Vitry a été délibérément rayée du texte que ce copiste allait se composer. 253 [b, c] bini et bini] ... et ait ad eos: „Ita, charissimi, bini et bini per diversas partes orbis (Thomas de Celano, *Analecta Franciscana*, X (1941), p. 23, 7-8), cf. ibidem, p. 121, 9 (*Legenda Chori*) et p. 343 (XIX), 3 (Julien de Spire). 256-257 Magister ... instituit] Beaucoup moins vague dans l'*Hist. Occ.* (MO, p. 352-353, Boehmer, l.c., p. 104, 27 ss.: *Vidimus primum huius ordinis fundatorem magistrum, cui lanquam summo priori suo omnes alii obediunt, virum simplicem et illiterationem, dilectum deo et hominibus, fratrem Franciscum nominatum* ... etc. 259 zelo fidei accensus] cf. Crane, *Exempla*, 87, 11-12.





aliquot diebus Sarracenis ver-  
bum dei predicasset, modicum  
profecit. Soldanus autem, rex  
255 Egypti, ab eo secreto petiit ut  
pro se domino supplicaret qua-  
tinus religioni, que magis deo  
placeret, divinitus inspiratus ad-  
hereret. Eidem predicte religioni  
270 tradidit se Colinus Anglicus, cle-  
ricus noster, et alii duo de sociis  
nostris, scilicet magister Michael  
et domnus Matheus, cui curam  
ecclesie Sancte Crucis commise-  
275 ram: cantorem et Henricum et  
alios quosdam vix retineo.

[b]

Ego autem iam debilis et con-  
fractus corde in pace et tran-  
quillitate vitam meam finire de-  
280 sidero. Misimus vobis duos par-  
vulos de incendio Babylonis ex-  
tractos cum quibusdam pannis  
sericis et litteris aliis. Ostendite  
litteras abbati de Villari et aliis  
285 amicis nostris. Valet.

262-276: AFLV (=β), G; 277-283: AFLV (=β).

262-263 aliquot ... modicum] multis ... parum β. 264 tamen β. 265  
secreto om. G. 266 pro se om. G. 270 Colinus G. 272 magister om. β.

262-263 aliquot ... modicum, voir l'app. cr.] cf. *Anal. Franc.* X (1941), p. 43, n. 12. 264 soldanus] Mélik el-Kâmil. 275-276 Ces lignes prouvent que les deux personnages qui y sont mentionnés étaient connus de tous les destinataires. De plus, le chantre Jean de Cambrai se retrouve, avec un neveu défunt, dans le postscriptum de la lettre IVb (= G). Il y a donc lieu de se demander si l'omission des lignes 236-240 dans l'expédition représentée par le manuscrit de Gand, n'est pas simplement due à une erreur de scribe, au lieu d'être voulue par Jacques de Vitry lui-même. Il est toutefois possible que O(do ?) de Dinant ne comptait pas parmi les relations des religieuses d'Aywieres et que le passage manquait effectivement dans l'original dont dérive G, tout comme les lignes 277-283 qui, dans le seul groupe β, font suite au passage relatif à saint-François d'Assise. Aussi je préfère distinguer ces passages de ce qui est transmis par β et G, tout en soulignant l'incertitude sur ce point. 277-280 (207-209) cf. (I, 93-94). IV, 263-270. 281 cf. Apocal. 18, 9-10; cf. II, 205.





## الخطاب السادس

أما الخطاب السادس فقام جاك دي فيترى بكتابته في شتاء ١٢١٩-١٢٢٠ وعلى وجه التحديد في ٢ فبراير، ثم أكمله في ربيع عام ١٢٢٠م ليرسله إلى البابا في روما

إن نعمة الرب التي تساندنا في كل حين وكذلك كل العاملين في حق الرب والمكرسين للكرامة والبشارة وأيضاً الإخوة الأعزاء في المسيح والرجال معاونين في الكرامة تدفعنا إلى أن نكتب إليكم هذه الرسالة.

يشاركنا في الكتابة أنا "يعقوب" الأب الموقر، والتر فيلهيريس العامل في الدير. وكذلك ليوبولد الذي يتمسك بالمودة الأخوية وأيضاً الأخ سينفاتو وأولئك الذين يعملون في مناطق ومدن فارسية بفضل حكمة الرب لنقل رسالة المسيح. يبحث إليكم بالتحية الأخ الأسقف يعقوب في مدينة أكوني.

رأينا في رسائل سابقة الأعمال التي ساعدنا فيها الرب لنشر رسالة الإيمان في كل مكان نكون قد وصلنا إليه.

إن معرفة الرب قد وصلت إلى مملكة مصر وإلى الشرق والغرب.

إن الذي يبعث فينا الأمل دائماً لن يكون عدواً لنا بل هو عدو للرب نفسه، وهكذا كان يتشدد بالأمس في دمياط.

إن الرب يلازم المؤمنين في كل مكان بالمعجزات كعلامة حسية على ثقته فينا. إننا نرى في سور بيت المقدس "أورشليم" الذي أعاد بناءه عزرا ونحميا في العهد القديم بمثابة دافع لنا كي نواصل العمل مع الرب. كان الشرقيون يرددون هذا الكلام دائماً وكذلك سكان أورشليم وصور وكل المدن التي عرفت

الرب، فإنه يعطى السلام، هكذا قال الملاك جبرائيل للمطوبة مريم "السلام لك" فأتنا نحصل على هذا السلام من خلال الرب الذى يهبه لنا، قال بولس الرسول: "سلام الله الذى يفوق كل عقل يحفظ قلوبكم وأفكاركم فى المسيح يسوع" وذلك فى رسالته إلى أهل مدينة فيليب .

توجد جدران كثيرة قد تقف حائلاً أمامنا للوصول إلى الأهداف التى ننشدها. ولكن القوة التى يهبها الرب والتى تدمر الجدران، كما دمر شعب الله أسوار أريحا فى العهد القديم عندما قاموا بالالتفاف حولها سبع مرات فسقطت. وهكذا المؤمنون لاثقف العقبات أمامهم. وهكذا قال زكريا النبى: "من أنت أيها الجيل العظيم أمام زيبيل "اسم ملك اسرائيل" يعتبر سهلاً " إن الأجيال المعاصرة لنا تشهد بعمل الرب فى كل حين كما حكى لنا الشرقيون، إذ فى كل حين يشهد الرب ويلاحظ بقوة للمؤمنين به".

وتشهد أيضاً كنيسة روما بعمل الرب حيث أنه يظهر بقوة عظيمة وذراع ممدود قوى وهو يستحق المجد وحده حيث قال أشعيا النبى: " مجدى لا أعطيه لآخر".

لقد حكمت لنا المطوبة العفراء "اجائى" عن عمل الرب فى دمياط حيث كان حوالى ٣٠٠٠ ثلاثة آلاف من الشرقيين وهم يدافعون عن مجد الرب حيث لا يرهيبهم سيف ولا قوة الأعداء، لأننا كما وعد الكتاب فى قول بولس الرسول لله: إن أسلحة محاربتنا ليست جسدية، بل قادرة بالله على هدم حصون".

وكذلك تذكر المطوبة العذراء مريم في تلك المدينة التي قدمت تضرعات وطلبات كثيرة بدموع لكي يساعد الرب المؤمنين في كل مكان ولا تنسى المساعدات التي عرضها الابن المبارك بطرس، وكذلك للذين قدموا الخبز والملابس الغالية الثمن.

ونسمع أيضاً من التجمعات الإيمانية في سائر أنحاء الامبراطورية الرومانية، حيث كانت الهبات تفيض بشكل دائم ومستمر مثل للنهر، حيث قال الرب يسوع "مقبوط هو العماء أكثر من الأخذ".

وهكذا تكون المنفعة المتبادلة بين المؤمنين كما قال بولس الرسول :  
"هكذا قبلت عطيتكم بسخاء كنسيم ذبيحة عطرة".

وكذلك فإن الفقراء لم يشعروا بأي شيء بل وجدوا كل معاونة من الآخرين حيث نقل عن الرب يسوع "الذي اقتصر من أجلكم وهو غني لكي تستغنوا بفقره" وقال الرب يسوع "لثعالب حفر ولطيور السماء أوكار وأنا ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه إليه".

وهكذا فإن الانتصار الحقيقي لا يكون بسيف ورمح بل بروح الرب الحي الذي يهب النصر في كل حين كما قال بولس الرسول: "وشكراً للرب الذي يهبنا الغلبة في كل حين".

وهكذا وصلت المساعدات الإنسانية إلى تنيس وأورشليم وسائر البقاع.  
إن العبادة الحقيقية لا تكون مجرد الصلوات والدموع، بل بالعمل الحقيقي كما قال يوحنا الرسول: "لأنعب باللسان بل بالعمل والحق وكما قال أشعيا النبي لماذا

تحتون ظهوركم مثل الأسلة "وهو نوع من النباتات" تعبيراً عن السخرية من مجرد الصوم للصوم، بل إن هذه العبادات يجب أن تكون تعبيراً أو انعكاساً للمعنى الإيجابي للإيمان، هكذا كان الشرقيون "السراقيون" بأعمالهم التي سمعنا بها. ولا نفسى فى هذا المقام دور خدام الرب والأساقفة مثل فانثول ويوحنا واندياس وخاليتس فى منطقة هامة فى مملكة فرنسا، وبيير ليموتى، واندجاونس واودو من منطقة كانيليو، وآخرين كثيرين ممن يستحقون الأكاليل المقدسة التى وعد بها الرب يسوع المسيح وهتك بها بولس قائلاً: "قد جاهدت الحسن وأكملت السعى وأخيراً وضع لى إكليل المجد الذى وهبه لى الرب الديان، وليس لى فقط بل الجميع الذين يحبون ظهوره فقط".

والرب يسوع المسيح نفسه هو رئيس الرعاة حيث قال بطرس الرسول "ومتى ظهر رئيس الرعاة تناولوا إكليل المجد الذى لا يبلى" وهكذا نحن بأعمالنا التى يدعنا فيها الرب نهتئ أسوار بيت المقدس.

كانت هناك حروب كثيرة قد حلت على دمياط ومضايقات شديدة، إنه ليل طويل وشتاء بالمعنى الروحى للكلمة ولكن الرب لا يخذل المؤمنين أبداً.

يبعث إليكم بالتحيات ديوناشو ويوحنا من كاميراكو والمرسل الخاص بالكنيسة هنريوس.

وكذلك السيد ريفيه وميخائيل، والأخوة الشباب وكل الجمع المؤمن والذين يعيشون حياة الرسولية الحقبة متمنين أن تستقر الأمور والأوضاع فى كل المناطق ويحيا للجميع فى سلام.

إن الغيرة الإيمانية تحكم الجميع هنا، كما قال الرب يسوع: "غيرة بيتي أكلتني" وهكذا لا تهتم ولا تبالي إن أقبلت جيوش الأعداء من أي حذب وصوب.

وكذلك فإن سلاطس ملك مصر يتضرع أن يحفظه الرب ويهبه الحكمة لكي يدير دفة الأمور بسلام وكذلك نطلب من الرب أن يحفظ لنا رئيسنا كولنيس أنجيلوس وسائر الأعضاء المشاركين في الخدمة وكذلك السيد ماثيوس وهيئة الصليب المقدس، والسيد هنريكن المرتلين.

إنني وإن كنت أشعر بالضعف والوهن الجسدي إلا أنني أشعر بالقوة التي يهبها لي الرب يسوع، وهذا ما يجلب لي السلام الداخلي.

وأرجو أن يساعد الرب الأخوة الذين تضرعوا من الحريق الذي حدث في بابل. ويشارك في التحية فيلاري والأصدقاء.

أطلب من الرب أن يسلم ويحفظ من يسلم هذه الرسالة التي أتضرع من قلبي أن تكون سلوى وعزاء لكم في وقت الشدة التي تمرّون بها، وأرجو من الرب أن يحفظكم سالمين من كل عمل شرير. أرسلوا إلينا لكي تعلموننا عن أحوالكم ونرجو أن نسمع كل أمور صالحة من خلال رسائلكم ولقد قرأنا الرسائل التي أرسلتموها إلى الدير الخاص بمدينة فيلاري.

❖ ههنا يتجهز الطلاب للامتحان ❖

~~~~~

الخطاب السابع

R
XVI, 34

a. Sanctissimo patri ac domino H(onorio), dei gratia summo pontifici I(acobus), divina permissione Acconensis ecclesie minister indignus, tam debitam quam devotam cum osculo pedum reverentiam.

5 b. Viris venerabilibus et in Christo karissimis fratri Waltero Villariensi abbati et magistro Iohanni de Nivella et fratribus suis de Ognies ceterisque amicis suis in partibus illis commorantibus Iacobus, divina permissione Acconensis ecclesie minister indignus, eternam in domino salutem.

10 c. L(eopoldo) dei gratia illustri duci Austrie I(acobus), divina permissione Acconensis ecclesie minister indignus, sic transire per bona temporalia ut non amittamus eterna.

d. Viris venerabilibus et in Christo karissimis Stephano decano et Philippo cancellario Parisiensibus et aliis universis magistris et
15 scolariis in civitate Parisiensi commorantibus I(acobus), divina permissione Acconensis ecclesie minister indignus, *talenta* sapientie et scientie domino *cum usuris* reportare.

e. Iacobus divina misericordia Acconensis-episcopus, omnibus amicis suis salutem in Christo.

R
XVI, 85

20 Postquam divine propitiationis munificentia servorum suorum diuturnos et multiplices miserata labores Damiate civitatem, LX milibus pugnatorum infra civitatem absque gladio et pugna interemptis, in manus christianorum tradidit et castrum Thaneos inexpugnabile fugientibus impiis Sarracenis nemine persequente
25 subiecit christicolis, succedentibus prosperis multi ex nostris tan-

1-4: C: 3-9: FLV (=β); 10-12: G; 13-17: I; 18-19: B; 20-23: C, FLV (=β), G, I, B.

7 Ognies: Oegnis I, 41. 10 L] J *codex Gandensis*.

11-12 Cf. II, 281-282. 16-17 *talenta ... reportare*] cf. Mathieu 23, (14-17 (30). 20-23 Cf. le commencement du prologue de l'*Histoire de l'Orient*, BO, 1047: *Postquam divina propitiationis commiseratio exercitus Christo longanimitatem et patientiam clementer respiciens et eiusdem diuturnos miserata labores portas Egyptiorum confregit* [cf. VI, 17] *et Damiatani famosam Egypti civitatem subdidit nomini christiano...* 21 Cf. 361.

torum beneficiorum immemores et ingrati dominum ad iracundiam
provocaverunt variis criminibus animas suas obligantes et maxime
 spoliis paganorum et thesauris civitatis furto et rapina communita-
 tem exercitus defraudando. Quibus iratus dominus exemplo Achor
 30 qui de anathemate Iericho furtive retinuit, ultione manifesta in mari
 et in terra eos periclitari permisit, quibusdam eorum a Sarraценis
 captivatis, aliis mari submersis, aliis mutuo a se interfectis; alii
 autem pecuniam per sacrilegium retentam cum aleis et meretricibus
 luxuriose vivendo turpiter consumpserunt et ita sordida preda
 35 bonos eventus non habuit, sed miseris possessoribus suis vinculo
 excommunicationis innodatis fuit in laqueum et in ruinam et cum
 eis pecunia eorum fuit in perditionem. In illa autem tempestate et
 tenebroso tempore falsi nominis peregrini supra modum corripe-
 rant; vias suas corruentes de peccato in peccatum, divino timore
 R
 XVI, 86 40 postposito, et qui in sordibus erant, adhuc sordescabant passim
 luxuriantes commensationibus et ebrietatibus vacantes, invicem
 mordentes atque invicem detrahentes, seditiosi, prophani et pro-
 ditores, Christi negotium maliciose perturbantes et Christi exercitus
 impediētes promotionem; prelati autem neque obedientiam neque
 45 ullam exhibebant reverentiam, sed gladium ecclesiasticum contem-
 nentes excommunicationis vilipendebant sententias. Rex autem
 Ierusalem cum omnibus fere militibus suis exercitum deseruit,
 magister Templi cum maiori parte fratrum suorum recessit, omnes
 fere Francigene milites abierunt, dominus autem patriarcha no-
 50 biscum noluit in exercitu remanere. Omnes autem qui de Cypro
 erant nos reliquerunt et generaliter omnes fere orientales tam
 prelati quam milites seculares absentes erant, exercitu peregrinorum
 ante Damiatam in magno periculo remanente. Tanta autem pau-
 pertate omnes fere milites nostri attenuati fuerant, quod iu toto

C, FLV (=β), G, I, B.

28-29 communitatem] communia I, comitante β. 32 mutuo a se] mutuo
 a se invicem GB, a se mutuo β. 37 fuit om. βI. 46 sententiam IB.
 49 autem] etiam β, vero B. 49-50 nobiscum noluit in exercitu] in exer-
 citu om. B, nobiscum in exercitu noluit G. 51 generaliter fere omnes GB,
 omnes fere generaliter β.

26-27 Deut. 4, 23; 9, 18. 27 Nombres 30, 4 et 7. 29-30 Voir sur
 VI 132. 34 luxuriose vivendo] cf. Crane, *Exempla*, 239, 6 et 266 (p. 123,
 13) et mon édition du *Dialogus* de Pierre de Blois, RB, LXVIII (1958),
 p. 91-92. 36 fuit in laqueum] Ps. 63, 23. 37 pecunia ... perditionem]
 Actes 8, 20. 38-39 Genèse 6, 12. 40 Apocal. 12, 11. 46-47 février
 1220.

R
XVI, 57

- 55 exercitu quatuor vel quinque vix reperti poterant qui de suo in Christi servitio valerent sustentari, presertim cum nec reges ne principes nec alii potentes in exercitu remansissent excepto comite Matheo de regno Sicilie, qui milites quotquot poterat proprii expensis retinebat. Dominus autem legatus de elemosinis communitatis quibus poterat providebat: Nostri igitur, quia pauci erant et cum Sarracenorum multitudine secure congredi non poterant infra licias et fossata sua ut civitatem | custodirent morabantur Soldanus autem Egypti cum exercitu suo itinere fere unius diei | civitate Damiate remotus castra sua in insula quadam collocavera.
- 60 per exploratores suos, impios christianos qui in exercitu nostro precio conducti latitabant, nobis multipliciter insidiando captansque opportunitatem si ex aliqua parte nostris posset aliquas inferre molestias vel per aliquos viros Belial, prophanos christianos, inter nostros posset discordiam seminare. Plerumque autem hii qui in
- 70 insidiis latitabant Sarraceni aliquos ex nostris incaute exeuntes ducebant captivos vel eis capita abscidebant: pro quolibet enim christianorum capite soldanus Egypti certam eis sponderat pecuniam. Nostri autem versa vice de suis, paucos tamen, aliquando capiebant, ipsi enim inertes et expediti velut capreoli
- 75 celeriter fugiebant et in lacubus paludosis sese recipientes. De nostris autem militibus et Turcopolis, qui quandoque longius ab exercitu necessitate aliqua equitabant pro lignis deferendis vel graminibus colligendis, equis eorum sagittis vulneratis aliquos quandoque detinebant, nostros autem pariter conglobatos et in unum collectos
- 80 nunquam in congressu expectare audebant nisi longe plures nostris fuissent. Aliquando autem arte lugam simulantes aliquem de nostris indisciplinate subsequentem includentes capiebant, nostris autem pariter redeuntibus Beduini eorum, habentes equos agiles, posteriores a longe sequebantur captantes opportunitatem si forte aliquem
- R
XVI, 88 85 ex nostris ab aliis | incaute recedentem detinere valerent, sed et

C, FLV (=β). G, I, B.

60 igitur] ergo I, autem G. 61 multitudine Sarracenorum βB. 63 unus dies fere βI. 69 discordias Cβ. *fortasse recte, cf. 201, dissensiones, et adn. ad II, 162-163, immortales discordias.* 72 certam sponderat eis I, sponderat eis certam G. 75 et in] et om. CI (*sed recipiebant* [75] G). 79 nostros] om. β, nos B. conglobatos pariter I, conglobatos autem pariter β. 85-86 sed et eorum] et om. B, et eorum om. β.

57-58 Voir p. 34 (VII). 68 Cf. Douc. 13, 13; Juges 19, 22. 69 Prov. 6, 19. 73 versa vice] cf. 114-115. 75 et] explicatif, voir p. 33, n. 1. 76 Turcopolis] milices musulmanes au service des chrétiens. 80-81 Cf. 106-107.



eorum arcarii a parte posteriori recedentium equos vulnerantes
 quandoque de nostris aliquos retinebant. Ex quo factum est quod
 plusquam tria milia christianorum apud Alexandriam et Kairum
 et Damascum capti teneantur in vinculis, quorum quidam a piratis
 90 Sarracenorum in mari fuerunt capti, alii in prelio detenti, alii
 dum pabulatum exirent captivati; multi autem ex pauperibus, dum
 in lacu quodam non multum a castris nostris remoto incaute pis-
 carentur, vel in ipsius maris litore a nostris longius recedentes ab
 hostibus in insidiis latentibus retenti, *abierunt* in captivitatem
 95 *ante faciem subsequentis*. Quadam autem die cum milites et Turcopoli
 nostri cum preda magna tam paganorum quam animalium a quo-
 dam casali lessi valde et afflicti reverterentur, Turci quidam in
 insidiis latentes cum equis recentibus posteriores ex nostris aggressi
 et telorum multitudine equos nostros vulnerantes magnum nobis
 100 dampnum intulerunt, quibusdam ex militibus nostris probis valde
 et in armis strenuis ab ipsis partim captis, partim interemptis. Sic
 igitur casibus subalternis christianorum exercitus quandoque in-
 ferior ab hostibus captivitatis et mortis detrimenta sustinebat,
 quandoque superior inimicos crucis Christi partim trucidabat,
 105 partim captivos ducebat. Quoniam autem Sarraceni cautiores erant
 et ad fugiendum promptiores, nostros autem nisi longe plures essent
 et manifestam preeminentiam attenderent expectare non aude-
 bant, cum ipsi plusquam tria milia ex nostris ut dictum est in
 R
 XVI, 89 vinculis detinerent, vix mille ex ipsis detinebamus captivos. De
 110 Sarracenis autem frequenter ad nos aliqui spontanei pertransibant,
 qui tamen christianorum vitam duram nimis et artam iudicantes
 eo, quod inter suos quicquid libebat licebat, diutius nobiscum
 manere non sustinebant, sed ad consuetas immundicias paganorum
 revertebantur a nobis occulte recedentes. De nostris autem versa
 115 vice quidam miseri et abiecti ad castra paganorum sponte transibant

C, FLV (=β), G, I, B.

94-95 retenti ... subsequentis] retenti om. G, captivati sunt 2. 97 et
 afflicti om. βB. 99 equos nostros vulnerantes] equos vulnerantes G, vul-
 nerantes equos C. 100-101 militibus ex nostris ... captis C, nostris ...
 captis om. G. 102 exercitus christianorum βB. 103 captivatis IB.
 104 crucis Christi] om. β, crucis om. G. 105 captivos ducebat] captivabat
 βB, cf. p. 48, n. 2. 110 spontanei] om. I, sponte β. transibant βI, cf.
 115. 112-113 manere nobiscum βG. 114-115 vice versa βB.

88-89 cf. 318-319. 94-95 Lamentations 1, 6. 95 Turcopoli] voir sur
 76. 102 casibus subalternis] même expression BO, 1049, 6 et 1059, 32.
 106-107 cf. 80-81. 114-115 cf. 73.



ut commessionibus et luxurus et obscenis voluptatibus passim
et absque ulla contradictione *defixi in jecibus suis* fedarentur.
Cum autem soldanus Egyptius multos ex predictis apostatis
recepisset, infidelitatem eorum et animi levitatem non ignorans
120 astute eis usus est mittens eos ad - motiores regni sui partes, unde
nunquam reverti valerent; ipsi autem adeo viles inter Sarracenos
habebantur, quod vix unde miseram vitam sustentarent illis
tribuebatur neque eos in hospitiiis suis recipere volebant, sed eis
improperabant quod sicut mali christiani fuerant, ita Sarracenorum
125 legem nunquam bene observarent. Soldanus autem Egypti modis
omnibus procurabat qualiter nostros posset molestare et exercitum
nostrum in plures partes divisum debiliorem reddere; unde manda-
vit fratri suo Coradino, soldano Damasci, quatinus circa partes
Acconenses munitionem novam, que Castrum Peregrinum dicitur,
130 obsideret. Ex quo factum est quod multi de exercitu nostro ad
castrum subsidium festinantes abierunt et quod Acconenses ad exer-
citus nostrum non venirent ante Damiatam. | Alii autem fratri
suo, quem Seraph dominant, qui princeps est regni Calaph in terra
Assyriorum, predictus soldanus, dominus eius, precepit quatinus
135 circa partes Antiochenas et Tripolitanas cum exercitu suo moraretur,
ut ex partibus illis nullum possemus habere succursum, sed ex
galearum multitudinem in mari posuerat ut transitum peregrino-
rum et mercatorum impediret et auxilio eorum, qui in Cypro
conmorantur, christianorum, nos privaret. In bargis preterea et
140 galionibus multitudinem pugnatorum circa castrum Thaneos et in
lacu maximo, qui e . una parte fere usque ad castra nostra proten-
debatur, posuerat. Interea autem ex utraque parte civitatis Damiate
Beduinos, Turcopolos et milites multos habebat ut exercitum
nostrum multipliciter expugnaret, et ita predictis VII partibus nos
145 infestando septemplex nobis inferebat molestias. Dominus autem
populi sui *afflictionem respiciens derelictos non dereliquit*, sed

C, FLV (=β), G, I, B.

118 Egypti CB. cf. 47. cr. ad 464. multos ... 119 recepisset] om. 3,
multos om. C. 121 fuerunt CG. 125 asservarent B, custodirent I.
129 Peregrinorum I, V, Peregrini B, FL, cf. P. Deschamps, *La défense du*
Royaume de Jérusalem, 1939, p. 25, n. 1. 132 ante Damiatam non veni-
rent Cβ. 140 castra βG. 143 interea] interum B (cf. 171), in terra βI.
146 sui populi βB.

117 Sophonie 1, 12. 141-142 cf. 92. 143 cf. 76. 144 VII partibus] cf. 127-
130, 132-136; 136-139; 139-142; 142-144. 146 Genèse 31, 42; Exode 4, 31,
cf. II, 63-64; V, 29. non dereliquit] I Rois 12, 22; III Rois 6, 13; Ps. 93, 14.

clementi bonitate consoletus est desolatos, quibus tandem *revatio*
ledit intellectum ut in tribulationibus et variis periculis *clamarent*
ad dominum quanto magis siquidem paucitatem suam humano
130 subsidio destitutam conspexerunt. tanto firmius *de supernis* auxilium
expectantes *spei* sue *anchoram* in domino proiecerunt. interius
enim a domino visitati et divine predicationis sermonibus *numati*
revertentes ad cor et penitentiam agentes, confitentes peccata sua
mutati sunt in virum alteram adeo. quod exercitus domini respectu
135 eius quod ante fuerat quasi claustrum monachorum videretur
confestim igitur fervore spiritus accensi et saniori usi consilio
omnes publicas meretrices ab exercitu recedere coegerunt, si quas
autem ultra terminum prefixum et diem assignatum repenebant.
per medium castrorum faciebant fustigari et plerumque ferro
R 160 calido adurentes cauterium in i frontibus imprimebant. Publico
XVI. 91 insuper edicto proclamari preceperunt ne quis causa potationis
tabernas frequentaret vel deciorum seu alearum lusibus operam
daret, certam pecunie penam transgressoribus infligentes. Latronibus
autem et homicidis et aliis viris sceleratis non parcebant XII con-
165 siliarii cum marescalco domni legati, qui malefactores punire iura-
mento tenebantur; predicationibus autem divinis et salutari-
bus mandatis libenter et humiliter intendentes, quod auribus percipie-
bant operibus adimplere satagebant. Quoniam autem pauci valde
in exercitu remanserant pugnatores, absque magno et manifesto
170 periculo contra Sarracenorum multitudinem congredi non valebant
interim autem quod poterant devotissime faciebant: civitas popula-
batur, construebantur ecclesie, edificia vetustate diruta repara-
bantur, *seminabant agros, plantabant vineas*, civitatem undique
muniebant. Ex parte autem opposita civitati super fluvium Nili
175 ad custodiam portus et navium mirabilem cum labore maximo
construxerunt munitionem: omnes a maiore usque ad minorem

C, FLV (=B), G, I, B.

130 conspicerent I. aspexerunt B. 136 igitur] om. C, ergo I. 162 seu;
sive CG, vel I. 163 celeratis (sic) viris I, scleribus inquinatus B. 167
aure CG. 168 implere B. 171 interim] interea G (cf. 142), item I.
173 vineas plantabant C. 174 flumen I, et ex fluvium, B. 175
cum labore maximo] om. B, cum labore magno B, cum maximo labore G.

147-148 Isaie 28, 19. 148-149 cf. II, 100. 150 Jean 3, 23. 151
[V, 133] *spei* ... *anchoram*] cf. Hébreux 6, 18-19. 153 Isaie 46, 8.
154 I Rois 10, 6. 154-155 respectu eius quod ante fuerat] cf. Olivier
de Cologne, *Historia Damiatina*, éd. Hoogeweg, p. 252, 3-7. 171-174
cf. VI, 231-233. 173 Ps. 106, 37. 176 Genèse 44, 12, cf. VI, 110-111.

- supra collum et humeros sabulum deportantes et in uno loco congregantes, quasi in collis similitudinem Toroni altitudinem erexerunt, terre argillose muro sabulum concludentes: non enim in
 130 Egypto lapides reperiuntur, nisi a partibus Cypri vel Syrie cum labore magno navigio deferantur. Construxerunt igitur quasi inexpugnabile castrum quod fossore. vel petrarias | non timeat neque ignem grecum. In medio autem turrem ligneam mire altitudinis erexerunt, non solum ad castrum defensionem, sed ut
 135 navigantibus Damiatam tanquam signum a remotis appareret. Construxerunt nichilominus in medio magni lacus, de quo superius fecimus mentionem, aliam munitionem inter urbem Damiatam et castrum Thaneos medio loco sitam, quam Butavant nostri vulgariter appellant, ob quam causam Sarraceni supra modum doluerunt eo, quod maximam lacus partem nostri eis auferentes infinita
 190 piscium optimorum habundantia exercitum nostrum reddiderunt copiosum et insuper cum bargis et galionibus suis sicut prius exercitum nostrum Sarraceni molestare non poterant. Aliorum autem victualium tantam nobis dominus contulit habundantiam, quod
 195 pro modico precio milites nostri et alii pauperes sufficienter poterant sustentari. Cum igitur IIII munitiones haberemus in Egypto, Damiatam scilicet et Thanis et Toronum in sabulo et castrum Butavant in lacu amplissimo, nostrorum statu semper in melius crescente, inimicorum conditio vergens ad occasum in
 200 deterius profluebat, presertim cum inter se Sarraceni pugnam et dissensiones haberent et rex Damasci Coradinus, qui Castrum

C, FLV (=β), G, I, B.

173 quasi ... Toroni] quod (ad V) instar collis β, quasi ... (om. Toroni) G. 183 apparet CB. 187 aliam munitionem; om. B, munitionem om. G. 188-189 quam nostri vulgariter Butavant appellant I, quam vulgariter nostri Butavant appellaverunt β. 192 suis sicut] om. G, suis om. β. 193 Sarraceni non poterant molestare I, non poterant Sarraceni molestare G.

173 Toroni altitudinem, voir 197] A distinguer du château du Toron, à 22 kilomètres à l'est de Tyr (=VI, 42), cf. P. Deschamps, *La défense du Royaume de Jérusalem*, Paris, 1939, p. 117(-143). 181-182 cf. IV, 22. 186 superius] VII, 92, 141. 188 „Der ... Name Butavant ist offenbar, wie umgekehrt der Name Damiette in französischen Urkundenbüchern zwei- bis dreimal als Ortsname in Frankreich erscheint, aus dem französischen Ortsnamen Butavant (La Grange; Oise, départ., arrond. Beauvais), wo 1199 die Unterhändler des Königs von Frankreich und England sich trafen (Annales Burton. p. 199) (= *Annales Burtonenses* a.d. 1199, éd. H. R. Luard, *Annales Monastici*, I (Londres, 1864), p. 199, 23-26), abzuleiten“ (Röhricht, *Zeitschrift f. Kirchengeschichte*, XIV (1894), p. 98, n. 2). 199 cf. V, 10. 201-202 cf. 128-129.

Peregrinum obsederat, cum magna confusione, multis ex suis interemptis, recessisset. Frater autem eius dictus Seraph audiens regem Indorum David terram suam invasisse, a partibus nostris
 R 203 cum exercitu suo coactus est recedere. Hic autem rex David, vir
 XVI, 93 potentissimus et in armis miles strenuus, callidus ingenio et victoriosissimus in prelio, quem domitus in diebus nostris suscitavit ut esset malleus paganorum et peritidi Machometi pestifere traditionis et execrabilis legis exterminator, est ille quem vulgo
 210 presbyterum Iohannem appellant. Qui cum fratrum suorum ...
 nus esset, sicut de sancto rege Israel David propheta legimus, omnibus prepositus est et in regem divinitus coronatus. Quam mirabiliter autem dominus ipsum his diebus promoverit et eius
 opera magnificaverit, gressus illius dirigens et populos innumeris,
 213 gentes, tribus et linguas eius ditioni subiciens, ex transcripto carte subsequentis patebit, quam de Arabico in Latinum per fideles interpretes, prout melius potuimus, transferre procuravimus

Excerpta de historia gestorum David regis Indorum, qui presbyter Iohannes a vulgo appellatur. [1] In nomine Patris et Filii et
 220 Spiritus sancti. Amen.

[2] Hec est materia processus regis David, filii regis Israel, filii regis Sarchisi, filii regis Iohannis, filii de Bulgaboga credentis in Christo Iesu. [3] Rex David prefatus est minor fratrum suorum.
 [4] Pater eius, rex Israel, habuit sex filios, et hic fuit minimus omnium.
 225 [5] Mortuo patre eius successit ei frater eius primogenitus et tam ipse rex quam pater eius, rex Israel, et avi et proavi eius erant obediens regi Persarum qui vocabatur Chancana, quod dicitur lingua nostra *rex regum*, et terra sua erat a Chasar usque Bellasachun, que terra est ultra flumen quod lingua persica dicitur
 230 flumen Geos. [6] Prefatus autem rex Persarum, congregatis astro-

R
 XVI, 94

202-217: C, FLV (=B), G, I, B; 218-230: FLV (=B), G, I, B; DZ (=N)

203 autem] om. C, etiam B. dictus] om. B, LV (scilicet F). 210 appellat C3. 213 his diebus eam B. 218 Iudeorum G1, cf. Zarncke, l.c., p. 21-22. 224 rex om. B, cf. 226. 225 ei om. N, ei frater om. B. 226 alt. rex om. B, cf. 224. 228 lingua] in lingua G, cf. 229, 302. usque ad IB, cf. 435, 480. 230 autem om. GD. 230-231 astrologis suis convocatis I, convocans astrologos suos =.

207-208 Cl. Iuges 2, 16. 209-220 quem vulgo ... appellant] voir la note sur II, 231-232. 211 I Rois 17, 14. 214 opera magnificaverit] Eccl. 2, 4. gressus ... dirigens] cf. Prov. 20, 24. 224-225 cf. Ps. 46, 4. 225 carte] voir p. 56-62. 218 Indorum] voir l'apparat critique.

logis suis, quesivit ab eis ut ei futura predicerent et que ventura essent post mortem eius. [7] Qui iuxta consuetudinem eorum ceperunt puerum unum virginem, quem minui fecerunt utroque brachio et sanguinem eius recipientes in uno vase coniuraverunt illum.

235 [8] et puer antequam mortuus esset predixit eis omnia. Dixit quoque quendam regem David nomine valde nobilem debere sibi subiugare regnum Persarum. Sic predictus Chancana rex-Persarum quesivit ab eis quid super hoc dicerent, et si scirent in provincia illa aliquem regem qui vocaretur David. [9] Qui dixerunt se nullum scire qui

R
XVI, 95 240 vocetur hoc nomine: *tamen rex Israel habuit filium | unum parvulum qui vocatur David, qui nullius valoris est.* [10] Dixit ergo rex prefatis astrologis: *Mittamus fratri suo ut nobis eum mittat et sic occidamus eum, et de nomine ipso nos liberabimus.* [11] Misit ergo nuncios suos ad regem Indie, fratrem David, ut ei fratrem suum mitteret, quia

245 ei volebat benefacere et honorifice promovere. [12] Frater vero David, receptis super hoc nunciis, cum quibusdam fidelibus suis, de quibus confidebat, misit fratrem suum ad regem prefatum dubitans quid vellet facere de fratre suo. [13] Veniente puero ad regem Persarum, letatus est valde rex de adventu suo. [14] Puer

250 osculatus est terram coram eo eumque devotissime salutavit. Qui valde formosus erat, quem statim ut vidit rex, misertus est eius. [15] Aderant ibi due uxores regis, quarum una erat filia regis Iohannis, amita regis Israel, patris David, altera erat filia regis Chanichi, ex qua filium habebat qui vocabatur Philippus. [16] Que

255 dixerunt ei: *Neque vos timetis deum? Puer hic ad vos sub fide vestra advenit et est sub umbra vestra et pedibus tetigit tapete vestrum, et vultis eum morti tradere pro verbis diabolicis vobis annuncialis, videlicet pro his que dixit vobis puer quem minui fecistis et interfici?*

R
XVI, 96 260 [17] Et valde istud ei improperabant uxores eius, quarum una erat christiana, | scilicet amita patris ipsius David, et altera incredula.

FLV (=β). G, 1, B; DZ (=π).

235-236 quoque om. β; regem om. GZ. dixitque regem David β. 238-239 aliquem regem] om. I, regem aliquem D. 239 se om. GD. 239-240 vocaretur G, qui ... nomine om. π. 243 de nomine ipso] om. β, de ipso nomine I, de ipso (om. nomine) π. ergo] om. β, igitur B, preterea π. 245 ei volebat benefacere] om. β, volebat ei benefacere ID, ei bene volebat facere G. vero] autem IB. 248 veniente; veniente autem βG. 255 sub fide vestra ad vos D, sub fide nostra ad nos G. 256 venit BD. tapete vestrum] om. β, tapetum vestrum ID, tapetium vestrum B, tapetia vestra G. 259 istud ei improperabant om. β, istud improperabant ei GZ, ei illud improperabant B. 260 patris ipsius; om. β, ipsius om. D, ipsius patris GZ. altera] om. βZ, altera erat IB.

Sic rex verewardiam habuit in corde suo et consideravit quid de hoc
 facturus esset. Demum permissione divina permisit eum repatriare
 [18] In continenti puer cum suis equitavit et instinctu divino per
 diem et noctem equitavit XL leucas, tantum properans reditu-
 265 suum equitaturas mutando. [19] Accesserunt ad regem scribe et
 astrologi sui improperantes ei quod male fecerat, quia ipsum redire
 permiserat. [20] Rex in continenti penitens de eo quod fecerat
 misit post eum cursores equites ut eum apprehenderent. Quos
 invenire non potuerunt: [21] evaserat enim voluntate divina
 270 Demum venit ad terram fratris sui. [22] Post hec spacio trium
 annorum mortuus est frater eius omnesque de regno conveniunt
 in eum elegeruntque ipsum in regem ipsorum pro eo, quod vidi-
 batur formosus, discretus et magnanimus, [23] et virtute divina
 primo bono omine promoverunt eum in ordinem secundum con-
 275 suetudinem predecessorum suorum et deinde unxerunt eum in
 regem; deinde copulaverunt ei in uxorem filiam regis Damachagi
 [24] Et in tantum ipse laboravit, quod gentis maxime copiam con-
 gregavit, quam utique nemo dinumerare poterat, et equitavit super
 terram Chancana regis Persarum. [25] Cui prefatus rex Persarum
 280 Chancana occurrit cum multitudine magna et adinvicem pugnave-
 runt. [26] Sic voluntate divina et auxilio vivifico crucis rex David
 prevaluit ipsumque devicit, et maior pars gentis eius occisa fuit
 preter quosdam, qui lavacro baptismatis abluti sunt. [27] Captus
 est etiam rex Persarum Chancana predictus et aureis compedibus
 285 astrictus et super currum ductus captivus in terram regis David
 [28a] Predictus rex David subiugavit sibi totam terram illius,
 quod regnum vocatur *regnum regis regum Sarracenorum*, in quo
 sunt LXIII magne civitates, quarum una vocatur Damagaleha,
 alia Chasahar, alia Lakehelech, Melech, Bessibehelec, Chaten,
 290 Asguchent, Chaogent, Bakara, Samarchanda, Phargana, Agayya.
 [28b] † a Chasahar usque Phargana sunt X diete, a Phargana usque
 Chaogent alie X diete, a Chaogent usque Bachara XX diete, a

R
 XVI, 97

FLV (=31. G, I, B; DZ (=π).

262 deinde BZ. 265 equitaturas suas 3G. 269 evasit BZ. 270
 demum] om. β, deinde [BZ, cf. 273. 272 ipsorum] om. B=, eorum I.
 273 pr. et om. GZ. 275 et om. B=, demum BD (cf. 270), post hec Z.
 277 maxime] om. β, maximam GZ. 279-280 rex Persarum Chancana]
 om. β, Persarum Chancana om. Z, Chancana om. BD, rex Chancana
 Persarum G. 280 magna] om. β, maxima G, cf. 277. 311-312. 362.
 382 sue IB. 287 pr. regnum om. 31. 291 † a] om. β=, iterum a
 GB, interim a I.

Bachara usque Zarmich VIII diete, a Zarmich usque ad Bokarichi X diete, a Bokarichi usque ad Abiar X diete, item a Zarmich usque
 295 Bellasachun X diete. [29] Postmodum venit rex David ad terram que dicitur Alaamar, que est in confinio Indie. In provincia vero, ubi est prefata civitas Alaamar, sunt tante civitates, quas dinumerare nemo posset. [30] Civitas ia rex Persarum morari consueverat, Gasne | vocatur, que est maxima civitas et populosa
 R
 XVI, 98 300 valde, in qua sunt quingente machomerie et totidem scole et sexcenti fundeti, ubi hospitari consueverant sophi Sarracenorum, qui dicuntur lingua nostra *monachi*. [31] Prefatus rex David pugnavit postmodum cum rege predictae terrae que dicitur Alaamar, et devicit eum et tota | iere gens eius occisa est preter quandam partem, que
 R
 XVI, 99 305 conversa est ad fidem nostram, [32] et subiugata sibi tota terra illa reversus est ad terram que vocatur Chatha. Tunc erant treuge inter regem Chatha et Chavarsmisan, et erant inter eos terre pro indiviso, scilicet Bachara, Samarchant, Bellasachun. [33] Prefatus Chavarsmisan misit nuncios suos ad regem David et concordavit
 310 cum eo deditque ei totam terram quam habebat ultra fluvium Geos. [34] Postquam ipse fuit securus de rege David, congregavit gentem maximam et ivit super quandam provinciam que vocatur Chorasana, et super magnum Arach et parvum Arach, que sunt magne provincie, et Diarbechen, et venit prope Baldach per sex dietas. [35] Qui
 315 misit nuncios suos ad caliphum Baldacensem, qui dominatus fuerat in Baldach per annos XLI, qui vocatur Alenazer Lenidalla, quod est interpretatum *auxilium legis divine*: istud est cognomen eius, nomen eius vocatur Romanzur filius Mostadi. Unde et diffidavit eum: Caliphas magno timore ductus, quia vires habere non
 320 poterat ut resisteret ei, consuluit fideles suos [36] qui dixerunt ei ut rogaret Iaphelech, id est patriarcham Indorum, qui in civitate Baldach morabatur, quod mitteret regi David ut treugas frangeret Chavarsmisan | et sic cessaret ab infestatione sua. [37] Prefatus

R
 XVI, 100

FLV (=β), G, I, B; DZ (=π).

297-298 tot sunt civitates, ut earum numerus ignoretur β, tot sunt civitates, ut eas Z, tot sunt civitates, quot D. 302 lingua] in lingua Gf., cf. 228. 303 que dicitur om. I. 304 fuit IB. 311 ipse] om. β, enim ipse GB. 312 maximam? om. β, magnam IB, cf. 250. provinciam quandam IB. 320 qui dixerunt ei] et om. I, qui hortati sunt (om. ei) β, qui sibi dixerunt D.

301 fundetus, fundicus (funduk), *factoverie*. 318-319 diffidare] *dénoncer la foi vassalique, annoncer la rupture du lien de vassalité, désavouer son suzerain* Niermeyer, *Medias lat. lex. minus*. 319-320 habere non poterat] voir p. 33, a. 1.

caliphas nocte equitavit cum quibusdam de suis, quia die equitare
 325 non consuevit nisi statutis diebus, et ivit ad domum patriarche, qui
 morabatur in Baldach. Quem statim ut vidit patriarcha, honorifice
 suscepit et letatus est valde de adventu suo. Tunc allocutus est eum
 caliphas dicens: *In maximo articulo peto auxilium tuum, et fidus amicus*
in necessitate probatur: [38] *ecce nequam iste Chavarsmisan super nos*
 330 *potenter advenit et si occupaverit terram istam, omnes christianos tuos*
morti tradet, quia valde eos odio habet. [39] De quo respondit patriar-
 cha, verum fore. Tandem dixit ei caliphas quia *hoc modo me invare*
potestis. Rex David et omnes alii qui custodiunt legem vestram, vobis
obediunt: rogo ut per litteras et nuncios vestros regi David precipiendo
 335 *institatis ut guerram moveat Chavarsmisan, et sic cessabit a molestatione*
nostra. Scio enim pro certo quod, si rex David ipsum molestare ceperit,
in continenti ipse repatriabit. Nam si hoc michi compleveritis, vobis
et omnibus qui tenent legem vestram, quicquid volueritis concedemus.
 [40] Respondit ei patriarcha: *Vos scitis quia sacramento tenemur*
 340 *omnibus predecessoribus vestris et vobis, ut nullas litteras mittamus*
alicui regi christianorum nec aliqua nova ei significemus de terra
vestra. [41] Ad quod respondit caliphas: *Ego sum dominus huius*
terre et caliphas prophetarum Sarracenorum: super hoc licenciam
 R
 XVI, 101 345 *vobis concedo et litteras | securitatis inde vobis faciam.* [42] Sic pa-
 triarcha exaudiens preces caliphe misit regi David ut dicto
 Chavarsmisan treugas infringeret. Quo audito rex David congre-
 gavit gentem innumerabilem et equitavit super terram Chavars-
 misan. [43] Audiens istud Chavarsmisan ad propria rediit. De quo
 letatus est valde caliphas offerens maximam auri quantitatem
 350 patriarche, [44] quam omnino patriarcha recipere recusavit: unum
 tantum rogavit, ut faceret ei dirui quandam machomeriam, que
 erat super ecclesiam patriarche, que sibi magnam inferebat mo-
 lestiam. Quam prefatus caliphas sic funditus subvertere fecit in
 nocte, quod in die etiam signum ipsius non comparuit, et istud
 355 fuit primum malum omen legis sarracene. [45] Preterea postquam

FLV (=β), G, I, B; DZ (=π).

325 consueverat BZ. 326 moratur BD. 328 dicens] om. Z, dicens ei
 ID. 332 quia] om. Z, quod BD. me om. IB. 333 potes I, poteris Z.
 alii om. BZ. 334 litteras] litteras vestras B, litteras nostras I. 341 ei
 om. Z, significemus ei ID. 344 inde vobis faciam] om. β, inde tibi faciam
 D, vobis inde faciam G, vobis facio I, tibi tradam Z. 349 auri maximam
 quantitatem B, maximam (magnam D) quantitatem auri π. 350-351 unum
 tantum: rogavit] unde tantum rogavit B, unde rogavit D, unum rogans Z.

355 sarracene] voir sur II, 344-345.



R
XVI, 102

- Chavarsmisan ad terram suam rediit, voluit libenter pacificari cum rege David, quod ille penitus recusavit, et sic congregavit gentem innumeram et transivit flumen Geos preparans se regi David potenter oppositurum. [46] Quem rex David viriliter devicit
360 in campo, et maior pars gentis sue cisa fuit. Asserunt quidam eum fuisse mortuum, quidam vero dicitur et ubi sit. [47] Iterato congregavit gentem maximam rex David et XVI alios magnos viros, quorum unus habebat C milia hominum, alius CC milia vel parum plus vel parum minus, et divisit | exercitum in XL crucibus,
365 quarum quilibet continebat sub se C milia hominum, et venit citra flumen Geos et cepit [48] Choarismen et Moa et Bendei, Techris, Nanru, Sarches, Thus, Tarsis, Dargan, Chorasani, Nichaguar, Termede, Baguarda, Nassa, Bastem, Edabamagan, Ceregi, Bolchie, Segisten, Saarsitan, Messedali, Chechi, Mean, Seheri, que
370 omnes sunt magne civitates, preter alia parva castra et villas, que fuerunt CC, [49] et regnum soldani Soniar, in quo sunt he civitates: Musahar, Delbikan, Deschaan, Curchaan et alia provincia, que dicitur Delgor, in qua sunt VIII magne civitates, et regnum de Marendran, in quo sunt VIII civitates magne et CC castra, et terra
375 ista in longitudine est XX dierum et in latitudine XII. Et hic est finis terrarum Chavarsmisan. [50] Regnum soldani Tagiel est in introitu regni Persarum, quod dicitur magnum Arach, id est *magnum regnum*, quod per tres | menses potest equitari, [51] et caput huius regni est quedam civitas que vocatur Rabi. Alie
380 civitates vocantur Auher, Scharrai, Sehemenech, Sehemanan, Casvin, Senchan, Cham, Chaschan, Amedan, Esboban, Sanguhaa, Senchehan, Conine, Amiana et castra plusquam CCC. [52] In terra de Diarbakan sunt he civitates: Mirris, Eiohan, Bellochan, Cohai, - Change, Eschenii, Aramie, Enuschaar, Meraga, Sada, Chanoguin,
385 Testemodi, Sardahan, Guarduhil, Munedo, Solemeste, et terra ista est XLVII dierum in longitudine. Item in provincia que dicitur Chanka sunt XX civitates et castra CXX, et regnum istud vocatur regnum Ebibeth, quod dicitur parvum Arach, id est *parvum regnum*. Omnes prefatas terras subiugavit sibi rex David et distat a Baldach

R
XVI, 103

FLV (=β). G, I, B; DZ (=π).

360-361 quidam eum fuisse] om. β, eum quidam fuisse G, quidam eum esse I, eum quidam esse B, quidam ipsum Chavarsmisan fore Z. 361 dubitabant GB. 362 gentem maximam] gentem magnam G (cf. 280), exercitum ... permaximum β. 370 parva] om. βB, castra parva G. 371 fuerunt] om. β, sunt IB.

- 390 per V dietas et a Musseech per totidem dietas. [53] et caput exercitus
 pervenerat ad terram Georgianorum, quos devicit et abstulit eis
 NL castra, quia, cum essent christiani, confederati erant cum
 R
 XVI.104 de Baldach, qui tulerunt super caput suum vexillum, in quo erat
 395 crux, quando intraverunt Baldach. [55] Quibus dixerunt Sarraceni:
Quare fertis super caput vestrum crucem, cum sitis in Baldach (que
 dicitur sarracenicè Darheselem, quod est interpretatum curia
 salutis) *et in facie Sarracenorum?* [56] Quibus dixerunt nuncii:
Dominus noster, rex David, precepit nobis ut hoc modo intremus
 400 *terram, aliter vero non; quod si nolueritis, revertemur.* [57] Signifi-
 catum est hoc caliphe, qui dixit: *Intrent sicut velint.* Quos statim
 ut caliphas vidit, honorifice suscepit assurgens eis, quos iuxta se
 sedere fecit. [58] Cui nuncii ex parte domini sui per interpretem
 locuti sunt dicentes: *Rex noster vos salutem et significat quod noster*
 405 *Iaphelech, id est patriarcha, multum se commendat de vobis, quod*
sincernum semper habuistis unum erga christianos et honorastis
ecclesias nostras, pro quo ipse concedit vobis sextam partem terre quam
tentis, et vult habere Baldach, ut sit ibi sedes patriarche. [59] Quibus
 dixit caliphas: *Rex virtute divina subiugavit sibi tantam terram et*
 410 *ubique personaliter esse non potest. Oportet ut per terras conquistatas*
 R
 VI.105 *statuat baiulos suos: supplico* } *ergo ut me in terra ista baiulum suum*
statuat, et dabo ei tantum pecunie quantum ipse voluerit. [60] Nuncii
 dixerunt: *Non venimus ad querendam pecuniam, sed quia undivinus*
vos fecisse dirui sanctam Ierusalem, tantum pecunie serimus, quod
 415 *muros ipsius auro et argento reedificabimus.* [61] Obtulit nunciis
 exennia valentia C milia bisantiorum, que nuncii recipere nolue-
 runt. [62, 63] Quando autem rex David pervenit ad terram que dici-
 tur Casrin, quam sibi subiugavit, dimisit ibi baiulum suum cum
 paucis de suis, et dimittens terram illam post tergum suum, homines
 420 illius civitatis interfecerunt baiulum regis et alios de familia sua.

FLV (=B), G, I, B; DZ (=π).

391 terras B. 393 suos om. B. 395 crucem (cruces B) *post* fertis,
 IB. 399-400 intremus terram! om. B, terram om. G, intracenus terram
 Iπ, intremus terras B. 400 volueritis IB. 401 intrent sicut velint!
 intrent sicut volunt D, ut intrent sicut volunt G, ut intrarent sicut vellent Z.
 411 supplico ergo; ergo om. GI, unde supplico B, rogo (om. ergo) D. 414
 sanctam civitatem Ierusalem I, muros sancte civitatis Ierusalem B. 419
 et om. B, de suis et om. Z. terram illam; om. I, terram ipsam D, ipsam
 terram G.

419 dimittens] voir sur IV. 93.



[64] Quod cum audisset rex, misit partem gentis sue ad obsidendam terram illam, que obsessa fuit VI diebus. [65] Septimo die in medio noctis ceciderunt tres turres et VI cubiti de muris predictae civitatis et ingredientibus christiani terram ipsam occiderunt in ea LXXX milia hominum pugnatorum.

R
XVI, 106

Que secuntur ex alia carta translata : nt.

[1] Subiugavit dominus famulo suo regi David terram Caracher, in qua sunt XII magne civitates, et preterea terram soldani Begrichar, in qua sunt VIII magne civitates, preterea terram que dicitur Sacom, usque Sagibus XX dietas et inde usque Pharaga et Margana X dietas. Inde subiugavit terram Coegent, unde venit copia optimi serici, que durat usque Bocara, que continet intra se CCC <civitates> et LXVI flumina et iudices seu consules, XII milia et continet XX dietas, et inde usque ad terram Harsinoth VIII dietas et inde usque Sacchere XX dietas. Ista sunt ultra flumen Geos et in medio terrarum istarum sunt CCL oppida et ville magne. [2] Citra flumen Geos cepit dominium soldani Machemoth, cuius terra dicitur Choresan, in qua sunt he civitates: Amanchioniro, Mero, Sirchos, Thos et Maummerie, Dabuli, Sarasten, Gaharamien, Nessaor, unde veniunt optimi baudekini, Barach, Herte, unde veniunt lapides preciosi, Bastem, Schere, Damirigagi; iste sunt maiores civitates. | De aliis oppidis et villis magnis CCXXXII sibi subiugavit. [3] Acquisivit preterea terram soldani Senecha, que continet has civitates magnas: Nessihor, Debihagan, Dehestan, Gargan, et preterea cepit regionem Decantan-de-hensin, que continet VIII civitates magnas. [4] Preterea cepit regiones Macharenzedran et terram adiacentem cum X civitatibus magnis et CCL munitiombus magnis. [5] Inde cepit regiones soldani magni, qui potentior est omnibus predictis, Caioreseth, continentes III menses

II
XVI, 107

421-425: FLV (=β). G, I, B; DZ (=π); 426-449: FLV (=β), G, I, B.

431 quod ... rex; quod ... rex David GB, quod dum venisset ad notitiam regis Z, quod veniens ad noticiam suam D, quo comperto rex β. 425 hominum om. βD. 431 subegit β, subiecit B. 433 <civitates> Zarnche. 433 usque ad βG, cf. 228. 436 istarum terrarum βG. 437 fluvium βI.

433 iudices seu consules? Consules etiam dicuntur qui in emporiis seu portibus maris mercalorum iura ac marcas tueruntur DuCange. 440 baudekinus, baldakinus, baldekinus, pannus omnium dilissimus ... sic dictus quod Baldacco, seu Babylona in Perside, in Occidentales provincias deferretur DuCange.

450 in longitudine et totidem in latitudine. [6] Inde cepit terram soldani Theor Delbarach. Inde venit prope Baldach et cepit a latere terram Debihagan continentem XLVII magnas et famosas civitates, inter quas maiores sunt: Leray, Aschar, Chasvin, Chon, Chassehen, Sephen, unde veniunt optimi bocarani, Hamedan, et preter predictas XLVII civitates continet oppida et villas magnas CCCXX. [7] Postea cepit terram soldani Sardahan continentem has civitates: Harman et Marahan, Selemesth, Marahage, unde venit terra qua capita abluuntur. Preterea cepit terram amiralis Bobair continentem XI civitates, cuius | metropolis est Keme, et CLXX oppida et villas magnas. Et hec est ultima regio Persidis ex parte nostra et inde non est nisi plana terra usque Baldach, scilicet V diete. Omnia predicta nomina sunt in persica lingua.

R
XVI, 108

Habet autem rex David tres exercitus, quorum unum misit in terram Calaph fratris soldani Egypti, alium misit in Baldach, 463 tertium misit versus Mausam, que prisco nomine Ninive nuncupatur, et iam non distat ab Antiochia nisi per XV dietas, festinans venire ad terram promissionis ut visitet sepulchrum domini et reedificet civitatem sanctam. Prius tamen proposuit domino concedente subiugare nonini christiano terram soldani Iconiensis et 470 Alapiam et Damascum et omnes regiones interiacentes, ut nec unum posset se relinquat adversarium.

Precedentium litterarum exemplaria attulerunt comiti Tripolitano homines ipsius ex partibus illis venientes, mercatores etiam a partibus Orientis species aromaticas et lapides preciosos deferentes 473 consimiles litteras attulerunt; quotquot autem de partibus illis veniunt idem dicunt. De exercitu etiam nostro quidam a soldano Egypti capti fuerunt, quos fratri suo Coradino misit Damascum; Coradinus misit eos domino suo caliphe Baldacensi, ille autem regi

450-462: FLV (=β). G, I, B; 463-478: C, FLV (=β). G, I, B.

450 longitudinem ... latitudinem GI. 453 amiralis Bobair G, am(m)i-raudi Bobatre β, ammirabilem Bobacce I, admirabilis Bobatre B. 464 Egyptii CI, cf. 118. 465 qui βL nuncupatur] om. G, nominatur IB, vocabatur β. 467 ad] om. G, usque ad C, in I. 476 venerunt βB. nostro etiam C, autem nostro I. 478 Coradinus rex Damasci CG, cf. 128, 201. misit eos] eosdem misit β, eos om. B.

454 bocaranus, boquerannus, bacaranum, buchiranum, *tela subtilis species* DuCange. 472-473 comiti Tripolitano] Bohémond IV, voir sur II. 340.

R
XVI, 109

David pro magno munere predictos captivos transmisit. Qui post-
 480 quam eos christianos esse cognovit, a vinculis absolutos usque
 Antiochiam reduci precepit, qui | predictos rumores et alia quam
 plurima de rege David nobis retulerunt. Soldanus igitur Egypti
 per nuntios predicti caliphe Baldacensis audiens predicti regis
 David insuperabilem potentiam et mirabiles triumphos et qualiter
 485 iam fere per ducentas dietas terras Sarracenorum in manu potenti
 occupasset nec erat qui valeret ei resistere, consternatus animo et
 mente confusus precepit adduci sibi quosdam nobiles ex nostris
 quos in carcere Kayri detinebat captivos, electum scilicet Belva-
 censem et fratrem eius et vicecomitem Bellimontis et Iohannem de
 490 Archies et Odonem de Castellione et Andream de Espoisse et quos-
 dam de fratribus Templi et Hospitalis sancti Iohannis et de domo
 Theutonicorum, per quos pacem cum nostris se sperabat obten-
 turum, proprios etiam nuntios in exercitu Damiate cum litteris
 nobis transmisit modis omnibus attemptans si pacem vel treugas
 495 posset habere nobiscum. Christianorum autem exercitus predictis
 rumoribus exultabat et *confortabatur in domino* et maxime post-
 quam litteras imperatoris Romanorum Frederici recepimus cum
 nuntiis eius affirmantibus, quod concedente domino cum magna
 virtute et magnifico apparatu venturus esset in proximo Augusto
 500 ad honorem dei et subsidium christianorum. | Anno siquidem
 preterito liber quidam Sarracenorum magne apud ipsos auctoritatis
 in manus nostras devenit. Hunc autem quidam eorum astrologus,
 quem prophetam magnum Sarraceni reputant, a principio legis

R
XVI, 110

C, FLV (=β). G, I, B.

480 usque om. β, usque ad G. cf. 228. 481 deduci IB. 482 igitur om. G.
 484 insuperabiles potentias B, mirabilem potentiam I, mirabiles potentias
 (et inestabiles triumphos) β. 485 terras principum Sarracenorum β,
 Sarracenorum terras I, terram Sarracenorum CG. in manu potenti om. I,
 potenti virtute β. 486 ei om. G, qui ei valebat resistere I, qui ei resistere
 posset β. 487 sibi adduci C, sibi om. G. 487-488 quosdam ex nostris
 nobiles C, quosdam nobiles quos ex nostris (captivos tenebat) β. 493
 proprios etiam nuntios suos G, nuntios etiam (om. proprios) β, et proprios
 nuntios B. 493-494 cum litteris in exercitu Damiate nobis transmisit C,
 nobis in exercitu Damiate transmisit cum litteris β. 496-498 postquam
 litteras Romanorum imperatoris Frederici cum nuntiis affirmantibus rece-
 pimur C, cf. p. 30 (β). 498-500 quod ... christianorum om. β, qui do-
 mino concedente ... christianorum C. 501 magne om. B, magno apud
 eos β, magne quidem apud nos I. 503 reputabant βI, vocant C.

489-490 Voir la note sur V, 253-256. 493 in exercitu] voir p. 33, n. 1.
 496 Ephésiens 6, 10. 501 liber quidam] voir Funk, p. 108-109.



eorum cum summo studio scripserat. Predixit autem inter alia
 505 multa quanto tempore lex eorum permanere deberet et que sicut
 gladio inceperat, ita gladio peritura erat. Prophetavit insuper
 quanta mala Saladinus facturus esset christianis et qualiter ante
 destructionem gentis paganorum et exterminium legis eorum re-
 510 gnum Ierusalem cum multis aliis regnis proprie subiceret ditioni, inde
 vero non tanquam vaticinando, sed quasi historiam ordinate de-
 scribendo de recuperatione civitatis Aconensis et de hiis que in
 exercitu regum Francie et Anglie et aliorum occidentalium princi-
 pum acciderunt apertissime retulit ac si ea propriis oculis aspexisset.
 Addidit insuper, sicut oculis nostris vidimus, quicumque usque
 515 ad captionem Damiate hiis diebus nobis et Sarracenis variis casibus
 contigerunt et propter hoc aliis, que nondum evenerunt, que ipse
 in proximo ventura predixit, fidem facilius adhibuimus: prenun-
 tiavit enim qualiter capta Damiatum Alexandria et Kayrum et
 R
 NVL, 111
 Babyloniam et universas Egypti regiones christianorum populus
 520 optineret, Damascus pretereā et Alapiam et omnes adjacentes
 provincias christianorum princeps potentissimus in virtute exer-
 citus populi christiani occuparet et civitatem Ierusalem cum univer-
 sa Syria liberaret de manibus paganorum. Quoniam autem qui talia
 predixit Sarracenus extitit, multi ex nostris verbis eius fidem ad-
 525 hibere noluerunt non advertentes qualiter Balaam ariolus et gentilis
 de Christo et filiis Israel prophetavit et Nabuchodonosor de futuris
 regnis et lapide sine manibus de monte exciso sompniavit et Pharao
 rex Egypti fertilitatis future et sterilitatis subsequere in sompniis
 providit enigmata; sed et Cayphas, cum esset pontifex anni illius,
 530 non a se ipso, sed a spiritu sancto prophetavit loquens sicut asina
 Balaam et que diceret non intelligens, nec aliquem de sanctis pro-

C, FLV (=β), G, I, B.

504 predicebat (506 prophetabat) 3, predixerat 1B. autem om. 3, enim 1.
 505 permanere debet C, permaneret I. 506 perbit I, finiret 3. 507
 soldanus CI. 509 subicerent CI. 512 regis 1B. Francie et Anglie
 et om. C, Anglie et Francie I. 513 ea om. 5G. respexisset I, vidisset G.
 514 insuper; etiam 3B. 515 casibus variis GB, in diversis casibus 3.
 518 enim; om. G, etiam I. 520 Damascus pretereā et quia Damascus
 3, Damietam (sic) autem I. 523 de manibus (manu I) paganorum libe-
 530 ret 2I. 530 prophetavit om. 3B.

518-519 cf. 88-89. 515 Balaam] Nombres 24, 17-19. 516-517 Daniel
 2, 31-36. 527-529 Genèse 41, 17-36. 529-530 Jean 11, 49-52. 530-
 531 Nombres 23, 28; ...licet dictina imperio asina Balaam locuta fuerit
 BO, 1100, 35-36.

phetis apertius de Christo et utroque eius adventu estimo fuisse locutum quam dominus locutus est per Sybillam: firmius est enim testimonium, quod a parte adversariorum profertur. Ut autem omnis ambiguitas ab his qui dubitant tolleretur, hoc presenti anno Suriani qui nobiscum erant in exercitu, librum alium antiquissimum lingua sarracenicā scriptum de antiquis armariis suis nobis ostenderunt, cuius erat superscriptio: *Revelationes beati Petri apostoli a discipulo eius Clemente in uno volumine redacte*. Quicumque autem libri huius auctor extiterit, ita aperte et expresse de statu ecclesie dei a principio usque ad tempora Antichristi et finem mundi prenuntiavit, quod ex completionē preteritorum indubitātā facit fidem futurorum. Prenuntiavit autem inter alia de consummatione seu consumptione perfide legis Agarenorum et qualiter imminente et quasi in ianuis existente destructione paganorum primo civitatem herbosam et aquis circumdatam — sic enim Damiatam appellavit — populus christianorum subiugaturus esset, post hec vero de duobus regibus novis subiungit, quorum unus venturus est a partibus Occidentis, alium a partibus Orientis obviam predicto regi in civitatem sanctam venturum predixit et quod per manus regum predictorum dominus abhominabilem impiorum hominum legem exterminaturus esset multis ex ipsis gladio interemptis, aliis ad fidem Christi conversis, ut intraret plenitudo gentium et sic omnis Israel salvus fieret et post hec veniret filius perditionis et inde iudicium et finis. Hunc predictum Apocalipsis librum postquam universo populo in sabulo ante Damiatam ad verbum dei congregato causa consolationis et recreationis ostendimus, non multo post tempore memoratas epistolas et rumores iocundos tam de rege orientali David quam de imperatore Frederico audivimus, sicut in predictis duobus libris prius audieramus. Vnde et populus domini inter labores multiplices et angustias, quas hucusque |

C, FLV (=β), G, I, B.

533 enim est GB. 535 dubitabant βB. 539 autem om. βB. 540 huius libri auctor I, auctor huius libri G. 542 quod] qui C, ut (cf. 543) β. 543 fecit G, faciat (cf. 542) β. prenunciat βI. 547 appellat β, appellant CB. 548 vero] om. β, autem G. novis om. βB. 549 alium] alius (cf. 550) βI, alius autem B. 550 regi] om. B, regi quem (cf. 549) β. 551 predictorum regum GI. 551-553 ab(h)ominabiles ... leges βB. 554 post hec veniret] veniret om. C, veniat post hec β. 560 unde et] unde om. β, et om. CI, ut B.

530 librum alium] voir Funk, p. 109-110. 544 Agarenorum = Sarracenorum. 553 Romani 11, 25. 554 Jean, 17, 12. 561 cf. 21.

3
1.113 pro Christo sustinuit, plus quam dicere possemus gavisus est et
in Christo servitio confortatus. Confidimus enim in domino, quod
qui cepit ipse perficiet, dilatabit locum tentorii sui et longius faciet
363 funiculos suos et erit sepulcrum eius gloriosum et spiritu oris sui
interficiet impium: ipse enim mortificat et vivificat, deducit ad inferos
et reducit, ipse pauperem facit et dilatat, humiliat et sublevar. [?]ai
honor, virtus et gloria in secula. Amen.

Datum in exercitu Damiate octava Pasche.

C, FLV (=B). G, I, B.

362 est post Christi (363) 3, post confortatus (363) C, om. G. 363 quod
quia C3. 368 honor] honor et 2B. amen om. CI (cf. IV, 272). 369
prorsus om. 3GB, habent CI: Damiate octava Pasche, cf. IV, 240-242, a.
ante Damiatam (cf. 131-132) in octava Pasche I; cf. p. 54-55 (VII).

363-364 Philipp. 1, 6, cf. IV, 204-205; VI, 227. 364-365 Isaie 54, 2. 365-
366 II Thessal. 2, 8. 366-367 I Rois 2, 6-7, cf. VI, 165-166. 367-368
Pour cette doxologie, cf. I Tim. 6, 16. 369 Voir p. 49 et 54-55 VI.



الخطاب السابع

والخطاب السابع والآخر فقد أرخه جاك دي فيتري في ١٨ إبريل عام ١٢٢١م



كتبه جاك دي فيتري بعد عودته إلى بلاد الشام، وبعد أن أخفقت الحملة الصليبية الخامسة على مصر، شارحاً فيه طبيعة أرض مصر وطبيعة الشعب المصري، وذاكراً بعض عادات وتقاليد الشعب المصري مؤكداً للبابا في رسالته أن ما يتمتع به الشعب المصري من طبيعة قلب يمكن أن يسمح بنشر الديانة المسيحية بينهم لأنه الشعب الذي لا يضطهد أحداً من اليهود أو النصارى، مؤكداً في الرسالة وناصباً فيها أيضاً ألا تتراجع البابوية عن تجديد الحملات الصليبية للاستيلاء على مصر، إذ هي كما ذكر "مفتاح الدخول إلى بيت المقدس".

ترجمة النص إلى العربية :

بنعمة من الرب، أرسل أنا جاك دي فيترى 'يعقوب' وخادم الكنيسة
أكونيس وكذلك المكرسين لعمل الكرازة والبشارة، وأيضاً من قبل الأخوة
الأعزاء في المسيح والرجال المكرمين من الجميع 'التروفلاريني' الذي يعمل في
الدير وأهيد العظيم يوحنا من 'نيضيل' والأخ أجنس وكافة الأصدقاء وأنا 'يعقوب'
نبعث ونرسل جميعنا بوافر التحية .

وأيضاً 'بيوبولد' مسئول النمسا والذي يتمتع بهذه العلاقة التي تربطنا
إلى الأب. وكذلك الأخ العزيز 'ستيفانو' الذي يعمل شماساً في مدينة فيليب وأولئك
الذين يعملون في مناطق ومدن فارسية من خلال الحكمة السماوية التي يمنحها
الرب لكل عبده الذين ينقلون رسالة المسيح .

نبعث إليكم أنا 'يعقوب' الأسقف الموجود في مدينة أكنيميس ومعى
الأخوة الباقيون بالسلام في المسيح.

لقد حققنا أعمالاً عظيمة بفضل مساعدة الرب لنا في مدينة دمياط، ذلك
أن المسيحية قد امتدت إلى مدينة تنيس وارتبط نشاطنا الناجح بهذه المنطقة
بفضل مساعدة الرب لنا .

إننا على علم بأن الوثنية^(١) تهدف إلى تدمير الحياة وتقوم على أساس
السلب والنهب. على العكس من المسيحية التي تهدف إلى السلام والبناء، إذ كثيراً

^(١) نعت جاك دي فيترى المسلمين بأنهم وثنيين، في النص اللاتيني ولكن كلمة "Sarracenis"
تعنى الشرقيين، أو المسلمين. وهى دليل على التعصب والكراهية للإسلام والمسلمين.
المترجم.

ما وجدنا أناساً يسلبون وينهبون من المعابد ويستولون على ما بداخلها، بل من جيوش الوثنيين تعيثُ فساداً في كل مكان. وقد ذكر في العهد القديم أن «اخان بن آشور» قد استولى على رداء بن شنعارين في أثناء حصار مدينة أريحا أيام النبي يوشع مما أدى هزيمة شعب الله فنحن حاشا لنا أن نطمع فيما ليس لنا بل إننا نسير في خضوع الرب الذي يعطي ويمنح بسخاء في كل شيء بل ويطيِّض علينا، إذ أن هذه الأموال الغير مستحقة تؤدي إلى الهلاك، كما هو مكتوب «محبة للمال أصل لكل الشرور الذي إذا ابتغاه قوم ضلوا عن الإيمان وأصابوا أنفسهم بأوجاع كثيرة» وهكذا فنحن الآن في عهد النعمة، إذ لا نتواجد جيوش وقوات عسكرية ماديين، بل إننا جميعاً نعمل كجيش للمسيح في الكرازة، وكذلك يشاركنا في هذا كل الأخوة والأخوات الذين يعملون كجنود في هذا الجيش.

وهكذا نحن نحارب مع زملائنا في قبرص وآخرين كانوا يواجهون الخطر الشديد في دمياط، ومع ذلك كانت قوات المسيح تعطينا القلبية والانتصار في كل حين. ولكن هذا لا يمنع أن توجه إلينا من بنى باليعال وهو تعبير كتابي يفيد من يحالفون الشيطان "أعداء كنيسة الله" حيث كنا نواجه المخاطر بالسهام والأسلحة فيما عدا جماعة «مايثو» من منطقة صقلية. وهكذا كنا كجنود نحارب في مصر وفي جزر معزولة، وكان يساندنا في ذلك الأتقياء المسيحيون الذين يؤمنون بقلوبهم ويقدمون أموالهم، وكنا نواجه هذه المخاطر أيضاً في منطقة «تورقوبليس» وكنا نقابل بضراوة شديدة ضد الأعداء الذين يبقون مقاومة البشارة المسيحية، وكان هناك أيضاً البدو الذين قاموا إلى حد ما بمساعدتنا، كما كان يمدنا المؤمنون في كل مكان وأيضاً الأصدقاء الذين يضع الرب في قلوبهم

الرحمة والسلام لنا ضد أبناء البغال الذي يزرعهم الشيطان في كل مكان في محاولة يائسة لإيقاف انتشار المسيحية والكرارة، ولكن هيهات أن يتحقق هذا الوهم، إذ أننا كنا نجد الكثيرين الذين ينتظرون الساعات الطوال من أجل سماع كلمات الرب المنسكبة على أفواه خدامه.

ومع هذا كنا نجد في كل وقت معاناه الأمرين. وفي مدينة الإسكندرية كان يبلغ عدد المسيحيين هناك نحو ثلاثة آلاف (٣٠٠٠) وأيضاً مثلهم في القاهرة ودمشق كانوا يتحملون كما تحمل المسيح الصليب وكان هناك أعداد باستمرار يحاولون بشتى الوسائل أن يزيحوا ويمنعوا ما نقوم به من عمل، غير أن عدد للمسيحيين والتمسك بالمسيحية كان يزداد ويزداد معه الإيمان ولم تنطفأ جذوته فنحن دائماً نتوقع مساعدة الرب لنا في الأوقات الحرجة.

وكان هذا هو الوضع في مدينة "تورقوبليس" حيث حاول الأتراك بكل قوة أن يوقعوا خدام الرب في الأسر ويمنعوا العمل الجليل الذي كانوا يقومون به، ولكن على العكس أتت الحياة المسيحية التي كان يحياها خدام الرب إلى الصمود والتغلب على ما كانوا يقومون به أو يدبرونه من أعمال شريفة، وهكذا كان هذا هو سلاحنا على الدوام ناظرين إلى صليب المسيح الذي يمثل الأمل، ولكن بعد الصليب توجد القيامة التي تمثل الأمل.

وهكذا كان السيراكيون في منطقة سيراكيا على نفس النهج وصاروا مثلاً لكل أتباع الإيمان، فيما بعد بما قدموه من مثال نادر على الحياة المسيحية للحقة.

ولعل الخطر الذى يتهدد الإيمان - أى إيمان - هو الإرتداد، ذلك أن الشخص المنتسب زوراً إلى عقيدة عندما يرى الأخطار التى تحيط به من كل جانب يتحول تمسكه بهذه العقيدة نتيجة نخوعه أمام الأخطار المحدقة به فيترك الديانة. وكما كان يحزننا ويؤلمنا أن نسمع أن أناساً يبيعون المسيح كما بيع يهوذا الأسخريوطى سيده. ولكن كانت هذه حالات نادرة لا تذكر بجانب الصور الرائعة لأولئك الذين يتحملون كل الآلام، ولا يفقدون إيمانهم، كما نجد مثلاً الأخوة فى دمشق، وفى دمياط ومناطق آشور، وكذلك فى مدينة تريفوليس وأيضاً فى أنطاكية وطرابلس وكل التجمعات المسيحية الكبيرة فى المدن الموجودة فى سائر أنحاء البلاد. إن كل هؤلاء تحملوا الآلام حتى للنهاية، وكان المثال الجلى لنا جميعاً فى الدفاع عن الكنيسة الأولى فى بيت المقدس 'أورشليم' حيث كان التواء لنشر المسيحية فى كل أنحاء العالم.

حقاً كان الجميع جنوداً أوفياء للمسيح، فلم يترجعوا قيد أنملة، بل استمروا حتى عندما طردوا، كانوا يرتحلون إلى مكان آخر، لكى ينشروا الإيمان فى مكان آخر، فلم يفت هذا فى عضدهم، بل زادهم إصراراً على نشر الإيمان المسيحى.

إن كل هؤلاء كانوا ينادون الرب عندما يشتد بهم الأخطار والمضايقات فى كل مكان يطلبون منه التدخل كى يساعدهم فى أن يتثبتوا ويتحملوا الرسالة التى كلّفوا بها وجعلوا أنفسهم فى خدمتها.

هكذا نحن نعمل كما ذكر الرب يسوع مثل الزارع الذى خرج يزرع فسقطت بعض البذور فى أرض خصبة فأثمرت ثماراً جيدة، وتلك التى سقطت فى أرض بها شوك فنما للشوك ولخثثق النبات، وسقطت بذور أخرى فى أرض ليست بها تربة عميقة، فلم يصعد النبات لكى ينبت فيها. وهكذا فإن أنواع التربة مختلفة. وهكذا فإننا وجدنا ذلك المثل مطبقاً فى كل الأماكن التى كنا نذهب إليها فى ربوع مصر حيث النيل الذى سبق أن تكلمنا عما صادفناه من أمور مبهجة، وأمور قاسية منها ونحن نقوم بالعمل الكراترى بأن الأمر الأساسى لكل خادم للمسيح أن يكرس نفسه كلية للرب .

وهكذا سوف لا يبالى إن ظهرت له أمور تضايقه، فالرب يسوع دائماً يتدخل فى الوقت المناسب، كما حدث مع التلاميذ عندما عصفت بهم الرياح وهم فى السفينة فى عرض البحر، وكان هو قائم على وسادة فى مؤخرة السفينة. لقد قام ونهر الرياح فصار هدوء عظيم وحينئذ صاح التلاميذ عجباً وثقة فى الإيمان الذى كاد يوشك أن يضيع ولكن الرب أثبت لهم أنه يتدخل دائماً .

حدث هذا فى مدينة دمياط، وكذلك عندما تعرض المؤمنون لحظر الرجم عندما كانت تواجههم الأخطار فى الملاحة ويتعرضون للجيش الجرار فى تينيس وفى ترونوم، وأيضاً عندما حاول ملك دمشق ويدعى "كوراديس" أن ينقلب على المؤمنين فلم ينجح فى ذلك، وهكذا حكى لنا الأخ "سراف" أمثلة عديدة لذلك. ونستطيع أن نتذكر هنا ما ورد فى التاريخ المقدسة عن الملك داود أن يمسحه الرب بديلاً عن شاول ، وكم لاقى شاول من غنت ، بل أنه أحياناً ما يجد فرصاً ساحة يستطيع أن ينتقم فيها من شاول، ولكنه لم يلجأ إلى هذا الأسلوب

فى الانتقام بل تركه. كان هذا بالفعل صورة مصفرة لما فعله الرب يسوع فيما بعد حيث سامح أعداءه، ولم يحاول أن ينتقم منهم، بل قال : "يا ابتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون".

وهكذا ضرب ملك اسرائيل لنا مثلاً فى كيفية التعامل مع الأعداء وأوضح للرب يسوع هذه الصورة فى أجلى بيان لها، بل إننا لا نستطيع أن ننسى ما لاقاه داود من أهانه فعندما تطالع قصة أبشالوم لابنه الذى أعلن العصيان ضد ملك أبيه ورفض أن يزعم له وأراد أن يصبح ملكاً على إسرائيل بدلاً منه نجد أن داود قد بكى بكاءً مراراً. عندما مات ابنه أبشالوم وراح يصيح يا بنى ... يا بنى وكذلك عندما وقع أحد أهانه فى خطية الزنا مع أخت غير شقيقة له.

وهكذا نجد أن داود الذى كان أصغر أخوته الستة لأبيه "هويس" هو الذى أختير لكى يُمنح ملكاً على إسرائيل. وأيضاً لا نستطيع أن ننسى ما فعله داود وهو فتى صغير غض، عندما استطاع بحجر صغير ومقلع أن يردى جاليات وقبائل الجبار الفلسطينيين الذى أذهب جيش إسرائيل وكان يهزأ من إله الإسرائيليين حيث اعتقد أن أحداً لن يستطيع أن يأتى إليه داود وقضى عليه قاتلاً : "أنت تأتى إلى سيف ورمح وأنا أتى إليك باسم رب إله إسرائيل".

وهكذا فإن الوعود الإلهية التى قُدمت لنا فى هذه الأسفار مستمرة حتى اليوم كما كتب بولس الرسول "إن كل هذه الأمور قد حدثت لنا نحن الذين انتهت إلينا الكلمة فى أواخر الدهور" وكل ميل أو بعد عن الإرادة الإلهية بالطبع سيوجب الخسران الشديد. نقول تكررت هذه الأحداث بصورة أو بأخرى فى مملكة فارس وكذلك فى مملكة السرياقين "الشرقيين" مع اختلاف الأسماء ، فنجد بدلاً من

الأسماء التى وردت فى التاريخ المقدس أسماء أخرى مثل "داما جتشا" و"تشاساهاز" و"لاكهنتيمى" ، "ميلييتس" ... كل هؤلاء ممن كانوا يتبعون السلطة، ولكن النتائج كانت دائماً واحدة كما أخبر بها التاريخ المقدس فى العهد القديم إذ لابد من أن تفرض الإرادة الإلهية فى النهاية كلمتها على الجميع.

حكم هؤلاء فى مناطق مختلفة وسعوا إلى بسط نفوذهم على سائر البقاع المحيطة، ولكن هؤلاء لم يضعوا مجد الرب فى الحسبان. غير أن داود عندما تولى السلطة فى إسرائيل سعى إلى وضع الرب فى الحسبان قبل أى شئ، حتى أن الرب شهد لداود بقوله: "وجدت داود بن يمس حسب قلبى الذى يضع مشيئتى حتى أن الرب أعطى له كل شئ لكى يبنى الهيكل لأنه كان رجل حروب، وجعل مهمة بناء الهيكل لابنه سليمان" ولكن فى النهاية وجد شعب إسرائيل كل الراحة والسلام فى عهد داود، وإيضاً فى عهد سليمان الذى شهد ببناء الهيكل وهكذا نحن الآن فى عهد الخلافة نسعى واضعين أنفسنا كما كان الشعب القديم فى خدمة الرب لبسط الإيمان وقد قلنا سابقاً إننا كما قال بولس الرسول "سعى كجندى صالح للمسيح يسوع" وأصبح بذلك مثلاً لكل المؤمنين حيث نستعد جميعاً مسلحين بسيف الإيمان وخوذة ودرع القوة الإلهية لمواجهة العدو الروحى "إيليس" الذى يطلق سهام الشر الملتهبة.

❖ **هنا ينتهى الجزء الأول من الخطاب السابع** ❖



الجزء الثاني من الخطاب السابع

لم يكن داود هو الوحيد الذى تعامل معه الرب على هذا النحو فى التاريخ المقدس بل ذكر له التاريخ الخاص بشعب إسرائيل "أن الرب كان يظهر دائماً للأباء الأوائل، إبراهيم، اسحق، يعقوب " ومن بعدهم وهو يقطع لهم العهود قائلًا "أنا هو الرب إله إبراهيم واسحق ويعقوب " حيث أن هذا القول يقيد دائماً ثبات الرب وثبات العهود التى يقطعها للمؤمنين فلا يمكن أن يكون الرب فى حقبة من الزمن ويختفى فى أخرى، بل إن ما يميزه على الدوام هو الثبات، وهذا ما يعطى المؤمن دائماً الأمان فلا يخشى مما يتعرض له. وتكرر هذا القول مع داود ومع سليمان، وفى العهد الجديد تجد الرب عندما كان يظهر لزمريّا الكاهن فى الهيكل حيث كانت اضطهادته لليهود دائماً مستمرة، وهذا ما كان يحدو بالأباء الأوائل إلى أن يقيموا حجراً عند المكان الذى يظهر فيه الرب ويبنى بهذه العهود ويسكب على هذا الحجر زيتاً، بل أن الشعب الإسرائيلى عندما كان يعانى فى أرض مصر ظهر الرب لموسى لكى يوجه الشعب الإسرائيلى واستهل قوله "أنا هو الرب إله إبراهيم واسحق ويعقوب الله ثم اطلق على نفسه اسماً آخر هو الله يهوه"

ولعل من حسن الطالع أن نجد نحن ملكاً يحمل هذا الاسم "داود" وهو يساعد الكرازة المسيحية فى أيامنا هذه أسماء مثل شوار سمن ، موا ويسرزي، تشوس، فانرو، جابوس ، ثوس ، فارسيس،... يلعبون نفس الدور فى أيامنا هذه. ونجد الأماكن وهى تتبدل، فمثلاً هناك فى أرض ديار بكر كان يوجد أسماء ، ميرس ، يوفان ، بيلوكان، كوهاي، وكذلك أسماء أخرى لمناطق أخرى مثل مملكة أبديث التى توجد بها أسماء مثل "ارات". كل هؤلاء يضربون الأمثلة لما نريد أن نوصله إليكم من فكرة فى هذه الرسالة. فما نورد هنا مجرد أمثلة، لاستطيع أن نحصر كل الأمثلة "العالات" التى تتشابه بعضها مع البعض.

لكن مازال إلى رب داود هو الذى يعمل فى كل الظروف، وهو الذى يعطينا الغلبة كما قال داود فى مزاميره "مزسورة" وأيضاً إذا مرت فى وادى ظل الموت لا أخاف شراً لأنك أنت معى، عصاك وعكازى هما يعزيتانى" وكما كان داود ملكاً على اورشليم، هكذا الرب يسوع هو ملك اورشليم السماوية كما قال بولس الرسول ، لأن اورشليم هى أمتنا جميعاً كما جاء فى رسالته إلى أهل غلاطية ونحن جنود الرب يسوع مستعدين كل حين للإجابة على كل الأسئلة الموجهة إلينا عن سبب الرجاء الذى إلينا كما قال بطرس الرسول لا نطمع فى مال بل ننتطلع إلى الأمجاد السماوية التى أعدت لنا من قبل الرب يسوع الذى وعد وهو قادر على تنفيذ هذه الوعود حيث قال "إنى ذاهب لأعد لكم مكاناً، ومتى أعددت هذا المكان اتى واخذكم معى إلى حيث أكون أنا تكونون انتم أيضاً".

وتوجهت جيوش متعددة إلى أماكن مثل مصر، وأخرى إلى وسام وثالثة إلى يننوى ورابعة إلى آلابيا وخامسة إلى دمشق. وكانت هذه الأماكن تمثل لنا مراحل الخطر التى تحدث بالجميع.

ونحن عندما نطالع سفر الرؤيا الذى يوجد فى آخر أسفار للعهد الجديد نجد أن الرسول يوحنا قد رسم لنا صورة لما سوف يحدث فى نهاية الأيام فى الصراع بين الخير والشر، وقد كتب يوحنا الرسول رسالته وسفره فى شكل رسائل مرسلة إلى الكنائس السبع التى كانت فى آسيا الصغرى، وقد ذكر لكل كنيسة ما سوف تتعرض له من أحداث. وكل هذه تمثل الصور المختلفة الحالية للخطر الذى يحدث بنا جميعاً وعلينا الاستعداد له.

وكذلك ذكر الرسول يوحنا أن الذى يحاول أن يقاوم المسيح، فيكون ضد سلطان الرب والذى أوما إليه بولس الرسول فى رسالته قاتلاً : "لا يظهر لك الرب إذا كنت ضد المسيح".

نستطيع أن نقول أن كل هذه الجيوش الجرارة والتي تسعى إلى نشر الدمار والخراب تكون بصورة تقريبية ضد المسيح الذي يعمل على نشر السلام في العالم.

أيها الأخوة لبتهلوا ضد كل هذه المحاولات ، كما قال بطرس الرسول "إن إبليس خصمكم كأسد زائر يحاول أن يفترس من يقترب إليه" ١

ولننظر جميعاً إلى ما يحدث في الشرق وما يحدث في الغرب. ففي الشرق نجد دمشق ودمياط وقبرص وفي الغرب نجد إنجلترا وفرنسا.

إن الأحداث هنا وهناك تبين لنا بصورة واضحة تحقيق أقوال يوحنا الرسول في سفر الرؤيا الذي أشرنا إليه. إن العذاب الذي يعانيه المؤمنون في سيراكية وأولئك في دمياط شرقاً والأحداث التي تجرى في ممالك الغرب، كل ذلك يعتبر مطابقاً تماماً لما قاله الرسول يوحنا.

إن ما تفعله الجيوش الجرارة في المعابد وما يدمر حالياً يعتبر صورة ومظهراً للخراب والدمار الذي أشار إليه الرب يسوع في حديثه عن نهاية العالم، عندما قال : "تجتمع النُصُور هناك حيث تكون الجثث" وهذا بين ما حدث في الأسكندرية والقاهرة وسائر المدن.

إن ما حدث في أنطاكية يُعد مثلاً واضحاً أخيراً لم يورده الكتاب بشأن الضيق، حيث أورد يوحنا الرسول وتعرض لذلك كله في رسالته إلى إحدى الكنائس.

إن ما كابده الميراثيون "الشرقيون" في مدنهم لا ينطبق فقط مع ما ذكره الكتاب، بل إن المنجمين في تلك المناطق يتوقعون أموراً شديدة سيئة سوف تقع في المستقبل بل إن هناك بعض الأخوة الذين لديهم رؤى وأحلام كما قال يونيال النبي في العهد القديم "ها أنا أفيس مع سيوفكم ورجالكم أحلاماً، فيعلم شيوخكم رؤى وفيئاتكم

أحلاماً. وقد حدث هذا في يوم الخمسين وفاضت الروح القدس على اتباع المسيح، فصاروا يتكلمون ولفات متعددة نقول نجد أن بعض الأخوة المعاصرين لنا مثل التلميذ كليمنس يذكر لنا أمور متشابهة.

وهكذا تتأكد لنا الأمور من سائر الوجوه وتعود بنا الذاكرة إلى الورداء أنه كما خلّص الرب يسوع الشعب الإسرائيلي من أرض مصر وكما تمت نجاة المسيحية منذ أيام الإمبراطورية الرومانية فإن النبوءة النهائية لابد أن نقول أن الرب يسوع سوف يخلصنا ويحررنا في هذه الأيام ... أيام الضيق الذي ذكر سفر الرؤيا "إنني امنحك عشرة أيام عجاف"، وبالطبع هذه الأيام العشرة هي رمزية، حيث جاء عشرة من الأباطرة الرومان الذين أذاقوا المسيحيين العذاب.

وهكذا فنحن ننال التعزية كل حين كما ذكر الرسول بولس في رسالته إلى العبرانيين، فإن هذه الأمور وقعت لنا أمثلة لها.

نحن نشق في الرب الذي قال "متى طلبتم شيئاً باسمي فإنيكم تنالوه إلى الآن لم تطلبوا شيئاً، اطلبوا فتجلبوا لا تياسوا أيها الأخوة إن ضاقت بكم الحياة. إننا نجد في سفر الرؤيا الرب يسوع وهو ممثلاً في تشكيل العمل الذي يهزم به حية إبليس".

وقد اختار الرسول يوحنا في سفر الرؤيا الحمل الذي يذبح له من الرب يسوع قال عنه يوحنا المعدادان: "هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم، وأشير إلى الشيطان بالحية التي حاولت ونجحت في إخراج آدم من الجنة من طريق حواء. ولكن الرب يسوع استطاع أن يرد الإنسان مرة أخرى إلى الفردوس المفقود".

لذلك لا نتزعزع من هذه المضايقات الأرضية المؤقتة لأننا نوقن ونؤمن أن الرب قد أعد لنا لمجداً سماوية. ووجدنا أيضاً في سفر الرؤيا "بابل" للمرأة الزانية التي زنى معها ملوك الأرض، ولكنها في النهاية سقطت وصارت مسرحاً لكل طير نجس كما يقول الوحى.



التاريخ العربية لمكتابه

تاريخ مملكة بيت المقدس

The Hisotry of Jerusalem, Trans-in English

by, Aubuny stewart, in p.p.t.s vol, XI, Landon, 1886

مَقَلَمَاتُ الْكِتَابِ

ولد جاك دي فيترى بمدينة فيترى على نهر السين، وقد صار قساً لكنيسة أرجنتيل "Argentuil" عام ١٢١٠م ثم راهباً بعد زيارة قام بها إلى مدينة ونى "Oigne"، وبعد فترة قصيرة أصبح "جاك دي فيترى" واحداً من أبرز رجال القانون الكنسى ثم "كاهناً" لمدينة أوستن بفلبرويك فى إقليم باربان.

كان جاك دي فيترى واحداً من أبرز رجال عصره، لما قام به من دور بارز فى التأثير على الحركة للصليبية فى القرن ١٣م، وبلغ شهرة لا تقل عن شهرة بطرس الناسك فى القرن ١٢م ويعطى إيتن البريوتى على ذلك بقوله : "لقد عاشت عظات جاك دي فيترى، تؤكد تعصبه الدينى، وحماسه الشديدة، إلا أنه ليس هناك ما يدعو إلى الشك فى نجاح هذه العظات آنذاك، يؤكد ذلك نجاحه فى الوعظ والتبشير لأول مرة ضد الألبجنسيين، وما بذله من جهد فى سبيل استرداد القبر المقدس فى فلسطين وما دعا إليه من قيام حرب مقدسة، من خلال مجمع اللاتيران الرابع، الذى عقد عام ١٢١٥م. ويعطى فولير "Fuller"، على ذلك بقوله إن هذا المجمع أعطى الفرصة لجاك دي فيترى إلى مشاهدة بيت المقدس بعد استردادها "من المسلمين" وفى عام ١٢١٧م عينه البابا أسقفاً لمدينة عكا نتيجة للجهد الذى قام به فى مجال الوعظ والتبشير الدينى.

وفى نفس العام - ١٢١٧م - قاد الملك الهنغارى حملة صليبية إلى الشرق، وهو نفس العام الذى نجح فيه المسلمون فى الاستيلاء على إقليم الجليل، غير أن الصليبيين قد نجحوا فى استرداد بعض المناطق. وفى العام التالى (١٢١٨م)، اصططح جاك ديفترى الجيش الصليبي إلى دمياط، وتابع بنفسه العمليات العسكرية وبشكل مباشر.

وفى عام ١٢٢٧م غادر جاك دى فيترى فلسطين عائداً إلى "ونى" وفى عام ١٢٢٩م عاد إلى روما تاركاً وراء ظهره منصبه الأسقفى فى عكا، وقدم إلى البابا جريجورى التاسع تنازلاً بذلك.

وفى نفس العام ١٢٢٩م، عينه البابا أسقفاً لبيت المقدس ومنذوباً بابوياً فى كل فرنسا وألمانيا. وفى أواخر أيامه عُين بطرقياً لبيت المقدس، ولكنه مات فى ٣٠ إبريل عام ١٢٤٠م قبل أن يتسلم منصبه الدينى المرموق.

إن حديثاً مختصراً عن حياة جاك دى فيترى يوضح أنه ولد، حوالى ذلك الوقت الذى صدم فيه الغرب اللاتينى بسبب سماعهم أنباء سقوط بيت المقدس فى أيدي صلاح الدين (١١٨٧م)

لقد أعجب جاك دى فيترى منذ صباه، بتعاليم كل من جودفرى، وتانكرد، وكذلك بتاريخ بعض معاصريه، أمثال، "فيليب أغسطس وريتشارد قلب الأسد" وقدّر لجاك دى فيترى أن يرى بيت المقدس فى أيدي المسيحيين قبل أن يموت^(١) وكان أفضل لرجل كنيسة مثل "جاك دى فيترى" أن يقيم الامبراطور فردريك الثانى بدلاً من أن يجعله فى منزلة رجل وثنى.

وعلى الرغم من تمتع جاك دى فيترى بمكانة طيبة بين المسيحيين، بسبب نشأته وتربيته بينهم، إلا أنه لم يحظ بمكانة بعض المؤرخين الذين نجحوا فى أن يعكسوا صورة دقيقة عن المشاعر الصليبية. فجاك دى فيترى قد وعظ وبشر فيهم، عندما صار رجلاً يافعاً، وقاتل معهم ليس فقط فى فلسطين ولكن فى مصر أيضاً. وما كتبه جاك دى فيترى عن الأرض المقدسة، لم يعد سوى ما بلغ إلى سمعه، أو شابه ذلك، لأن الأرض المقدسة آنذاك، كانت فى أيدي المسلمين. بيد أن ما قدمه لنا جاك دى فيترى بشكل صادق، وصورة أكثر واقعية - فى الأرض المقدسة - هى حالة التشكك والكرهية

(١) المقصود هنا، تسليم بيت المقدس للامبراطور الرومانى فردريك الثانى. من قبل الملك الكامل لما كان بينهما من صداقة قوية.

تجاه الجبل المنحدر من الصليبيين الأتال - العصر البطولي - مبرراً وجهة نظره بما قام به الرهبان من ارتكاب الأخطاء أثناء موسم الحج. وعلى الرغم من صدق نظر جاك دى فيترى، إلا أنه كان مبالغاً فيما قال، بدرجة كبيرة، خاصة ما يتعلق بتخلفهم وتخننهم وخياناتهم - أى المسيحيين الوطنيين - وظاهر فيهم ما يعرف باسم 'بولانى' *Pullani*، 'وفيلى' *Filli* ^(١). وهذه الأسماء الحقيرة اكتسبها البعض، وإن كانت فى معناها تقييد حتى عن أذهان المثقفين. ويعلق السيد والتر، على ذلك بقوله فى كتابه 'بيت المقدس' إن المناخ فى سوريا قد ساعد بشكل خطير، فى القضاء على ضعف قوة 'الصليبيين' ورغم هذا، فإن أسلوب جاك دى فيترى كان مليئاً بالنعوت والصفات لتلك الطبقة، المخلة من الصليبيين.

لقد أبدى جاك دى فيترى حماساً كبيراً فى انتقاده لتلك الطبقة إلى حد أنه شبهها بامرأة غاضبة، تصرخ بأعلى صوتها. وعلى الرغم من هذا، فإن هذا العصر لم يكن أحسن حالاً من العصر السابق عليه، غير أن كثرة اللذم والتقدح فى هذا العصر أفقدته كثير من قوته.

وفى النهاية، فهما كان رأينا فى أسلوب جاك دى فيترى فى كتاباته، فإنه لم يساور أحداً الشك فى أنه لن يكتب هذا الجزء من الكتاب من تجربته الخاصة، ونفس الشيء بالنسبة للجزء الثانى من الكتاب أيضاً، ذلك أنه من الصعب القول، بأن جاك دى فيترى كان يعرف شيئاً عن الأصل الطبوغرافى - للحملة الصليبية - بل أن ما يمكن قوله هو أن جاك دى فيترى فى تاريخه، يعتبر منقول وبصورة مجسدة، عن وليم الصورى، وغيره من المؤرخين كما استمد بعض كتاباته من الأساطير والخطابات.

وفى النهاية فإن 'التاريخ المختصر' لجاك دى فيترى يوضح أنه كان صاحب نهم شديد، ومتحرراً أيضاً فى الكتابة.

(١) هى أسماء نضى للتحقيق 'أى الطبقة المتكنية'

قارخ مملكة بيت المقدس، لجاك دى فيترى أسقف عكا
وكاردينال وأسقف توسكولم ومندوب البابا فى كل
من فرنسا والمانيا وأخيراً بطرق بيت المقدس

❦ بداية مختصرة لقارخ مملكة بيت المقدس ❦

إن أرض الميعاد المقدسة المفضلة لدى الرب، وكرمها بنزول الملائكة
الأقداس، أنها موضع إعجاب العالم أجمع لاختارها الرب وفضلها على سائر الأمم، لقد
ازدانت بوجود الرب فيها وجوداً فعلياً، الذى سوف يعفو عن البشرية عند تقديم
القرابين المقدسة فيها، وسيتم تحريرها وتخليصها، فالرب أحبها وفضلها على سائر
المدن الأخرى، لفوق أرضها تسقط آثام وفتوب البشرية، ورغم ما تعرضت له من
تدنيس، فإن الرب منعنا من أن نقدم التعاليم المقدسة للمسلمين، وألا ننشر الدرر
واللؤلؤ أمامهم أيضاً. ومدينة القدس تخص كثير من الناس، فكم عدد القادمين إليها،
وياله من كثرة العائدين منها، ذلك لأن الذين لديهم القدرة على التمييز بين الأشياء
المقدسة وتلك المدنسة، قلّة نادرة جداً.

إنها أرض سيدنا يسوع المسيح، الأرض التى تفيض بالعتل واللبن، وهى
أرض البطارقة المقدسين، وأرض الرسل، لقد تم تطهير هذه الأرض من المسلمين بعد
أن كانوا قد دنسوها بشتى أنواع الرجس، وذكرها الرب على لسان النبى قائلًا: "إن
الذى يلمسك إنما يلمس مقلة عيني، لأن العين أحب أعضاء الجسد إلينا، وذلك عندما
تدخل حبة من الرماد فى العين فإننا نبادر بأقصى جهدنا إلى إزالتها، وبالمثل، فإن
الرب قد أزال الخطايا والآثام الجاثمة فوق الأرض المقدسة، وعلى هذا، يتضح مدى
حب الرب فى تطهيرها من دنس وخطايا وآثام المسلمين، كذلك وعد الرب أولئك
الأتهمين أن يرحمهم ويقفر خطاياهم إذا ماتدموا على ما اقترفوا من آثام. وقال قمس
الرب العظيم، مليخاص، إن الملك سليمان وما تبعه من ملوك حتى عهد داوود، قد
نزلوا فى مدينة القدس، وهى أعظم مكان، غير أنه بارتكاب الآثام وازديادها، سقطت

الأرض المقدسة في أيدي أطفال بنى اسرائيل، ثم سقطت في أيدي البابليين مدة سبعين عاماً عندما تعاقب آتاهم التي صارت كرمال البحر، خاصة على عهد الملك "Zedekiah" والنبى "Jerme".

وبعد استرداد بيت المقدس - من المسلمين - عاد إليها عدد كبير من أبنائنا وقدموا نذورهم، وفرحوا بعودتهم مرة ثانية إلى ديارهم، وتحقيق رغباتهم. ورفض بعض أفرادنا العوده وفضلوا البقاء فى المملكة الصليبية، وحرصوا على الاحتفاظ بالمدينة والعمل على توسيعها وتأمين حدودها، وطرد الأعداء بعيداً داخل حدودهم، وعاهدوا الرب "اقسموا" أن يبذلوا قصارى جهدهم ومجاهدة المخاطر، من أجل أن يقدموا له ليس فقط الرأس، بل الذيل أيضاً^(١).

كان شعبنا "أى المسيحيون" عدد قليل إذا ما قورنوا بالشعوب الإسلامية المحيطة به من كل جانب، فمن ناحية شرق الأردن كان هناك الموابيون، وهم أحد الشعوب السامية القديمة، والعمونيون، وهم من نفس جنس الشعب السابق. ومن الجنوب كان هناك الأورمان من المصريين والفلسطينيين. ومن الغرب تجاه الساحل، توجد بطيموس وعكا وصور وطرابلس، ومدن أخرى تمتد حتى أنطاكية، وقيسارية فيليب، عاصمة ديوقليس وكذا دمشق من الشمال. وعلى الرغم من هذا الخطر المحدق بهم من كل جانب، إلا أنهم رفضوا التخلي عن المدينة المقدسة، بعد أن استولوا عليها من أجل المسيح، وهكذا أنزلت قواتنا الرعب فى قلوب المسلمين بسبب إيمانهم القوى، غير مباليين بما يتعرضوا له من مخاطر من أجل الرب، منهم ووعضدهم آملين أن ينالوا جزاءهم فى الآخرة. وعلى هذا، فإن الواحد من قواتنا كان يغلب ألفاً من المسلمين، الإنسان يغلّبوا عشرة آلاف، غير مباليين بأعداد المسلمين الكبيرة. ذلك لأن تضحياتهم هى إرضاء للرب، مخلصين إلى أقصى حد فى القتال، يطاردون الأعداء

(١) يقصد المؤلف هنا مدينة بيت المقدس وملحقاتها. "لمترجم"

ويذبحونهم، ويكبلون بعضهم من أجل المسيح، وكانت المدن القوية، والفلاع الحصينة درعاً وسنداً لهم في اقتراع الأراضي المقدسة من أعدائهم المسلمين.

لقد نجح هؤلاء الرجال، منذ بداية الحركة الصليبية وبشجاعة منقطعة النظير في الاستيلاء على مدينة جبيل *"Joppa"* واستخدموها كميناء للإبحار منها، وتوافد هؤلاء - إلى الأرض المقدسة - لمساندة أنصار المسيح، وتمكنوا من الاستيلاء على عدة مدن وأماكن حصينة، مثل، رمله، التي أطلق عليها البعض رامثا - *"Ramatha"* وهي تقع على للوادي، وكانت هذه المدينة يوماً ما مدينة مقدسة مكتظة بالسكان، يحيط بها سور كبير من الحجارة، ومحصنة بأبراج عالية. وهناك أيضاً مدينة حيفا *"Hafia"*، وهي التي كانت تعرف باسم بورفيرا *"Borphria"*، وتقع على شاطئ البحر عند بداية جبل الكرمل، *"Mount Carmel"* على بعد أربعة أميال من عكا، أما مدينة طبرية في إقليم الجليل، على ساحل بحر *"Gemmesareth"* والذي عرف فيما بعد باسم بحر طبرية، ويطلق عليه العامة اسم بحر الجليل، كل هذه المدن استولت عليها قواتنا بقيادة الدوق الباسل جودفري بعد عام واحد من الاستيلاء على بيت المقدس (١٠٩٩م).

وفي نهاية هذا العام - ١٠٩٩م - مات جودفري بعد قتال مرير، ووقع الاختيار على أخيه بلدوين بإجماع الآراء ليكون سيّداً عليهم. وكان بلدوين هذا فارساً شجاعاً متمرساً على فنون القتال منذ صباه، وهو الذي صار ملكاً على بيت المقدس. كان ملماً بشئون الإدارة، توافاً إلى توسيع حدود مملكته الصغيرة، فاستولى على بعض مدن الساحل، مثل مدينة آشور، *"Assur"* أرسوف بفضل مساندة الجنوية له، الذين وضعوا أسطولهم تحت خدمته في ميناء يافا *"Jappa"*، وكانت أرسوف وقيسارية تتعمان بالغابات والأشجار الكثيفة، وكذا المراعى الخضراء، وكانت تحمل اسم، *"Antipater"* وهو على نفس اسم *"Antipater"* وهو والد هيرودوس. وتقع أرسوف بين جبيل وقيسارية.

لقد نجح بلدوين، بفضل مساعدة الجنوية له فى الاستيلاء على قيسارية وفلسطين عن طريق البحر والبر، وصارت ملكاً له، وتعرف قيسارية قبل ذلك باسم برج ستراتوه "Strato's tower" الذى بناه هيرود على شرف فيصير، فعرفت باسم قيسارية، وهى تقع على شاطئ البحر، غير أنه ليس بها ميناء يصلح لرسو السفن، تحيط بها الحدائق والمراعى الخضراء، وبها مياه جارية، وتعتبر قيسارية المدينة الرئيسية فى فلسطين، وهى للمدينة التى احتجز فيها القديس بولس فترة طويلة فى السجن، ثم غادرها إلى روما بعد أن فك أسره.

انتقل بلدوين بعد ذلك من الجهاد - المهمة الصغرى - إلى المهمة الكبرى، وحشد كل قواته، وحاصر مدينة عكا، باعتبارها أكبر ميناء وأفضل ميناء لاستقبال الحجاج ورسو السفن، وحاصر للجنوية ميناء عكا بسبعين سفينة، بينما حاصرها بلدوين بجميع قواته من ناحية البر، وشدد الحصار حتى عزلت المدينة تماماً، واضطرت إلى التسليم بعد عشرين يوماً من الحصار شريطة أن يمنح بلدوين أهلها الأمان والسماح لمن يرغب منهم الخروج بأمتعه. ولمدينة عكا اسمان، فهى بطليموس وعكا، وهما اسمان لأخوان، الأول يحمل اسم بطليمى "ptolemais" والآخر "Acre" أو "Acon". وقيل أنهما المؤسسان الحقيقيان لتلك المدينة، فحملت اسميهما. وتقع مدينة عكا بين البحر والجبل على شاطئ نهر بيلوس "Belus"، وبها ميناء جيد وعديد من الحدائق، وتحيط بها القرى والأرضى الزراعية وتقع عكا فى إقليم فينيقيا، وعاصمتها صور "Metropolis".

واصل بلدوين فتوحاته، فحاصر مدينة بيروت براً وبحراً، واستسلمت بعد شهرين من الحصار، ثم عين برترام سيداً عليها "Beyrtram" وكانت قواتها قد نهبت للعديد من مواطنيها وأسروا البقية الباقية. وتقع بيروت على شاطئ البحر بين صيدا وبيت جبرين "Bibliun" فى إقليم فينيقيا، وكانت صور حاضرة لها. وتتميز بيروت بخصوبة تربتها وبأشجارها العالية، والغابات وأشجار الكروم؛ وبيروت هى

المكان الذى صلب فيه المسيح على يد اليهود، بعد أن ثبتوه على خشب بمسامير، حتى أنهمرت منه الدماء بقزارة، وعندما حدثت المعجزة، أخذ يهود المدينة خشبة العباد المقدس.

وفى نفس العام واصل الملك بلدوين فتوحاته فاستولى على مدينة صيدا وأجبر أهلها على ترك المدينة ودانت لإدارته . وتقع صيدا ضمن الحدود اللينيقية على ساحل البحر، بين صور - المدينة الرئيسية - وبيروت، وهى مثل سائر المدن الفلسطينية، تتمتع بالأشجار والفاكهة والكروم والغابات والحقول الخضراء، وتتميز بتربة رملية، وقد شرفت المدينة بزيارة للمسيح لها شخصياً . ومن بيروت اتجه المسيح إلى سواحل صور وصيدا . وفى الجزء الثانى من كتاب الملوك، يخاطب سليمان أهل حيرام بقوله: " أنتم تعلمون أنه لم يعد بيننا أحد يمكنه أن يقطع شجرة، كما فعل الملوك من قبل " .

وبعد نجاح بلدوين من توسيع حدود مملكته ناحية الجنوب الغربى، كان حريصاً على توسيع حدود المملكة تجاه ما وراء شرق الأردن . فقام ببناء قلعة كبيرة تمتد لوق جبل مرتفع فى أرض " *Arabi The Thrld* "، وهى تعرف بسوريا سوبال " *Syria Sobal* " وسميت هذه القلعة باسم " الجبل الملكى " أو " قلعة الشوبك " لأن الملك هو الذى قام ببنائها. وتمتاز بقناها بالحنطة والنبيز والزيت ، وبمناظرها للخلافة وباعتدال المناخ، وكانت لها السيطرة على القرى المجاورة حتى مواب " *Moab* "، أى حصن الكرك.

وفى نفس العام، مات الملك بلدوين، صاحب الذكرى العطرة، فى مكان بين بطليموس "عكا" وصور، ويعرف باسم " *Scandalion* "، أى الأسكندرونه ، وهو مكان وفير المياه، يقع على مسافة خمسة أميال من صور، حيث دفن الملك، مع سائر الملوك للمبجلين فى جبل كلفارى " *Calvary* ". وقد خلفه على عرش المملكة أحد

أقربائه ، ويعرف باسم بلدوين أيضاً، وبلدوين دى بورج " كان تقياً ورعاً، من أسرة نبيلة فى فرنسا، وكان على درجة وكلاء عالية فى فنون الحرب والقتال .

إن انتصارات هؤلاء الملوك وجهودهم من أجل توسيع حدود مملكتهم المسيحية ومهاجمة أعدائهم والاستيلاء على مدنهم، أمر يلقى الوصف، وهو فوق طاقتى، ذلك لأنهم، باختصار وبفضل جنود السيد المسيح، لعبوا دوراً بارزاً فى هذا المجال، حيث قدموا أنفسهم فداءً للرب، مثلما كان حال المكابيين من قبل، وعلى هذا فإن سيرتهم العطرة، سوف ترددها للكنائس فى كل مكان وزمان .

والآن دعونا نحكى باختصار عن أربعة إشارات ظلت مدة طويلة فى أيدى المسلمين، وهى المدن التى عادت إلى الكنيسة المسيحية بفضل مساعدة الرب .

وأول هذه الإمارات ① هى كونتية الرها "Edessa" وهى تقع فى إقليم ميديا، وتبدأ من غابه تُعرف باسم مرعش "Marish" وتمتد حتى خلف نهر الفرات تجاه الشرق وهى تضم العديد من المدن وكذا القلاع والحصون العديدة .

والرها مدينة عريقة، إذ كانت عاصمة الميديين قديماً، وهو نفس الاسم القديم الذى قرأناه فى "Tobit" على أنها "Roges" وتسمى الآن باسم "Roasse"، طبقاً للروايات القديمة، وما ذكره التاريخ الكنسى أن الملك أبجر "Abgarus" كان يحكم هذه الإمارة منذ أيام يسوع المسيح، وقد أدهشه ما سمع من المعجزات التى قام بها يسوع المسيح فى يهوذا "Judaea" وأرسل هذا الملك رسالة إلى المسيح وطالبه فيها بضرورة الرد عليها . وقبل أن يصبح بلدوين ملكاً، كان أميراً على الرها، وهو الملك الذى نجح هو وأسلطه فى طرد المسلمين "Sarcances" من إمارة الرها، وأخضعوها لسيادتهم . كانت الرها غنية بالأخشاب والأعشاب، وتجرى بها الأنهار، كما أن هذه الإمارة كانت تحمل الاسم الخاص بالعراق قديماً، وهو — Mesopotamia — لأنها كانت تمتد بين نهريْن وهى تعنى باليونانية "Midesot ، potamos"، وهو اسم نهر، وتقع حران داخل حدود إمارة الرها، حيث كان يقطن فيها سينا إبراهيم، قبل أن

يدخل أرض الميعاد. وكان لمدينة الرها ثلاث أسقفيات الأولى هي جيروبولس "Geropolis" والثانية هي قورقوس "Coricus" ثم أسقفية الرها، وكانت هذه الأسقفيات تابعة من الناحية القضائية لبطريركية أنطاكية.

أما الإمارة الثانية ٥ فهي إمارة أنطاكية، وعاصمتها مدينة أنطاكية، يحدها من الغرب طرمسوس في إقليم قنقيا ، مسقط رأس القديس بولس الرسول.

ومن للشرق بجرى نهر بين فانينا "Valena" التي كانت تابعة لقلعة مرقبة "Margas" ومرقبة "Mareclea" ، وهي مدن تقع على شاطئ البحر، وكان الاسم القديم لأنطاكية هو رابلا حسبما قرأنا في الكتاب الرابع للملك ، أن ملك يهوذا صدقيا "Zedekiah" ملك بيت المقدس قد حضر إلى نبوخذ ملك بابل "Babylom" وذبح نبوخذ ابن ربيلتا أمام أعينهم، ثم سلموا أعينهم بأمر ملك بابلون السابق، ثم حملت اسم أنطاكية بعد ذلك نسبة إلى الملك الجديد، انطيوخس "Antioch" الذي قام بتوسيع حدودها بشكل ملحوظ ، وجعلها المدينة الرئيسية ، وهيمن هذا الحاكم على كل الإمارات الشرقية. وعندما نجح القديس بولس الرسول في أن يحظى بشرف أسقفية أنطاكية، سميت باسم ثيوفيلس نسبة إلى "Theophilis"، وهو مواطن جدير بالاحترام، أصبح فيما بعد أسقف المدينة السابع، وهكذا تحول اسم المدينة التي كانت تحمل اسم رجل وثني إلى اسم رجل آخر تلقى ورح ، وهو ثيوفانس الذي أسند إليه القديس لوقا أعمال الأساقفة، وحضر بنفسه إلى أنطاكية . ومن هذه المدينة تلقى أتباع المسيح الاسم المقدس ، الذي نادى عليهم به السيد المسيح بفاهه، فعرفوا بالمسيحيين نسبة لاسم السيد المسيح إن هذا المكان هو المكان الثالث لكنيسة الرب بعد كنيسة الرسل، وكانت بطرقيتها تضم عشرين إقليماً تحت سلطاتها. أربعة عشر منها تحت سيطرة الأساقفة المساعدين بينما ستة الآخرين كان يحكمها اثنان من كبار الكاثوليك أحدهما يدعى هورينوبولس "Hirimopolis" أو بلداخ "Baldach"، بينما الآخر يعرف باسم "آن" وهو كبير "عظيم" برسيا "Berisa".

وتقع مدينة أنطاكية، في مكان يُعرف باسم جوف سوريا 'Coele Syria' وهو موقع مناسب بين الجبال والأنهار ، وتتميز حقولها الكثيرة بخصوبة التربة التي تزينها الأشجار الجميلة، وهي غنية بمصادر المياه العذبة ، كما يوجد بها بحيرة غنية بالأسماك ، وهي تبعد عن البحر حوالي عشرة أو إثني عشرة من الأميال ، ويوجد بها ميناء يسمى للسويدية 'St. sinneon bart' عند مصب نهر العاص 'Orontes' ويوجد شمال أنطاكية مرتفعات تعرف باسم 'التل الأسود' لأن به عدد كبير من النساك والأساقفة اليونانيين ومن مختلف الشعوب والوطنيين أيضاً.

وكذلك الرهبان اللاتين ، كذلك يعرف هذا المكان أيضاً باسم جبل نيرو 'Nero' نسبة إلى كلمة نيرو باليونانية والتي تعني المياه، وهي عند العامة 'black'.

أما الإمارة الثالثة فهي كونتية طرابلس وتبدأ من جبل نيرو 'Mount of Nero' وتنتهي عند جدول يصب بين جبيل وبيروت ، وتقع طرابلس على شاطئ البحر، في إقليم فينيقيا وهو موقع فريد، غني بالأنهار والعيون المائية، وتكثر بها أيضاً للحبوب والفواكه والحشائش الخضراء ، وتتميز طرابلس على جارتها بموقعها بعيداً عن التل "جبل لبنان". وتجرى بها عيون المياه العذبة الصافية ، التي تجري في الأراضي اللبنانية فتروى بها حدائق لبنان ويساتئها . لذلك فإن قول البعض، بأن عين ماء الحياة التي كان يعيها سليمان في أسفار العهد القديم 'Canticles' توجد هنا في طرابلس. كما توجد عيون للمياه العذبة بالقرب من طرابلس قد تفجرت من المياه الملحة، وهنا توجد الحكمة في أن حدائق طرابلس تعطى الفاكهة مرثان في العام ، خاصة " نبات الكرم".

لقد حاصرت قواتنا طرابلس بعد الاستيلاء على بيت المقدس - ١٠٩٩ - على يد ريموند كونت تولوز وهو رجل رائد في كل الأمور ، فارس شجاع نقي ، تمكن من بناء قلعة بالقرب من المدينة عرفت بقلعة الحجاج 'Pilgrim's Castle' ولازالت تعرف بهذا الاسم حتى اليوم ، ويرجع سبب تسميتها بهذا الاسم هو أن الحجاج هم الذين قاموا ببنائها.

ثم واصل برترام بعد موت أبيه ريموند كونت تولوز حصار المدينة ، حتى اضطر أهلها إلى الاستسلام وأخذها برترام كإقطاعية من ملك بيت المقدس ، الذي كان موجوداً أثناء استسلام المدينة ، وأصبح برترام بذلك هو الرجل الشرعي للإمارة .
 أما الإمارة الرابعة ^{٢٠} فهي مملكة بيت المقدس والتي تبدأ من نهر ابراهيم الذي يجرى بين جبيل وبيروت وتنتهى فى الصحراء تجاه مصر ، حتى خلف القلعة المعروفة بالداروم ، وقد استولت قواتنا على بيت المقدس بعد غناء كبير ، ونتيجة ما بذلوه من تضحيات ، حيث طاردوا الأعداء (المسلمين) من دانيت "Dan" حتى بير سبع "Bersheb" ، وتابعوا فرارهم حتى خارج حدود المملكة .

وتقع دانيت شمال أرض الميعاد ، وهى مدينة قديمة جداً تقع على مقربة من جبل لبنان ، وتقع بين لبنان ودمشق ، وكان اسمها القديم هو "نشم" "Leshem" ثم عُرِفَت بعد ذلك بدانيت ، بعد أن أصبحت تابعة لأبناء "Dan" وبعد ذلك قام فيليب تترش ، الابن الأكبر لهيود بتوسيع حدود المدينة ، كذلك تُعرف دانيت باسم قيسارية فيليب وكذلك تعرف الآن باسم باتنياس "ويطلق عليها العامة اسم بلتياس" ، أما الجزء الباقي من الغابات ، فيعرف باسم باتنياس ، وهو بالقرب من جبل لبنان ويسمى بغابة لبنان "Forest Lebanon" أما بئر سبع "Bersheb" ، فهو الحد الجنوبي للأرض المقدسة ، وبئر سبع جزء من بيت جبرين ، وهى التى نزلت فيها جماعات كبيرة من قبيلة سيمون ، "Simeon" وتمتد على مقربة من الجبال التى تطل على الساحل وعسقلان ، وتمتد حوالى عشرة أميال من عسقلان ، وتعرف هذه المنطقة باسم ، معاهدة البئر "The Treety of the well" لأن ابراهيم حفر بئر فى هذا المكان كشاهد على المعاهدة ، التى وقعها مع ملك يدعى إميلخ "Abimelech" وكذلك سميت بالبئر السابع ، وفى هذا اليوم سميت باسم بيت جبرين "Bit Jilbrin".

إن ما حققه الصليبيون الأوائل وما بذلوه من جهد في توسيع حدود المملكة الصليبية ، أمر ليس بمقدورى وصفه ، غير أن ما استطع أن أقوله هو ، أنه علينا أن نكرم هؤلاء - جنود المسيح - والتي ستنقل ذكراهم في أذهاننا ، لأن هؤلاء في الحقيقة ، قاتلوا المسلمين بشجاعة منقطعة للتظير ، تحت إشراف قادة متمرسين على القتال ، وفتحوا العديد من المدن الحصينة ، التي تمتد في الجنوب من مدينة بلبس والتي تسمى أيضاً "Beluisn" وتقع في الصحراء على الحدود المصرية إلى الرها في أقصى الشمال ، وحران التي تقع خلف نهر الفرات في أرض العراق "Msopotamia" وعلى هذا فإن هؤلاء الأوائل من المسيحيين قد فازوا بالشهادة بسبب ما بذلوه من دماء فداءً من أجل توسيع حدود المملكة الصليبية ، وقد تحقق لهم ما أرادوا ، وذلك بضم الأراضى المجاورة لبيت المقدس ، خاصة التي تقع على البحر ، واستولوا على كل المدن والقلاع التي تقع بين مدينة الرها المصرية في الجنوب حتى اللاذقية في سوريا ، هذه الأخيرة لم يفلحوا في قيام كيان صليبي بها.

والفارما مدينة قديمة جداً تقع على شاطئ البحر ، ليست بعيدة عن مصب النيل ، ويمكن للمرء أن يدخل مصر عن طريقها ، وقد نجح بلدوين أول ملك صليبي للمملكة أن يستولى عليها بالقوة ، وأسر من بها من المسلمين وأعمل فيها السلب والنهب .

وتقع خلف مدينة الفارما في صحراء مصر ، مدينة أخرى ، تعرف باسم لارس "Laris" ثم مدينة بلبس ، والتي أسماها الأنبياء باسم بليزيوم "Belusium" ، وتقع على بعد خمسة أميال من البحر ، كل هذه المدن السالفة الذكر أمكن لقواتنا الاستيلاء عليها ، وتأمين الحد الجنوبي لمملكة بيت المقدس بعدما أقاموا الحصون والقلاع القوية في مواجهة "مصر" المصريين" أما مدينة الداروم "Darum" ، فتقع على حدود المملكة ، بين وادي عربية "Idumee" وفلسطين ، على مسافة خمسة أميال من البحر ، وقام الملك الصليبي أمالريك ببناء قلعة الداروم وملحقاتها من الحصون فوق

ربوة عالية على شكل دائري، ولها أربعة أبراج، وكان هذا المكان ذات يوم ديراً للرهبان اليونانيين ، ولأزال هذا المكان يحمل اسم الداروم – أى بيت اليونانيين – وتأتى بعد ذلك مدينة غزة، وهى مدينة قديمة تمتد على بعد أربعة أميال من هذه الحصون السالفة . وكانت ذات يوم واحدة من خمسة مدن فلسطينية ، قام ببنائها الملك بلدوين الثالث ، رابع ملوك بيت المقدس، إذ كانت قبل ذلك عبارة عن مكان خرب، غير مأهول بالسكان فأعاد الملك بلدوين هذا، بنائها فوق ربوة عالية وحصنها تحصيناً قوياً، وقام بتسليمها لجماعة الرهبان من الفرسان الدلوية بشكل دائم لتكون حصناً قوياً ومنيعاً ضد الأعداء المسلمين.

وتقع غزة على بُعد عشرة أميال من عسقلان، وكانت أيضاً واحدة من المدن الفلسطينية الخمسة ، تقع على شاطئ البحر، على شكل قوس أو نصف دائرة، بحيث كان الخط المنحنى تجاه البحر، والجزء الدائرى تجاه البر، ناحية الشرق، وكانت عسقلان آخر مدن مملكة بيت المقدس بأيدي المسلمين، استولى عليها الملك بلدوين (الثالث) بصعوبة بالغة بسبب قوة أسوارها والحوالجز العديدة ، من الأبراج والمتاريس، وكان بها مستودع للسلاح وبها حامية عسكرية، غير أن أهلها أسلموا أنفسهم للملك بلدوين (الثالث) بعد حصار طويل، ومنحهم الملك عهد أمان على أنفسهم وممتلكاتهم .

وهناك مدينة أخرى، تقع بين عسقلان وجوبا هى مدينة أشدود، على بعد عشرة أميال من عسقلان ، بالقرب من البحر، وكانت إحدى مدن فلسطين الخمسة يوماً ما، غير أنها صارت الآن قرية صغيرة ، تقع على تل صغير بالقرب من اللد والرملة، وظلت فترة طويلة أرضاً خاوية ، حتى قام الملك فولك، ثالث ملوك بيت المقدس ببناء قلعة عُرفت باسم قلعة إيلين ، وهو اسم التل ، التى تقع فوقه، وقد قام الملك بتسليمها لنبييل يُعرف باسم باليان (آل إيلين) وهذا المكان وأماكن أخرى تعرف ببئر سبع أو جبلين .

لما البرج الأبيض ، الذى يعرفه العامة باسم بلاسجارد "قل الصافية" يقع على بعد ثمانية أميال من عسقلان، كحاجز لغارات أهل عسقلان ، ومنع تهديداتهم وغاراتهم على مملكتنا.

أما المدينة الثامنة " من المدن الفلسطينية فهي مدينة لكرن "Ekron وتقع على شاطئ البحر بالقرب من أشدود .

غير أن كتاب الملوك الأول يخبرنا بأن مرض الطاعون، قد أتى على هذه المدن الفلسطينية الخمسة ، وأخذ الفلسطينيون تابوت السيد المسيح ، ومن المدن القوية التى أتى عليها مرض الطاعون، أرسوف وقيسارية الفلسطينية، وهى مدن تقع على شاطئ البحر، وقيسارية (فلسطين) هذه غير قيسارية فيليب أو دانيت " Dan " ويأتى بعد ذلك البترا "Petra" ، وهى صحراء بالقرب من عثيث "Districtum" وهناك مدينة أيضاً تعرف باسم لابيرنوم على جانبى بحر الجليل ، وهى الأماكن التى أقام فيها السيد المسيح بتعليم وتدريب بعض المعجزات، ثم تأتى حيفا وعكا وبطليموس. وهذا ما استطعت جمعه من معلومات عن تلك المدن الفلسطينية .

أما مدينة صور فهي مدينة عريقة، تقع فى قلب البحر، تحيط بها المياه من كل جانب تقريباً، بها ميناء مناسب ورصيف لرسو السفن ، وهى مدينة آمنة .وتعتبر مدينة صور عاصمة لكل الإمارات اللبنانية وتتميز صور أنها محاطة بسور وحصون وأبراج شاهقة وهى غنية بالأسماك، والحدائق الساحرة وأشجار الفاكهة وحقول الحبوب، أقيمت على تل، بها عين مياه جارئة ، قيل أن السيد المسيح استراح عندها، من غناء السفر، عندما كان يتجول على سواحل صور وصيدا . وهذا ينبوع ذو مياه صافية جداً ، وهى تتدفق بشدة ، فتعد كل البساتين والحدائق بالمياه ، وفى الواقع يمد هذا ينبوع كل المدينة بما تحتاجه من المياه العذبة، ويبدو هذا ينبوع "عين" هو ما أشار إليه سليمان فى أشودته " أنه بلر "عين المياه" وهو حالياً رأس العين".

وبالقرب من المدينة، يوجد حجر ، يقدمه كل المواطنين والحجاج، ربما لأن السيد المسيح، جلس عليه، وعلم المحيطين به ، كما يبدو أنه كان يرفض أن يدخل المدينة لأنها وثنية "City of The Gentils" وقيل أن هذه المدينة هي أول مدينة تأسست بعد طوفان "Tira" ابني يوشع "Sopher" ونوح "Noah".

وتسمى صور بالعبرية "Sor" والجميع يعرف اسمها باسم "Sur" ، ويعطى "Ezekiel" على مدينة صور بقوله "يا أهل صور، لقد سعدتم بمدينتكم الجميلة، لموقعها وسط البحر، وتتويجها فوق سائر المدن الأخرى ، وتجارها من الأمراء، لماذا هم جديرون بالاحترام، لقد حدثنا النبي كثيراً عن ثروتها ومميزاتها وتجارها من الأمراء". كان ملك هذه المدينة قديماً هو أجنور "Agenor" ومن هذه المدينة جاء "Dido" الذي أسس قرطاجنة في إفريقية ونطالع في الكتاب الأول لماروش "Marroch" وحيرام الذي جاء من لبنان وأسس هيكل سليمان، من الخشب الأحمر. وكان سليمان قد أرسل إليه بعض الأسئلة ليحجب عليها، وأجاب عليها إجابة بالغة، بينما ذكر آخرون أن مارخول "Marchat"، أنه هو الذي كان يحاجج سليمان على قدم المساواة. وحضر إلى هذه المدينة ملك آخر، هو أبولونيوس "Apollonius"، الذي قرأنا عن أفعاله في كتب وروايات كثيرة وشائعة، وهنا أيضاً دفن اورجين "Origen" وهو الذي أخبرنا عنه القديس جيروم في رسالته إلى باماخوس "Pamachus" وكذا أوسانيوس "Oceanus" وأخيانونوس يقول : "الآن قد مر حوالي مائة وخمسون عاماً منذ وفاة أوريجن في صور وقيل أن لمرأه تنتمي إلى هذه المدينة وهي كنعانية "Canannitish" أقامت تمثالاً لسيدنا يسوع المسيح كيما تحقّق نبوءة داود "David" ومن بين أولئك المشهورين أيضاً قاتوني محنك يعرف باسم ، أوليبان "Ulbian" وهو من أبناء مدينة صور. ويذكر لوقا فيقول لنا : "إننا لو كنا نشق في الفينيقيين لكأننا الإشارات الأولى قد ترسخت فينا".

وقيل أن أهالي صور هم أول من نبغوا في صناعة الأقمشة ذات اللون الأرجواني، ولذلك فهم يعرفون بالأرجوانيين، أو بمعنى آخر، أن الصناعة الأرجوانية النليسة تُعرف بالصوري .

وقد تعرضت صور لحصار الملك بلديون الأول مدة أربعة شهور دونما جدوى بسبب مناعة حصونها وقلاعها، ولما لم يحقق شيئا للبتة، قرر العودة ثانية على أن يعود على رأس قوة كبيرة كي يتمكن من الاستيلاء عليها وقد تحقق له ذلك بعدما هدم مبانيها واستسلم أهلها، غير أنه أعاد بناءها من جديد على شاطئ البحر. وهناك المدينة لتي بناها الأسكندر المقدوني بين صور وعكا وتُعرف باسم الأسكندرونة، إلا أننا كنا نعرفها باسم "Scandalium" ويتميز هذا المكان بوفرة مياهه، وتقع على بعد خمسة أميال من صور، وقام سيد طرابلس ببناء قلعة قوية تطل على صور - قلعة نيبين - وهي تبعد عن مدينة صور عشرة أميال، وفي نهاية هذا المكان ضرب بلديون حصاراً شديداً على مدينة صور حتى تمكن من أن يمنع هجمات الصوريين، وتقع هذه القلعة بين لبنان والبحر، وهي غنية بالأشجار "أشجار الكرامات" ويحيط بها الأراضي الزراعية، ويرجع إغراق الملك بلديون دي بوج في الاستيلاء عليها إلى خطاياه وما ارتكبه من آثام، مما دفع بطرق مملكة بيت المقدس ورئيس الأساقفة، وبعض البارونات ومعهم كونت طرابلس بالمصكر أمام المدينة وتجهوا في الاستيلاء عليها، ويرجع نجاح هؤلاء في الاستيلاء عليها إلى مساندة البندقية لهم، حيث هاجمت سفنهم المدينة من ناحية البحر، بأربعين سفينة حربية وبعض السفن الكبيرة الأخرى، وهو ما أجبر أهالي المدينة على الاستسلام بعد حصار دام خمسة شهور، فأمنهم الكونت على حياتهم وممتلكاتهم، وكان ذلك بعد العام الحادي عشر بعد المائة وأربعة وعشرين عاماً من تجسيد المسيح، وبذلك عادت المدينة "صور" إلى المسيح والمسيحيين.

وأما مدينة **سارابتا** "Sarapta"، فتقع على البحر، وعلى بوابة خايط النبي الأرملة العجوز التي كانت تحتطب، والتي كانت يدها مملوءة بالطعام الذي كان يتضاعف دائماً، لأنها كانت تصنع الخبز من أجل الرب، وبسبب هذا، قام المسيحيون ببناء كنيسة صغيرة عند بوابة المدينة. ثم تأتي عدة مدن أخرى هي صيدا وبيروت وجبيل، التي تقع على شاطئ البحر، في إقليم فينقيا، وكانت تسمى أيضاً "Evaea"، لأنه يقال، أن الابن السادس لكنعان كان يعرف باسم إيفا "Evaea" وأنه هو الذي قام ببنائها، ويقال أن أقدم إسمان وأقدم جبال كان في هذه المنطقة الحصينة، فموقعها الحصين كان بمثابة مرشد للسفن.

ومرة أخرى نقرأ فى الفصل الخامس من الكتاب الأول للملوك : 'تشطر
المجرّ وأعدّ للخشب والحجر لبناء بيت الرب' وقد تمكن برترام كونت طرابلس من
الاستيلاء على المدينة بفضل مساعدة الأسطول الجنوى الذى كان يبلغ عدده سبعون
سفينة، وبسط الجنوية أيديهم على المدينة.

وأما **المصينة الثانية** ^٥ فهى مدينة البتروم *Botrum* وتسمى بالعامية
البترون *Botrian*، ثم قلعة نيبان *Nephian*، أى رأس للشكعة ثم مدينة
طرابلس، ومدن أخرى، منها مدينة أرك *Archas* - أراك - وتقع على بعد ميل واحد
من البحر، ثم مدينة أردوس التى بناها آرادىوس داخل جزيرة بالقرب من البحر
وآرادىوس هذا هو من كنعان ومنها وجد الرسول بطرس 'القديس بطرس الرسول' أم
القديس كليمنت، وهى تتضرع إلى الله، ولخبرنا القديس كليمنت أنه يوجد بهذا
المكان عمودان من الزجاج البديع الذى نال إعجاب كل الناس، ثم تقع فى مواجهة
هذه الجزيرة مدينة تترادوم التى تعرف اليوم باسم طرسوس وفى هذه المدينة أسس
القديس بطرس كنيسة صغيرة لمريم العذراء عندما كان متجهاً من بيت المقدس فى
طريقه إلى أنطاكية. وحظيت هذه الكنيسة بمكانة عظيمة حتى لليوم لهذا السبب
وبسبب ما جاءت به القديسة مريم العذراء من معجزات دلفت للعديد من الناس إلى
التدفق إلى هذه الكنيسة خاصة وأن القديسة مريم كانت تقوم بمعالجة المرضى
واستشفائهم مما أدى إلى أن تكون الكنيسة مزاراً للمسيحيين والمسلمين معاً. وهو
الأمر الذى كان يدفع المسلمين إلى تعمد أبنائهم بهدف استشفائهم وضمان حياة
أطول - كما يعتقدون - وبعد استيلاء المسلمين على بيت المقدس، حرص بعض النبلاء
أمثال بيوتو *Poitou* وبليوس *Plots* إلى جانب بعض نبلاء آخرين إلى السيطرة على
هذا المكان وتسليمه إلى كونت طرابلس، وقد اعتبرت هذه الأماكن من بين أماكن
الحج المقدس. ثم تأتى مدينة مارقيا - *Maraclea* وكذلك بايناس، *Valania* وقلعة
المرقب *Marga* وأيضاً قلعة الجبل *Gabulum*. وفى واجهة أنطاكية توجد
اللاذقية وهى من أكثر المدن شهرة وغنى وتتمتع بما تحويه من سلع من شتى أنحاء
العالم .

وفي الوقت الذي كان قد نجح فيه تاتكرد من الاستيلاء على المدينة، نجح تاتكرد في أنطاكية من الاستيلاء على مدينة أخرى تُعرف باسم آياميا "Apamea" وبذلك وسع في مساحة أنطاكية بإضافة هاتين المدينتين إليها في يوم واحد. كما توجد لأذقية أخرى في آسيا الصغرى، وهي التي اعتبرها القديس يوحنا من بين الكنائس السبعة في آسيا. كل هذه المدن المابقة الذكر كانت قواتنا قد نجحت في الاستيلاء عليها نتيجة ما بذلوه من تضحيات ضد المسلمين الذين لم يترك لهم حصناً واحداً بالقرب من البحر.

ولكن بعض المدن الداخلية وخاصة، التي تقع خلف لبنان والتي لم تستطع قواتنا الاستيلاء عليها اكتفوا - أي قواتنا - بإلزام هؤلاء - سكان تلك المناطق - بدفع الجزية لنا والتي غالباً ما كانت تستغل في توسيع الحدود السياسية لمملكتهم وتأمين حدودها وكذلك الاستعانة بها ضد هجمات العدو - المسلمين - وبذلك نجحت قواتنا في وضع حد لهجمات المسلمين المزعجة ضد قواتنا "قوات الصليبيين".

وكان بإمكان قواتنا أن تضم مدينة حمص وبعض المدن الأخرى، في جنوب سوريا مثل هليوبوليس، وبعليك، وكذلك عمان "Aman"، التي تُعرف الآن باسم هاما "Hama" إلا أن قواتنا أثرت السلام على الحرب، ودفعوا مقابل ذلك أموالاً طائلة، وبالمثل كان حال المسلمين، خاصة وأن الخليفة الإسلامي وكذا سلطان مصر، كاتا غير قادرين على التصدي لقواتنا وغاراتهم المتكررة، مما دفعهم ذلك إلى دفع جزية سنوية إلى ملك بيت المقدس، خاصة عندما يكون هناك مخاوف من دمشق من قبل سلطان مصر، والذي كان يدفع جزية سنوية لملك بيت المقدس مقابل حمايته من تهديدات سلطان مصر أيضاً.

كان الملك الثانى لمملكة بيت المقدس، بلدوين دى بورج قد اجتمع بقوات المملكة وحشد جمع كبير وحاصر مدينة حلب، إلا أن الحصار الصليبي لم يستمر طويلاً بسبب مبادرة المسلمين بحشد قواتهم أيضاً بعدد فائق عدد قواتنا، مما دفع ذلك الملك بلدوين إلى رفع الحصار وقرر الانسحاب.

وفى عهد الملك الرابع، بلدوين "الثالث" بن الملك فولك الأجنوى، اجتمع إمبراطور الروم آنذاك، الملك كونراد الثالث ولويس ملك فرنسا، قائدا الحملة الصليبية الثانية، عندما دعاهما القديس برنارد، وكان مع الملك الصليبي أيضاً بطريرك بيت المقدس وأسقف أوستيا للرسول الشرعى وعدد من رؤساء الأساقفة والأساقفة والأدواق الكونتات والبارونات، خاصة الفرنسيين، وقد قرر الكونتات المجتمعين مهاجمة دمشق سنة ١١٤٨م.

ودمشق مدينة قديمة جداً، وهى مدينة رئيسية تتمتع بموقع جغرافى، وهى قليلة السكان وسميت فيما بعد بخادم إبراهيم، الذى قيل أنه أسسها وهى عاصمة سوريا الصغرى، وكانت تُعرف بلبنان فينيقياً، كما كانت تُعرف فى كتاب يوتا 'VII - 8 Isa' برأس سوريا، وهى تقع فى أرض سهلية قاحلة تتدفق من مرتفعاتها ينابيع مياه، تتجمع فى مجرى مائى يحول أرضها إلى منطقة خصبة، تكثر بها الأشجار، خاصة الفاكهة.

وبالقرب من مدينة دمشق، وفى نفس المكان كانت هناك مدينة أخرى تُعرف باسم ميسوفجر "Melgissopher"^(١) وبالقرب أيضاً من مدينة دمشق نادى "سال" "Saul" على السيد المسيح، ولقد بادر الأمراء للصليبيين بمحاصرة المدينة وحطموا أسوارها، واستحوذوا على التهر الذى يجرى من أمامها، إذ أن أهل دمشق كانوا يشكون فى قدرتهم على الاحتفاظ بهذا المكان، حول سور المدينة بهدف الاستيلاء عليها. بينما قام بعض السريان بدور المرشدين للأمراء "الصليبيين" وأقنعوهم بأن

(١) تعنى بالعربية "منجلة باستمرار الرحلة" The going on a Jaurny "المترجم"

يحركوا جيوشهم إلى مكان آخر بعيد عن سور المدينة. وعلى هذا، ترك الصليبيون المكان، وأخذَه المسلمون، الذين كانوا قد أخذوا حذرهم منا، وبالتالي فقدت قواتنا مصدر المياه، وكان هذا التصرف قد أثار غضب وحرق المخلصين الذين فقدوا الثقة فيهم، وعادوا إلى أدراجهم بخفى حنين، يجرون وراءهم أذيال الخزي والعار.

وعلى هذا تحالف الإمبراطور البيزنطى يوحنا كمنين وأمير أنطاكية وكونت الرها، وحشدوا قواتهم من الجنود والمعدات الحربية والخيول وحاصروا مدينة قيسارية التى تقع على مقربة من مدينة أنطاكية، والتى تُعرف الآن بقيسارية العظيمة^(١) غير أن الحصار لم يقدر له الاستمرار بسبب تواطؤ كل من أمير أنطاكية وكونت الرها اللذين أهملوا أمر تحقيق هذا المشروع من جهة وبسبب انشغال الملك بلدوين الثالث ملك بيت المقدس من جهة ثانية بأعماله الداخلية، فقد كان بلدوين منصرفاً إلى الاستيلاء على مدينة بصرى "Bostrum" والتى وجدها قد تحصنت تماماً، فلم يستطيع الاستيلاء عليها، وعاد إلى مملكته، وقد تعرضت قواته لغارات المسلمين أثناء عودتها فأغضب ذلك الملك بلدوين.

ومدينة بصرى مدينة قديمة جداً، وكانت عاصمة العرب القديمة "الأولى" وتُعرف الآن باسم بوسرث "Bossereth" وكان لها السيادة على إقليم تراخون، "Trachon" ويخبرنا القديس لوقا فى إنجيله أن لغة أهل تراخون، "لغة فيليب القدوس"، وكانت هى اللغة السائدة فى المنطقة. وكانت تلك المدن جميعها، بعيدة عن عيون المياه والآبار، وعلى هذا فقد كان سكان تلك المدن يعيشون على مياه الأمطار التى كانوا يتجمعون حولها والتى كانت تتجمع فى شكل "برك"، وتعرف المياه الجوفية لهذا الإقليم باسم "تراخونيت" "Trachonitis" وكانت مساكن أهل هذه المنطقة هى الأطلال والكهوف حتى أن سكانها يعرفون باسم "أهل الكهف". وبعد ذلك هناك إقليم ديقوبليس "Decopolis" وتقع حدوده ما بين صيدا وبحر الجليل ويربط هذا الإقليم بدمشق إقليم

(١) قلعة شيلر

أنثوريا، وهذا يقع على حدود صيدا والجبال، وهى التى تفصل بيننا وبين المسلمين فى الوادى الذى يعرف بتل ياشر "Bacher" وأصبحت بذلك على مقربة من لبنان أو بوابة لبنان "Fores Lebanon" وهو نفس الإقليم أنثوريا الذى يربط المنطقة بإقليم ترلخون "Trachonitis".

وقيل أن الملك أمالريك - أخو بلدوين الثالث - حاصر مدينة مصرية تدعى القاهرة، وكان قد رفض نصيحة أحد الرجال الأشرار، يدعى ميلود بلانس "Milodeplanci" بالانسحاب مقابل مبلغاً من المال. ولكن فى الحقيقة كان أمالريك "Amlic" قد حاصر مدينة الإسكندرية المدينة المصرية العريقة، التى كان شيركوه - ابن عم صلاح الدين - قد استولى عليها من سلطان مصر. ولكن مدينة الإسكندرية قد عادت إلى سلطان مصر مقابل مبلغاً من المال وتم توقيع إتفاقية بناءً على ذلك وعاد أمالريك إلى أدرجه. ولكن عاد أمالريك مرة ثانية وهدد مدينة دمياط المصرية، بعد ما أرسل إليه الإمبراطور البيزنطى بعدد من السفن والقاذفات الحربية.

ودمياط مدينة مصرية حصينة جداً، ورغم هذا سقطت فى أيديهم، غير أن بقاء أمالريك فى دمياط لم يبق مدة طويلة ورفع الحصار عنها بسبب ما تعرضت له قواته من الجوع وشدة البرد وارتفاع الفيضانات، وعاد بعد ما تعرض لخسارة كبيرة. ومنذ ذلك الحين، وبعد ما أخفقت قواتنا فى الاستيلاء على مدينة دمياط، أو

أى مدن مصرية أخرى، اضطروا إلى بناء بعض الحصون والقلاع القوية على الحدود، لتفصل بينهم وبين أعدائهم - المسلمين - ولتكون أيضاً بمثابة خطوط دفاعية قوية، ومن أشهر هذه الحصون والقلاع، قلعة مونترال الشوك ويترا فى الداخل، وتعرف الآن باسم الكرك "Karak" وراء الأردن، وصفد، وهى مدينة فى بيت المقدس، وبلغوار "Pelvor" كوكب الهوى وأماكن أخرى حصينة على الجانب الآخر للأردن، وصفد هذه، قلعة حصينة وقوية تقع بين عكا وبحر الجليل، أما بلغوار فتقع بالقرب من تل طابور "Tabor"، والاشنان يقعان بالقرب من يزرعية "Jezreal" المأهولة بالسكان، وهى تقع فوق مرتفع بين "Citoplis" وطبرية "Tiberias".

ولكى يحافظ ملك بيت المقدس على الأمن داخل هذه المدن، قام بتقسيم المملكة بين الأمراء والبارونات والتي كانت مهمتهم الأولى هي حفظ الأمن. بينما كان ملك بيت المقدس يحتفظ لنفسه بأفضل الأماكن فيها مثل نابلس وعكا وصور، وبعض المدن والقرى الأخرى. وكان هؤلاء الأمراء والبارونات قد أقسموا يمين الولاء والطاعة، من أجل حماية الملك، ومعهم عدد كبير أيضاً من الفرسان، من هؤلاء، كونت طرابلس وسيد بيروت وصيدا وسيد حيفا "بورفير" وسيد قيسارية وأمير الجليل، الذي كان سيداً أيضاً على طبرية، وكذا كونت يافا وعسقلان وسيد الشوبك والكرك، وكل ما وراء الأردن وسيد آشور وسيد إيلين وأماكن أخرى، وكل هؤلاء السابق نكرهم، كانوا يحظون بمكانة رفيعة لدى ملك بيت المقدس.

ومنذ ذلك الحين أخذت الكنيسة الشرقية في الازدهار مرة ثانية، وبدأت العقيدة الدينية الكاثوليكية، تنتشر في الأراضي الشرقية، وبدأت شجرة الرب تجنى ثمارها، ومن ثم "دَوْن" في أشجود الأناسيد، تبدو وكأنها اكتملت، لقد ولى الشتاء واختلى المطر، وتفتحت الزهور في الأرض، وحان وقت النضج في أماكن بعيدة من العالم، ومن كل جنس ولغة، وأمة تحت السماء، وتوافد للحجاج بدافع الرغبة، وتدفق أهل الودع إلى الأرض المقدسة منبهرين بجلونها، وتم إعادة بناء وترميم الكنائس القديمة وأبنية أخرى جديدة، بما قدمه الأمراء من عطايا وصدقات المؤمنين، وأقيمت أيضاً الأديرة للرهبان في أماكن مناسبة بهم.

ووضع كل شيء في خدمة الرب، وتم تأسيس كل ما هو مطلوب لذلك في مكانه، وقد أدان الصالحون - من الرجال - العالم، واختاروا أماكن معينة حسب معتقداتهم الدينية ليقطنوا فيها، وتكون مناسبة لأغراضهم الدينية ويكرسون حياتهم من أجل الرب.

لقد كانت الأرض المقدسة مكان جذب للبعض القدياء بالرب الذى اختار هذا المكان القفر المسمى كوارنتينا "Quarantena"، ويعرف الآن باسم "El koruntl" حيث صام هناك الرب أربعين يوماً بعد تعميده، وقام هؤلاء القادمون، بالاستيطان فى هذا المكان من أجل خدمة الرب، فى تواضع وكذلك داخل صوامعهم، بينما جاء آخرون إلى هذا المكان أيضاً وتقلدوا بالنبى الزاهد المقدس إليا "Eligh" الذى عاش حياة العزلة على جبل الكرمل، خاصة للجنب الذى يطل على مدينة حيفا "prophyria" قرب بلر يُعرف باسم "Elighak well" ولم يكن هذا المكان ببعيد عن دير القديسة مريم العذراء. وبالقرب من هذا المكان توجد فراشات النحل التى تصنع عسل روحانى حلو المذاق، وهو نفحة من نفحات الرب.

كما يوجد جبل كرمل آخر، خلف الأردن بالقرب من تلك البرية القفر، وهو المكان الذى أخفى دلوود فيه نفسه حين هرب من أمام سال "Sau" إذ كان يوجد منزل ذلك للفلاح الفظ، ولكن جبل الكرمل الذى كان يعيش فيه إليا "Elighak" يقع بالقرب من شاطئ البحر على بعد أربعة أميال من عكا.

غير أن البعض قد اختار مناطق هائلة كى يعتزل العالم (الناس) من أجل عبادة الرب، ففى وادى الأردن، حيث اعتكف يوحنا المعمدان "St. John The Baptist" منذ طفولته بعيداً عن الناس، إذ كان بإمكانه، وبفضل هذه الحياة أن يتصل بالرب. وفى عزلة مثل هذه، لم يأكل يوحنا المعمدان سوى ما توفره له البرية من جراد وعسل. وبذلك أصبح هذا النظام سائداً فى سوريا، حيث كان هؤلاء يقومون بصيد الجراد الذى يطير فى شكل جماعات ويحتفظون به كطعام لأنفسهم.

ولقد شاهدت العسل بكميات وفيرة، فى هذه المناطق، ولكن من قصب السكر. وقصب السكر ملئ بالعسل الذى يمكن الحصول عليه عندما يتم عصر القصب فى عصارة ثم يسكب العصير عن طريق تسخينه بالنار.

وبهذه الطريقة يصنع الناس نوع من العسل، ثم بعد ذلك استخراج السكر، وهكذا يسمى بعسل السكر.

غير أنني لا أعتقد أن المعدادان "معدادان المسيح" لكل لحم الجراد، إذ تخلى عن كل شيء حتى الخبز، وقد تحققت من ذلك بالاستفسار من راهب سوري، كان يعيش مع بعض الرهبان في هذه المناطق والذين تعودوا "اعتادوا" حياة التقيشف والزهد تحت مباشرة الأسقف *Abbot* رئيس الدير، ولقد سألته عن نوع الجراد الذي قيل أن يوحنا قد أكله في تلك البرية المجاورة للأردن، وأجاب على الفور قائلاً: "إن هناك نوع من العشب ينمو أمام دير الرهبان الذي يسمونه بلانجوستاي *Langustae*" أو فصولييا الجراد *Locust-bean* إذ ينمو هذا العشب بكميات وفيرة أمام أديرتهم" وأضاف قائلاً: وهذا هو العشب الذي كان يعتمد عليه المعدادان في طعامه. علاوة على ذلك قال: إن هذه البرية غالباً ما كانت مستودع للعسل الذي يصنعه النحل.

ولقد توجه بعض رجال الدين الآخرين إلى تلك البرية بالقرب من بحر الجليل، والتي غالباً ما كانت منطقة وعظيمة للرب، حيث كان يقوم بإطعام أعداد غفيرة من خبز الشعير والسمك الصغير، وأنعم على المنطقة بمعجزات كثيرة. وهنا أيضاً ظهر بنفسه أمام حواريه بعد اتبعائه، كما أكل وشرب معهم ومشى فوق مياه هذا البحر، وهنا نادى على بعض حواريه قائلاً: "اتبعوني أعلمكم كيف تكونوا صاندي الرجال" وهنا اختار مأواهم الفريد على السهل حيث توجد أعشاب كثيرة من العشب الجاف. وأما البعض الآخر فكان على الجبل المجاور الذي صلى عليه الرب.

إن بحر الجليل هو بحيرة ذات مياه عذبة على حدود الجليل، وهي مليئة بجميع أنواع الأسماك، ومياهه صالحة للشرب، ونظراً لطولها وسعتها أطلق عليها اسم بحر، وهذه عادة اليهود والمصريين الذين يطلقون على أي تجمع مائي بحر، سواء كان ملحاً أو عذبة. ويسمى كذلك بحر طبرية، وذلك لأنه يجاور مدينة طبرية التي تقع بالقرب من منطقة *Bethsaida* ومدينة *Peter* وأنسرو التي أنعم الرب عليهما بحضوره شخصياً بهما، وتسمى أيضاً بحيرة جنزور *Lack of Gennesareth*

والتي فسرت على أنها "الرياح المتولدة" لأنه من العيون المائية التي تتبع من الجبال تبدأ من حولها رياح قوية، غالباً ما تتجمع وتحدث اضطرابات في البحيرة، وتحول إلى عاصفة، فتحدث أمواجاً عالية تؤدي إلى انقلاب السفن الصغيرة. ويجري نهر الأردن تجاه البحيرة السائلة للذكر. وقد استمد اسمه من عيتين من المياه "من شقين" غور "Jor"، ودان "Dan" والتي منهما مصادر اسمه. ويقع بالقرب أيضاً من جبل لبنان وقيسارية فيليب ومن هنا يجري النهر في مجرى واحد حوالي مائة ميل ويزوي المناطق المجاورة وتجرى مياهه عبر الوادي الشهير "Illustrious vally" والذي يسمى بوادي الملح، وقد تحول إلى "البحر الميت" وهناك تبتلع المياه ولا تعود ثانية، ويقع بالقرب من مكان يُعرف بالذور "Zoar" ويعرف اليوم اسم بوميرا "Poumier" والبحر الميت يعرف باسم بحيرة أسفات "Lake of Asphar" وأيضاً باسم بحر للملح، لأنه شديد الملوحة حتى أن أحداً لم يستطع أن يشرب من مياهه. وغالباً ما كان يعرف ببحر الشيطان "Devil's sea" ذلك أنه لا يمكن لأي كائن حي أن يعيش هناك، ويعرف أيضاً بجبل الملح، علاوة على ذلك توجد على جانبيه أشجار التلحاح التي تمتد بطول البحر يتخللها مناطق خربة، وأتربة مريهة الرائحة، ولذلك أنزل الرب النار والحجارة فوق سدوم "Sodom" وكذلك "Go marrah" وأيضاً فوق ثلاث مدن أخرى. وكان سكان تلك المدن شديدي الحقد والحسد ولركاب الخطايا ضد الطبيعة. وكانوا أيضاً يمارسون الرذائل والنقااص والعيوب بعضهم ببعض.

وفي هذا المكان المسمى بنينوبوليس "penitopolis" لم يستطع أحد أن يصل إلى القاع لأن الرب عندما أشعل النار في تلك المدن، ألقى بهم حفرة في عميقة جداً. ونهر الأردن الذي سبق ذكره، وكان يقدم خدمات كبيرة لكل البلدان التي تقع بين جبل لبنان، فهو يوفر المياه التي يسقى بها الأرض والحدائق فتحمل الأشجار الثمار والفاكهة، وتمتدنا بالمياه العذبة للشرب وكذلك السمك للغذاء، وشواطئه صالحة

للزراعة، مثل قصب السكر، الذى يستخدم الناس قشّه فى تثقيب منازلهم وفى تجليد الحوائط، وكان العسل يتساقط "يجمع" من الأشجار فى الحقول المجاورة لهذا النهر بكميات ضخمة من محصول قصب السكر، فيمدنا بسكر وفير. لقد كان لدى السكان الوطنيين رغبة شديدة فى غسل أجسادهم وملابسهم فى مياه نهر الأردن، لأن مخلصنا يمسح بالمسيح قام بتعميده القديس يوحنا المعمدان فى هذا النهر، فتطهر هذا النهر بملامسة مياهه لجسده الطاهر، ومنحه قوة متجددة لكل مياهه. ولذلك اعتبر نهر الأردن نهر عريق للأسباب سالفة الذكر، ففوق هذا النهر سُمع صوت الرب وشُهِدت روح القدس على شكل يمامة، وتم تعميد الابن فى هذا المكان وعدد كبير من الرجال والنساء على يد يوحنا المعمدان.

وفوق هذه المياه أيضاً، كان المذنبون والمخطنون يقومون بتعميد "طهارة" أنفسهم كيما ينتهجوا نهج المسيح، واعتادوا على رمى "إلقاء" أنفسهم بالنهر كنوع من أنواع للطهارة على يد نامان السورى، كذلك كانوا يتطهرون من مرض الجدّام حتى تُشفى أجسادهم مرة ثانية، وكأنهم أطفال رضع، أو صغار، وكان يوشع "Joshua" وعدد كبير من أطفال بنى إسرائيل يعبرون هذا النهر دون أن تكبل أقدامهم فى الوقت الذى كانت المياه تعلو رأسه ثم تتحدّر ثانية إلى النهر.

ومن مجرى النهر، أخذ أطفال بنى إسرائيل اثنى عشر حجراً طبقاً لعدد القبائل الاثنى عشر. وكانت هذه الحجارة قوية جداً، حتى أن القديس يوحنا المعمدان، كان يقوم بتسليمها، وقال عن ذلك: أن الله هو القادر على إعانة هؤلاء الأطفال كيما يرفعوا هذه الحجارة إلى إبراهيم.

كذلك عبر كل من إليا واليشع دون أن تبطل أقدامهم، وبعد ذلك لمس المسيح هذه المياه بعبأته وقسمهم هنا وهناك، حتى أن بعض رجال الدين قاموا ببناء مساكنهم بجوار هذا النهر بسبب قداسته وطهارة مياهه.

لقد أقاموا أديرتهم فوق تل طابور لتكون نقطة اتصال خارجي بذلك المكان
المبجل. وتل طابور شديد الارتفاع والاندثار أيضاً. وهناك ظهر الرب وتشابه مع كل
موسى وإلياس في هيئة "حضور" بطرس، وقد أضحي كل من جيمس وجان، ذلك في
عظمة اتباعائه في المستقبل. إن تل طابور، هو أحد بلدان منطقة الجبل، وهو غير بعيد
عن الناصرة، وبالقرب أيضاً من جدول كيسون، وعلى الجانب الآخر منه، توجد
مرتفعات "Gilbou" على بحر الجليل. وفيما يتعلق بهذه المرتفعات، التي تعلن عن
خيالاتها، تنحدر من فوقها الرطوبة والأمطار بشكل غير عادي، غير أن هذا لم يكن
دائماً بشكل ثابت ودائم، ولم تكن هذه الظاهرة أيضاً بالنسبة لأولئك الذين يقطنون في
المناطق المجاورة.

إن جماعات الرهبان البنديكت "Cisteccian" وكذلك "Premonstraten" قد قدموا
ببناء أديرة لهم في أماكن مناسبة، كما قام بعض أولئك الذين اشتدت رغبتهم في
التوجه إلى الأرض المقدسة، بترك ديارهم وأسرهم ومنازل آبائهم في شكل جماعات
من الرجال، حتى أصبحوا عبء في حركة الذهاب، وفضلوا أن يحيا في وسط التزام
عن أن يرحموا أنفسهم من امتيازات سكن الأماكن المقدسة، مثل بيت لحم، والناصرة،
والتي امتلأت بقدر الفرنج المفعمة بالروائح العطرية، بسبب حضور المسيح فيها من
جهة، وكذلك الناصرة كانت السيدة مريم العذراء قد حملت بالمسيح عن طريق الروح
القدس هناك، وفي بيت لحم ولد السيد المسيح، وفي بيت المقدس التي آثرت لعابنا
صلب ومات ثم فُهر.

إن بيت المقدس هي مدينة كل المدن، وقدس الأقداس، عظمة بين الأمم
وأميرة بين الإمارات، وما تتمتع به من امتيازات خاصة، جعلها مدينة الملك العظيم.
إنها تتوسط الأرض، مركز العالم، فسوف تكون ملاذاً لكل شعوب العالم، وهي مملكة
البطارقة، والأم الرضيع لكل الأنبياء ومعلمة الرسل، ومهد عقيدتنا وإيماننا، موطن
السيد المسيح وهي مهبط الأديان، مثلما كانت روما هي الأم المخلصة، اختارها الرب

ليطأها بقدمه، شرفت بحضور الملائكة فيها، ألغتها كل الشعوب تحت قبة السماء وتقع بيت المقدس فوق تل مرتفع، يقع على جانبيها التلال، وهذا الجزء من سوربة يسمى يهوذا وفلسطين، إنها مليئة باللبن والصل، ويكثر بها الشعير والنبذ والزيت، وهي بركة ونعمة لكل الأزمان، وعلى الرغم من أن أنهارها مفتقرة إلى المياه فلم يكن لها مصادر، غير أنه هناك مصدر واحد يسمى سلوم "Siloam" وهو يجري تحت جبل صهيون "Mount of Sion" في وسط وادي يوسف، وأحياناً تريد المياه بشكل ملحوظ ثم تندر مرة أخرى.

وكان لكل مدينة، وبالقرب منها توجد بعض الصهاريج لتخزين مياه الأمطار التي تلي حاجات الإنسان والحيوان من مياه الشرب، كما كانت تستغل في نواحي أخرى، وكانت صهاريج كل مدينة تحمل أسماء تختلف بعضها عن بعض طبقاً لمصادر مياهها واختلاف مواطنها ولغتها، فالأول مثلاً يسمى جوب "Jeubs" والثاني سليم "Salem" ومن الكلمتين جاء اسم بيت المقدس "Jetusalem"، إنها تسمى أيضاً سوليميا "Solyma" وهورسليما "Hiersalyma" ونسوز "Luz" وبثل "Bethel" وأخيراً كانت "Aelia" وأيضاً اليوس "Aelius" "Roman" "questor" والكيسطور، موظف روماني، قديم للإدارة المالية، والذي قام ببنائها، بعد أن كانا كل من الإمبراطور تيتوس وفلسبيان قد حطماها. وقيل أن أول أسقف لها هو جيمس الرسول، الذي قُتل بمطرفة من حديد في بيت المقدس وانتقل إلى الرب كشهيد. وقلت بيت المقدس بدون أسقف بعد مماته ذات مكانة رفيعة، حتى عهد الإمبراطور قسطنطين. ولكن في الفترة التي سبقت عهد الإمبراطور، المؤمن بالله "قسطنطين" وزوجته الإمبراطورة النقية، عقد مجعاً كنسياً مجمع "السود" "Synod"، في مدينة قسطنطين من أجل أمور تتعلق بامدينة المقدسة "Jerusalem"، وقام الإمبراطور بتعيين بطرقياً على المدينة، وأسند إليه بعض الأساقفة المساعدين، الذين تم نقلهم من بطريركية الإسكندرية وأنطاكية، وذلك أن الإمبراطور رأى أن تأسيس البطريركية الجديدة كان على حدود الاثنين "أنطاكية - الإسكندرية". وفي كنيسة الرب، احتلت بطريركية بيت المقدس المنزلة

الرابعة، بعد الكرسي الرسولي "Apostolic see". وقد جعل تحت إشرافه، أربعة مطارنة، وهم كالآتي: صور التي جعل لها أربعة أساقفة مساعدين في عكا، وصيدا وبيروت وبنانياس، وهذه الأخيرة تعرف الآن باسم بننياس، التي تتاخم أرض الميعاد، والحاضرة الثانية هي قيسارية وجعل لها أسقفاً مساعداً واحداً هو أسقف سبيسطة "Seboaste".

وكان لهذه المدينة "سبيسطة" قديماً اسم آخر هو سامريا "Samarita" وقد كانت المكان الذي دفن فيه كل من يوحنا المعمدان، وإليا والنبي عاموس.

ولم يكن في حيفا "بورعرا" أسقفية، بل كانت تابعة تبعية مباشرة لرئيس أسقفية قيسارية، أما الحاضرة الثالثة "البطركية" فهي الناصرة وكان لها أسقف مساعد واحد هو أسقف طبرية. وطبرية مدينة على شاطئ البحر - بحر الجليل - في منطقة الجليل وهي غنية بالحنطة والأسماك، وكان الكرسي الأسقفي من قبل في مدينة كينتبلمس وهي التي تعرف الآن باسم بيسان "Bethshan" وتمتد على الساحل بين مرتفعات جلبوع ونهر الأردن. وهي مدينة جميلة جداً، وهي غنية بمياه الآبار والعيون والتهيرات، وقد كانت يوماً ما حاضرة لمدينتي "ترتيا" الفلسطينية "Palestine. tertia" والجليل، غير أن الكرسي الأسقفي انتقل إلى الناصرة بسبب فخامة المكان الذي شرف بحضور السيد المسيح فيه، أما الحاضرة الرابعة، "البطركية" فهي البتراء، وكان لها أسقف مساعد واحد وهو أسقف يوناني في مرتفعات سيناء في كنيسة القديسة كاترينا العذراء، ورئيس الأديرة في ذلك الدير.

وتتمتع البتراء بحصون قوية، تعرف باسم الكرك "Crac" وتقع البتراء في البرية، وتمتد بعض أجزائها فوق تل مرتفع خلف الأردن على حدود مواب، "Moab" الكرك وهي عاصمة مدينة سكندا العربية "الملكة العربية السعودية الآن" وهذا هو المكان الذي قال عنه النبي اسحق، أرسل أنت المصباح إلى الحاكم، "حاكم الأرض من القمر Sel إلى البرية". أنها تقع بالقرب من مدينة قديمة جداً تسمى رابوت "Rabboth" التي تقع أمامها بوابة مذبح داود.

وكان لبطرق بيت المقدس أساقفة مساعدين تابعين وله تبعية مباشرة، من أمثلة ذلك، بيت لحم، وحبرون، واللد "Lydda" وكانت كنيسة بيت لحم، ديراً للراهبان، وفقاً للنظام الكنسي على عهد بلدوين أول ملك صليبي لمملكة بيت المقدس، وكان هذا الملك الصليبي قد حظى بمكانة رفيعة نظراً لما حظى به المكان الذي شرف بميلاد المسيح، وقد رفعها إلى مقام الكندراتية، وأقام عليها أسقفاً بأمر رسمي، كما أن البابا صاحب الذكرى للعطرة، باسكال الثاني، أسند إليه أيضاً السلطة القضائية لمدينة عسقلان، وكذلك بالنسبة لكنيسة حبرون، والتي كانت من قبل ديراً للراهبان، ثم رفعت إلى مرتبة الأسقفية، بسبب المكانة الدينية التي تتمتع بها المدينة، حيث كانت مهبط آدم وحواء "Adam and Eve" وثلاثة من البطارقة الرسل، وهم: إبراهيم واسحق ويعقوب وكذا سارة وربيعا "Rebecca" وقد دفنت أجسادهم جميعاً في كهفين، وهي ذات صلة بخدم الرب. والأسماء القديمة لحبرون Arba، والكرج العربية "Kirijath"، أما مدينة اللد، فكانت تعرف باسم "Diospolis" ديوسبولس، وتُعرف الآن بالقدس جورج.

وفوق ذلك، فإن البطارقة السالف ذكرهم، كان منهم رؤساء الأديرة، وأديرة الراهبات التي كن يتمتعن بامتيازات تتمثل في حمل شارات الحبر الأعظم، ومن هذه الشارات، صولجان الأسقف "The Staff" ولتاج أو القنسوة "The mitre"، والخاتم "The ring" وأخيراً الصنفل أو الخف، "The sandals"، وكل هؤلاء يمثلون المساعدين للسيد المسيح الخادم في السماء. وكنيسة البطريركية هي كنيسة القبر المقدس على مشارف جبل كلفاري "Calvary" وكان يتبعها عدد من الأديرة، كانت حياة الرهبان فيها حياة منتظمة، تحت إدارة القديس أوستن "St. Austin"، وكان من بين هذه الأديرة ديراً مهمته انتخاب بطرقة في مكانة رئيس الدير، وفي كنائس معبد الرب بجبل صهيون، وجبل أولفت "Oliver" كان رؤساء أديرة الكنائس يقومون بخدمة الرب، بناءً على نظام أوستن سالف الذكر. وفي كنائس الأديرة، خاصة كنيسة

القديسة ماري كان اللاتين ورؤساء الأديرة في وادي يوسف، *"Jehosaphat"* مع الرهبان السود يقومون بخدمة الرب وفقاً لنظام بتدكت. أما في بيتان، وهي قرية تقع على بُعد خمسة عشر فرسخاً من بيت المقدس خلف جبل أولفت، وكانت توجد للقديسة ماري ومارثيا وأخوهما لازاريوس *"Lazarus"* بالإضافة إلى عدد من الأساقفة السود وبعض الراهبات اللاتي يتبعن نظام أوستن القديس.

كما أن هناك بيتان أخرى، خلف الأردن حيث تم تعميد يوحنا المعمدان، وفيها يتم نفس النظم والقواعد التي تنتمي إلى أسقفية القديسة آنا التي ولدت أم السيد المسيح. وهي تقع بالقرب من البوابة والتي تسمى بوابة يوسف *"Jehosaphat"* حيث يوجد المكان الذي قيل أن السيدة العذراء وضعت فيه وهو مكان أيضاً لدير راهبات سود *"black nuns"* وأيضاً دير أسقفية مريم العذراء في بيت المقدس، وبه دير آخر لراهبات سود يقمن على خدمة الرب تحت نظام القديس سنت، وهذا المكان مليء بالبخور والأشخاص الأطهار المخلصين الذين لم يتعصبوا لدين أو جاء وقبلوا حياة الفقر والبؤس، وعلى جبل تابور *"Tabor"* هناك دير به رهبان سود تحت إدارة أسقفية الناصرة. كما أن مدينة جوبا *"Jobba"* كانت تابعة لأسقفية كنيسة القبر المقدس، لأنه لم يكن بها أسقفية. ونفس النظام كانت مدينة نابلس *"Neaplis"* والتي تسمى في الإنجيل *"Sicher"* حيث يوجد بلز يعقوب والذي بجواره تحدث الرب مع امرأة السامري *"The woman of Samaria"* ولم يكن بها أسقفية، ولكنها كانت تتبع مباشرة دير معبد الرب.

هناك أيضاً العديد من المدن في أرض الميعاد، والتي لم يكن بها أسقفيات قبل الغزو اللاتيني تحت إدارة الكنائس السورية أو الكنائس اليونانية، وذلك رغم كثرة عددها وفقرها فإن اللاتين قاموا بدمج عدد من الكراسي الأسقفية للكنائس في كراسي أسقفية في مدينة واحدة، أو بمعنى آخر (خصص اللاتين كنائس عديدة ومدن كثيرة لمدينة ذات كندرية واحدة، خشية أن تصبح مكان لدير معين. ودعونا الآن نضيف وباختصار عدد من تلك الأماكن التي كانت ظاهرة بين الأماكن المبعلة).

إن الناصرة، مدينة صغيرة على مدخل الجليل من جهة الغرب وتقع بين جبلين، ويقع بينها وبين صقلورية "Sophor" عين مائية صافية والتي تتدفق منها للمياه بوفرة وقوة وتسمى عين صقلورية. وفي هذا المكان كان لدى ملوك بيت المقدس رغبة في تجميع قواتهم العسكرية بسبب نمو الحشائش ووفرة المياه من جهة، كما أنه المكان الذي ولدت فيه للقديسة مريم العذراء من جهة ثانية. كذلك دون شك هو المكان الذي تم فيه خطبة مريم العذراء ليوسف "النجار" وهو المكان الذي نزل فيه الملائكة عليها ليبلغوها ببداية الخلاص، وهذه المدينة المقدسة يحبها الرب. فالكلمة أصبحت علقة "جسداً" والورد ذات الرائحة الجميلة شاعت منها كل العطور ونمت في رحم مريم للعذراء، ويقال أن اسمها مشتق من زهرة أو وردة، وامتازت عن الأخريات بأن مخلصنا المسيح قد تربى فيها، وتحت قدميه وضع الأب كل الأشياء في السماء والأرض، وبيت لحم التي فسرت على أنها بيت الخبز الحقيقي الذي قيل أنه هبط من السماء تقع على مشارف القدس، ويمكن القول أنها تعد أربعة أميال عن المدينة المقدسة وفي مدينة داوود هذه توجد الكنيسة الكاثوليكية المقدسة أما القديمة فقد خصصت لمريم العذراء. وفي هذه المدينة حاول أعداء الإيمان خطف ونهب المسيح بقوة، ولها أيضاً معلف للدابة التي هبط به إلى الأرض وهي المكان الذي عرشه السماء وكرسيه الأرض. كما أنها المكان الذي هبط فيه الكهنة بأمر الملائكة، ولها نذر "بئ" للرضيع مع أمه مريم للعذراء، وفيه نزل ثلاثة من السحرة عندما قادتهم نجمة من السماء فاشترىوا المدينة هذه، وفيها ولد الملك وقدم إلى الرب هدايا روحية. وفي هذه المدينة أيضاً تطلع هيرود الشرير، عدو الإيمان إلى ذبح المسيح بطريقة وحشية، مما يجعل الموت مصحوباً ببعض الطهارات. وهناك أيضاً قبر يعقوب وروفائيل، التي ماتت في نفس المكان بعد أن ولدت بنيامين، وهناك جاءت امرأة تسمى نومي "Naomi" من البتراء في البرية، والتي اتخذها بوذا "Boaz" زوجة له فحملت منه سيد الأرض، الذي جاء بالابنة آسيا "Sion" وقد تمنى داوود لو شرب من

مياه ينر بيت لحم، راغباً من أن يشرب من مياه الحكمة وأيضاً من مياه ينر مريم العذراء المبارك. وحتى القديس جيروم صاحب الترجمة للكتب المقدسة إلى اللاتينية، كان قد اختار لنفسه المدينة المقدسة المفضلة لدى الرب من أجل خدمة المسيح، وفيها ذبح المسيح ثم قُبر فيها، وكذا أبولا المبارك وابنته أوستاخيم 'Eastochim' والعديد من العذارى قدمن أنفسهن لخدمة الرب والتأمل في السماء في الدير هناك، وزهدنا الدنيا من أجل خدمة ربنا وسيدنا يسوع المسيح، وكرسنا حياتهن من أجل خدمة تلك الأرض المقدسة.

ومدينة بيت المقدس المبجلة، نزل فيها يسوع المسيح، ففيها أَسرار خلاصنا وبدا فهي تتنوع على الأماكن الأخرى، وكذا المدن في طهارتها، وما تتمتع به من امتيازات، فهي محاطة بروائح الفواكه التي أنعم الرب بها عليها. وكانت بيت المقدس مكان جذب للعديد من رجال الدين لما تتمتع به من مناطق دينية مقدسة، مما دفع للكثيرين منهم لأن يقدموا أرواحهم فداءً لها وحباً فيها، كما أنها بالإضافة إلى ذلك كانت محاطة بسور قوى حصين عال بحيث كان هذا السور ملفت للإنتباه. وقد كان بهذا السور أربعة فتحات منتظمة لإطلاق النار من حائط لآخر، وكان جانبه الغربي مبنى من الحجارة المربعة الأسمنتية، وغير قابل للكسر ومزود بالملاط والرصاص المصهور، ويكفي هذا الجانب لحماية المدينة، ويسمى هذا ببرج داوود.

أما في الجهة الجنوبية منه فيقع جبل صهيون، وبعد أن طرد "Jebusties" داوود، أقام داوود في قلعة صهيون، وأطلق عليها اسم "مدينة داوود"، أما من جهة الشرق، فيوجد جبل بيتان أو أثلث أو الكلفاري، حيث صلب المسيح في مكان يسمى "Golgotha" ويعرف بقبر الرب، وأما الموقع الثاني في هذا المكان فهو يقع بالقرب من جبل كلفاري والذي استمر حتى عهد الإمبراطور هادريان، ولم يكن به أسوار تحمي المدينة.

والمكان الذى قبر فيه الرب وعانى منه لم يكن به مدخل، غير أن الإمبراطور هادريان أعاد بناء المدينة التى حطمها تيتيوس وفبسيانو، وقام برصف شوارعها وممراتها وجعل بها قنوات داخلية تحافظ على المدينة ونظامها فى فصل الشتاء من القاذورات.

كذلك قام الإمبراطور هادريان بتوسيع كبير فى المدينة، وأحاط قبر الرب بمسور ضمن الأسوار التى تحيط بالمدينة. ثم قام المسيحيون ببناء كنيسة القيامة (قيام الرب) *"The Lord's Resurrection"* تيجيلاً له، وهو عمل بارع دائرى الشكل مكشوف من أعلاه، وهو المكان الذى تستقبل فيه كنيسة كل المقدسين والمبجلين من كل مكان. وفى هذا المكان يرقد جسد الرب المقدس، بعد أن بخر بالمر والصبر المقدس مدة ثلاثة أيام، وفى اليوم الثالث نهض مرة أخرى، وهنا تظهر الملائكة، وحلف القبر، ثم تنزل النار المقدسة من السماء.

والآن وعندما نذكر تلك الكلمات فى كل مكان من العالم، نقول: "تهض الرب من القبر، وتعلق من أجلنا فوق شجرة، وليقرأ المؤمنون ورجال كنيسة القبر المقدس بمفردهم من هذا المكان، وأصبح ظاهراً ومرئياً فى ذلك المكان." كذلك نقرأ فى الإنجيل عن عيد الفصح، إنه لم يكن هنا، بل رفع إلى السماء، إن الشمس الذى يقرأ الإنجيل فى توازن مع نفحات أصابعه من أجل قبر الرب، وهذا المكان هو ما يعرف بكنفارى، وهو المكان الذى صلب فيه المسيح، ويعرف فى العبرية *"Hebrew"* بـ *"Golgotha"* المجاور لكنيسة وقبر الرب، وهو مكان شاق بين الأماكن المقدسة، وهو مكان ذو تأثير شديد وقوى على القلب بسبب ذكرى آلام المسيح *"Lord's Passion"* حيث تألم المسيح من أجل خلاصنا، فقد تجرد من ملابسه وصلب على صليب وثبت بمسامير على الصليب، ثم شرب من المر والخل وسخر منه اليهود، وتعرض لامتهادات عديدة حتى مات فى شكل مخذى، ثم صلى من أجل القتل (صلى قبل موته) ولمر أنه أن تفتى بالحوارى، ووعد بالخلاص، ثم صرخ بصوت عال، ودمعت عيناه ونزف دماً غزيرة، سألت بقوة ليقبض العالم من جنبه المطعون، وهنا تركوا ملابسه

بينهم ثم أنقوها ليستقروا جسمه، وهنا يهتز العالم وتتصدع الجبال، وامتلأت الأرض
بدمانه، وغابت الشمس واختبئ ضوءها. وعندما زار الحجاج هذا المكان المقدس
تأثروا بكل هذه الأشياء، وشعروا بالأسى والحزن وعضصر قلوبهم، وكانت عيونهم
تذرف الدموع رحمةً وشفقةً على هذا البلاء والآلام.

والآن فإن مدينتنا القوية، مدينة صهيون، كان بها جبل يقطن فيه الرب
يتساقط منه للعسل وحلاوة الأزهار، وهي تريح العقول وتعيدها إلى التقوى برواقها
الطيبة، وكذا بسبب قدسيتها فإنها سبباً في إ طعامهم.

وهنا يقيم الرب عيد الفصح في عبادة مع حواريه ومعه متدليل غسل به لقدام
الرسول، وأعطى بذلك مثلاً للتواضع، فقد ارتدى ملابسه مرة ثانية، وكل وشرب مع
حواريه ففطن بذلك عهداً جديداً، هو تحول الخبز إلى جسده والنبذ إلى دماء وتعليمه
لحواريه للحديث القدسي، وهنا يحفر يوحنا قبر ابنته^(١) ما دامت على قيد الحياة فتكون
معه. وهنا ظهر الرب لحواريه، عندما كانوا يجلسون والأهواب موصدة، علاوة على
ذلك، فإن الحواريين ظلوا في مكانهم حتى يوم عيد الفصح "النصرة" بينما صعد المسيح
إلى السماء، وقلوا ينتظرون عوبته "ميعاد نزول الروح القدس على شكل نهب" بما تحمل
الكلمة من معنى في كل اللغات. ولوقى هذا، فإن حشداً من اليهود الذين دافع عنهم
القدس بطرس قد حضروا بعد ما سمعوا صوتاً من السماء، واهتدوا إلى طريق
الرب. كل هذه الأشياء تجعل هذا المكان يتكلم على غيره من الأماكن المقدسة
الأخرى، فصارت أعظم مكان مقدس يحظى باهتمام خاص.

إن معبد الرب المقدس الذي بناه سليمان "Solomon" على جبل مور
"Moriah" من ثلاث طوابق، وهو الثاني من المدن القديمة المقدسة، وإن كان قد
دمر لأول مرة على يد البابليين ثم بعد ذلك على يد الرومان ثم أعيد بناؤه بسواعد
المؤمنين على نفس الموقع على شكل مبنى دائري أقيم في عمل رائع بديع.

(١) هي مريم تضرع ابنة يحيى

وفى هذا المكان أيضاً رفعت الصخرة التى لازالت فى المعبد ثم حطمتها الملاك الذى ظهر لداود، وهو نفس الملاك الذى ذبح الآلف من الإسرائيليين بسبب الآثام والخطايا التى ارتكبها العديد من اليهود بأمر داود. ولنفس السبب، وفى نفس اليوم اعتبر المسلمون أن معبد الرب هو الصخرة 'ربطوا بين معبد الرب والصخرة'.

وبسبب هذا التججيل التام لها، فإن أحداً منهم لم يستطيع أن يدنسها بأية قاذورات مثلما يفعلون فى الأماكن المقدسة الأخرى، ولكن منذ عهد سليمان وحتى الآن فإن الناس تأتى من كل فج عريق إلى هذا المكان المبجل، وعندما امتلكوا المدينة المقدسة فإتهم أقاموا تمثال محمد فى المعبد، ويمنعون المسيحيين من دخوله، ويعتقد البعض منهم أن تابوت الرب قد اختفى فى الصخرة، حتى ذلك اليوم، ويرى ملك إسرائيل يوشع "Josiah" أن أطلال المدينة قريبة الشبه منها، وأنها وضعت فى منطقة قمس الأقداس داخل المعبد ثم اختفت، غير أننا نقرأ فى الكتاب الثانى للمكابيين أن الأسر البابلى قد انتهت تقريباً، ولقد خرج النبی جرمش "Jermith" إلى جبل موسى وصعد عليه، حيث أقام الخيمة "التي اتخذها اليهود هيكل سليمان" والتابوت ومذبح البخور، ووقف عند باب الكهف وقال: 'من هذا المكان الذى لا يمكن معرفة الوقت الذى سوف يجمع فيه الله شعبه مرة ثانية ويستقبلهم فى رحمة من عنده، سوف يوضح لهم هذه الأشياء وسوف تظهر عظمة وجلال الرب فى هذا المكان المقدس' وعندما أتمه سليمان 'أى بناءه' قدم الأضاحى إلى الرب وظهرت النار اتنى نزلت من السماء واحترقت واستنفذت الأضحيات وملأ الرب البيت، ولم يستطع الكهنة أن يدخلوا البيت 'بيت الرب'.

وكذلك كل أطلال إسرائيل شاهدوا كيف نزلت النار وأن عظمة الرب قد ظهرت فى البيت، وركع سليمان على ركبتيه، ومد يده إلى السماء وصلى من أجل الرب حتى أن كل إنسان يمكنه أن يدخل البيت ويطلب ما يشاء ويسجد الرب يصغى إليه، بل ويظهر إليه قائلاً: 'إتنى لسمعت أيتها المصلى، وأن الخشوع الذى تستعجله من أجلى،

دفعنى لأن أظهر هذا البيت من الخطيئة والذنس، وقد استعجلت بناءه، وستكون عيونى مفتوحة وأذنى صاغية إليك أيها المصلى فى بيتى الذى اخترته وطهرته لنفسى. كما أننا نقرأ فى الكتاب الثانى للمكابيين أنه: "عندما أرسل ملك أنطاكية هيرولد حصاناً يمتطيه وجل رهيب المنظر، والحصان مزين بسرّج وميم جداً وأسرع الحصان بطريقة مذهلة، ثم ظهر هيرولد وهو يهاجم الحصان الذى ضربه بحوافر قدميه، وفجأة ظهر أمامهما رجلان شديداً القوة يبدوا عليهما مظاهر الجمال وملابسهما وسيمة وأنزلاء ضربات موجعة ومؤلمة بشكل متصل، كما قيل أن القديسة مريم للعرءاء كانت هناك قبل أن تخطب ليوسف للتجار وأن عدداً من العذارى كانوا فى خدمتها وفى إعداد الأواني وضل الأردية الكهنوتية للأساقفة، وكان يقرأ فى الرسائل المقدسة وكذا الكتب المقدسة فى تذلل وتوضع بهدف الصوم والتهجد والصلاة والحكمة. ووفقى ذلك فإن والدى أية عرءاء عندما يتم إحضارها إلى المعبد ويقدمها إلى الرب، فإنه كان يحتّم عليها - أى الطفلة - أن تتخطى جميع الاختبارات أمام الرجال دونما أية تردد أو مشاكل مما كانت تثير دهشة الحاضرين، باعتبارها تابعة من طفلة صغيرة.

كما شرف هذا المكان أيضاً بحضور زكريا المقدس وهو يقدم البخور إلى الرب، عندما ظهر له الملاك وأخبره أن صلّاته قد سمعها الرب، ولتجعل كل الكهنة يبتهلون إلى الله وقت البخور، وكذلك من أجل موسى وحرية شعبه. وأضاف أن زوجته عاقر، وأنه سوف يرزق بالذبيح - اسماعيل - كابن. كما أن هذا المكان شرف بحضور المسيح الذى أظهره أبواه مع حمامة مرفوعة بين يدي سمعان 'Simeon' وقد تكلم بفضل أرملة المقدسة آنا 'Anna' إليهم من أجل حرّيتهم وخلصهم فى بيت المقدس، وهنا وعندما بلغ من العمر إحدى عشر عاماً كان نموذجاً رائعاً فى قراءة الكتب المقدسة، وكان يجلس بين علماء اللاهوت يسمعون ويستفسرون منهم، وكان

الجميع يستمع إليه وهم فى دهشة لعلمه الواسع وإجاباته العظيمة، وعندما كان يصعد المعبد ليصلى، كان يخرج أولئك الذين اشتروا وباعوا، وأسقطوا الموائد من الحساب، وكانوا يسمعون وهم فى مجلسهم النص الأصلي، عندما يقول: "إن بيتى يسمى أيضاً بيت الصلاة، ويظل الإنسان فى صلته حتى يسمو إلى برج المعبد حتى يغويه الشيطان فيلقى بنفسه، وسيظل طوال اليوم معلماً فى المعبد حتى إذا ما جاء المساء عاد إلى البقعة المقدسة، ثم يعود عند بزوغ الشمس، وفى حالة موته فإن المعبد يتصدع ويهوى حتى يفتح الطريق أمام قدس الآداس، بينما كان مزار جيمس الرسول قد هوى بسبب عاصفة شديدة".

هناك أيضاً فى بيت المقدس معبد فسيح وممتد حتى أن رهبان هذا المعبد أطلق عليهم رهبان المعبد المقاتلين "Temblars" ويسمى هذا أيضاً باسم معبد سليمان، وما يميزه عن المعبد السابق، هو أنه يعرف بمعبد الرب، وتقع جبال أولفت "Oliver" - أى قلعة بيتاني - ومرتفعات ثاتنسى ومرتفعات الأنوار الثلاثة والنل المقدس على بعد ميل واحد من بيت المقدس تقريباً. وفى مجراها المنحدر هناك البعض يعرف باسم "Bthphage" وقد فسر على أنه قم البيت، ووادى الكهنة ووادى بيتان، ومرثى "Martha" ومارى Mary ولوزاريوس "Lazarus" التى مسحت أقدام المسيح بالزيت ونظفتها بشعرها. وبينما كانت مرثى مشغولة بخدمة كرسى قدم الرب، كانت متلهفة إلى سماع كلماته التى يتفوه بها. وفى هذا الجبل رفع المسيح لزاربيوس. وتصف للوثيقة، أنه غالباً ما كان ينزل الرب كضيف ليعظ ويقوم بأعمال المعجزات.

كانت هذه فى الغالب، هى الأماكن الأكثر قداسة إلى جانب الجبل المبجل الذى كان يجلس فوقه الرب وهو فى مواجهة المعبد، حيث كان يسأله حواريوه عن العلاقات الإنسانية وعلامات مجيئه كقاضى وكذا عن نهاية العالم.

وفى الغالب كان المسيح وحواريوه يظلون فوق الجبل طوال النهار حتى إذا ما جن عليهم الليل نزلوا إلى الصلاة. ومن هذا الجبل أيضاً، كان المسيح يتلقى تحية أبناء اليهود الذين قابلوه وهو يحمل ثمار النخيل، ومن هنا كان المسيح يتقدم بالشعائر الدينية، ويعلو ظهر حماره وينشد تراتيم الحمد والثناء لله. كما أنه من هذا المكان وفى حضور حوارييه صعد المسيح إلى السماء، إلى أمجاد الرب.

وإلى جانب هذه الأماكن المقدسة، هناك أماكن أخرى مقدسة داخل وخارج المدينة، وعلى سبيل المثال: وادى يهوا ويقع بين جبل صهيون وجبل بيثان، ويمكننا أن نقول أنه يقع خلف كردون قرية صغيرة تسمى جثمان 'Gethsemane' وتقع بالقرب منها الحديقة التى أمسك اليهود فيها المسيح، وفى هذا الوادى جلست الأم المبعلة مريم للعذراء. وهناك اعتقاد بأن المسيح سوف يعود من هذا المكان ليحكم العالم، وفى هذا المكان أيضاً قاد رجل ضرير أناس ضعاف يقطعون من القمم بعد أن لحتجز الملاك مياه الوادى، وهناك كذلك كنيسة القديس سان مستنتو 'St. Stephen' وهو أول شهيد فى تلك البقعة حيث مات من جراء الحجارة التى ألقيها اليهود عليه. يوجد أيضاً وادى إيمونوس 'Emmous' وهو يقع على بعد ٦٠ ميلاً من بيت المقدس. وبه مدينة 'Modim' وهى مدينة مكابية وكذلك مدينة جبيون بالقرب من المدينة السابقة، وفى مدينة إيمونوس كسر المسيح 'قسم' الخبز، وقدمه شكراً لله، وقد عرفوا بـ 'مكسروا الخبز'.

هناك أيضاً العديد من الأماكن المقدسة التى شرفت بنزول المسيح فيها حضوراً جسدياً، وهى المناطق التى وطأها المسيح بقدمه، وهى بذلك تكون مناطق مقدسة ومكرسة لخدمة الرب وتعتبر ذات أثر نفيس. لا عجب إذاً أن تكون هذه هى أرض الميعاد، الأرض التى تفيض لبناً وعسلاً وحلوى، فوق سائر الأماكن المقدسة الأخرى، التى تفلوح رائحتها بعبير العطر، فكانت منطقة جذب لرجال الدين الأكليريوس والعلمانيين من الفرسان والمتفقهين فى القانون المدنى، الذين تركوا آباءهم

وأوطانهم وأقاموا هناك. وفقاً لقانون الحكم الإقطاعي. وكانت بعض مدن بيت المقدس قد صارت موطناً للفرسان الاسبتارية وفرسان القديس يوحنا، وأخرى موطناً لجماعة من الفرسان الداوية "فرسان المعبد" بالإضافة إلى اسبتالية القديسة ماري من سان جرمان.

وكانت اسبتارية القديس يوحنا قد بدأت هناك منذ كان الإغريق تحت الهيمنة الإسلامية، فتأثروا كثيراً بعاداتهم وثقافتهم.

لقد تمكن المسلمون من السيطرة على كل أرض الميعاد بسبب الخطايا والآثام التي ارتكبتها، ومع هذا فإن بعض المسيحيين الوطنيين رفضوا أن يغادروا وطنهم، مما عرض هؤلاء إلى حياة بائسة، حيث اضطهدهم المسلمون وعاملوهم كعبيد، والآن، فقد أصبحت السيادة لأمر مصر على الجهات الممتدة من اللاذقية في سوريا وحتى الإسكندرية، أكثر المدن المصرية شهرة وبعداً بينما خول الجزء الربع من مدينة بيت المقدس تجاه كنيسة القبر المقدس إلى بطرق السريان، ولتقيم السريان هناك مقابل دفع جزية سنوية تقررت عليهم، بينما أقام المسلمون في الجهة الأخرى.

والآن، وقد اعتاد المسيحيون القادمون من الغرب إلى أرض الميعاد، بعضهم من أجل التجارة، والبعض الآخر من أجل الحج معرضين أنفسهم لمخاطر كبيرة مع دفع جزية سنوية إلى المسلمين. وكان من بينهم الأمالفيين النورمان، من مدينة أمالفا، التي لا تبعد عن مدينة ساليرنو النابلية أكثر من سبعة أميال فقط، وكانوا قد حضروا ومعهم بضائع أجنبية، وأقاموا علاقة صداقة مع أمير مصر، ودفعوا الجزية المقررة عليهم، وأصبح لهم أسبقية التعامل مع أمير مصر بعد ما قدموا له الهدايا، فنالوا عطفه وتأييده، وقد استطاع هؤلاء أن يقتنعوا أمير مصر أن يسمح لهم ببناء كنيسة لاثينية إجلالاً للقديسة ماري بالقرب من كنيسة القبر المقدس، وتادراً ما كانت تلتقي منها الحجارة لأن السريان اتبعوا النظم والقواعد الخاصة بالكنيسة اليونانية التي تهتم بتقديم خدماتها للرب في كل مكان.

وعلى هذا، فإن هذه الكنيسة حتى اليوم تعرف بكنيسة القديسة ماري
اللاتينية. وبناءً للطقوس اللاتينية أمام هؤلاء أيضاً ديراً للرهبان لتتصل أعمالهم
بالسماوات وكانت الأديرة في ذلك الزمان لاتحاط بسور نظراً لاعتقادهم آنذاك أن الأديرة
لا تحوى نساءً من الحجاج. وإلى جانب هذا الدير أسس هؤلاء ديراً آخر للقديسة
ماري ماجدولين وأختها المتدينة، التي وهبت نفسها لخدمة النساء من الحجاج
اللاتين، حيث كانت تقوم باستضافتهم وتسهر على راحتهم.

وعلى هذا، فإنه فيما بعد لتجهت حشود غفيرة من الحجاج الفقراء والمرضى
المجذومين، وقام على خدمتهم رهبان الأديرة السالفة الذكر، حيث أن الهدف من
هذين الديرين هو خدمة المرضى والفقراء من الناس كما خصصت كنيسة 'مصلی'
صغيرة للقديس يوحنا بهدف التصديق والإحسان على الفقراء.

هذا القديس الذي أحبه الله وأثنى عليه، كان موطنه الأصلي قبرص، وهو
الذي قام بتعيين بطرقي الأسكندرية، ومنذ ذلك الوقت، اشتهر القديس يوحنا بعمل
الإحسان والتصدق، حتى أنه أطلق عليه لقب "Charitable" أي المتصدق أو
المحسن. والآن، فإنه منذ الوهلة الأولى، يمكن القول، أن النزلاء السالفي الذكر، أو
بمعنى آخر مرضى القديس يوحنا لم يكن لديهم دخل "ربح" أو أي ممتلكات أخرى، وقد
اعتمد وليس دير القديسة ماري صاحب المقام الرفيع، أن يزود المرضى والمحتاجين
بلمضات وبقايا الموائد وذلك في الديرين "دير القديس يوحنا، ودير القديسة ماري" وهذا
بالإضافة إلى ما يتصدق به المخلصون.

وبفضل الله ورحمة منه، وبفضل جهد الدوق جود فرى مع بعض المسيحيين
المخلصين، تم تحرير المدينة المقدسة وتخليصها من أيدي المسلمين، وأعادوها إلى
أصحاب الديانة المسيحية. وكذلك جيرارد صاحب الذكرى العطرة والمتصدق المخلص،
قل مدة طويلة رئيس الكهنة، وداعياً إلى تكريس حياتهم لخدمة للفقراء من الاستبارة
السالف ذكرهم، وحرص هؤلاء على أن يحملوا نذرهم الخاصة بنظم أوبرتهم وحاكوا
التصليب على ملابسهم فوق صدورهم معنيين طاعة كل الأوامر وعدم مخالفة لتنظم.
وكانت امرأة تدعى أجنائيس، رومانية الأصل قد التحقت بدير القديسة ماري.

إن هؤلاء السالف ذكرهم قد نذروا أنفسهم لخدمة الفقراء والمرضى والمحتاجين، وقاموا بدفن الموتى منهم فى حقل يعرف بحقل الدماء "Aceldama" وهو حقل الفخار الذى اشتراه اليهود لدفن الغرباء مقابل ثلاثين قطعة فضة ... وكان هذا قد بناه يهوذا^(١) جنوب المعبد، وطالما كان هؤلاء فقراء، فوجب عليهم الطاعة واحترام رئيس الدير "دير القديسة ماري" الذى كان قد أسسه جماعة الاسبتارية، وظل مدة طويلة يقوم بإطعامهم من موائده، لقد اتسم هؤلاء بالتقوى والورع واحترام للقديس يوحنا المتصدق، أول نصير لهم، والقائم على مساعدتهم وحمايتهم، وكان هؤلاء أيضاً يتخذون من القديس يوحنا وسيطاً وسيداً فأطاعوا سيد بطريركية بيت المقدس، ودون شك، كان هؤلاء يقومون بدفع ضريبة العشر للكنيسة من بضائعهم ودخلهم، طبقاً لقواعد وقوانين الكنيسة والعهدين القديم والجديد أيضاً.

أما فى الوقت الحالى، فإنهم يمينوا شهواتهم بالصوم والسهرة والإفراط فى أعمال البر والإحسان، يعيشون حياة بسيطة، ويقسبون على أنفسهم. وإن كان هناك نوع منهم يمد يد العون للفقراء والمرضى الذين اعتادوا فى حياتهم على هذا التصديق، فعرفوا باسم الخدام. لقد اعتادوا على أن ينفقوا ببذخ الخبز من القمح للمرضى، بينما يحتفظون لأنفسهم بالنذر القليل خاصة النخالة. ولو أن أحداً منهم افترف نقيصة أو عيباً فإنهم لم يعدموا الوسائل للتخلي عنه، ومعاقبته وذلك بتوجيه النصائح وحته على ضرورة التخلي وترك وإهمال الخطايا والآثام،

(١) المقصود بهوذا هنا، هو يهوذا الأسخريوطى الذى كان قد خان المسيح

وبناءً على ذلك، فإن الذى يرتكب ذنب أو إثم، عليهم أن يقوموا بتمزيق ملابسه وطرده خارج الدير تماماً باعتباره عضواً فاسداً، بينما آخر يوثق بسلاسل ويلقى به فى السجن ويعاقب ثالث بحرمانه فى وجبات الطعام من الكثير من جهة ويتناول طعامه وهو يقترش الأرض بل يتناول طعامه من فوق الأقدام وذلك للتكفير عن سيئاته. وهذا التصرف كان طبيعياً لأنه من وجهة نظرهم يرضى الرب.

وعلى هذا، فإن فى مثل هذه الحالات كانت تحتم على المذنب مغادرة الدير إلى أى جهة أخرى من العالم، وبذلك تكون قدسيته وما اكتسبه من تجميل يكون قد انتهى.

وفى ذلك الوقت، وبعد استرداد بيت المقدس وخلص شعب المسيح، فى كل مكان وعن الشعوب المختلفة، نجد أن حشوداً قد تجمعت واتجهت إلى بيت المقدس بهدف زيارة قبر الرب المقدس، وقد استطاعت هذه الحشود أن يصيروا من الأثرياء بسبب ما جمعوه من صدقات المحسنين وهدايا الأمراء والمخلصين، حتى أنهم استطاعوا أن يجمعوا من الضرائب الكثير من كل مكان فى دول الغرب، وأصبحوا ملاكاً للمدن والقرى لدرجة أن هؤلاء قد استبدوا بأصحاب البلاد الأصليين، الذين اعتبروا أنفسهم سادة الأرض.

وبعد فترة قصيرة، صار العالم خليط بين غنى وفقير، وأقوياء من مختلف العمر، ما بين متوسطى العمر وكبار السن والأطفال قد توجهوا إلى بيت المقدس لزيارة الأرض المقدسة.

غير أن هؤلاء قد تعرضوا للصوص وقُطاع الطرق، الذين اعتادوا الاختباء في كمانن دون اكتراث بالحجاج وسلبوا ونهبوا بعضهم. ومن هنا يأتي دور وأهمية الفرسان الأتقياء الذين أحبهم الرب بسبب حماسهم الشديدة حيث أعلنوا للعالم، أن خدام وعبيد المسيح، قدموا أنفسهم بالنذر الرهبانية المقدسة وألزموا أنفسهم أن يحموا ويدافعوا عن الحجاج من اللصوص من حيث حراسة الطرقات العامة، والمحافظة على النُظم للرهبانية الممتنة في الفقر والطهارة والطاعة، باعتبارهم جنود ملك الملوك. كان رؤساء الأديرة تسعة أفراد اتسموا بالاحترام، حتى أحبهم الله، من أمثال هؤلاء، هوفدي بينز وجوفري دي اسير، حيث تعهدوا بحماية هذا المشروع المقدس، وخدموا مدة ٩ سنوات، وكانت أروبتهم وعادتهم علمانية غير أن إيمانهم أضفى عليهم الاحترام والتبجيل، ولكن الملك وفرساته لشلقوا على النبلاء السابقين الذين تخلوا كلية عن خدمة الرب، واجتمعوا مع سيد البطرياركية الذي أيدهم في أساليبهم الخاصة. ومنحهم الهبات والهدايا وأمنهم على أرواحهم. ومنذ ذلك الحين لم تعد لأي كنيسة حق في ممتلكاتهم أي بقاء ثابت.

إن الملك الصليبي كان قد سمح لهؤلاء بالمأوى في جانب من قصره، فترة من الزمن، وكان قصر الملك يقع بالقرب من معبد الرب. وكان رئيس الدير والرهبان الخاصة بمعبد الرب قد منحوا هؤلاء وقت كاف بالقرب من القصر الملكي كيما يقومون بمهامهم، وكانت إقامتهم على هذا النحو بالقرب من معبد الرب، قد منحهم اسم الأخوان "*Brethren*" فرسان المعبد.

وهكذا فإتاه بعد مرور تسع سنوات عليهم، كانوا قد عاشوا حياة الرهبان للفقيرة من أجل النذر المقدس. وكانوا متآلفين في حياتهم الجماعية داخل الدير. وفي عام ١٢٨١م صدر أمر بالعلو العام من سيدنا البابا هونوريوس والتسيد استيفن

بطرق بيت المقدس. ويتمثل فى إصدار قانون، بمنح فرسان المعبد ملابس خاصة ببيضاء دون أن يكون عليها صليب. وقد تم الإعتراف بهذا القانون فى مجمع عام عُقد فى مدينة تروى بإقليم شامباني بفرنسا تحت رئاسة السيد اسقف إيبا، وممثل الكرسي المقدس، وبحضور رؤساء أساقفة ريمس "Rheims" والسين ورئيس جماعة المسترشان وأساقفة كنائس أخرى.

وبعد ذلك وفى عهد البابا يوجنيوس الثالث (١١٤٥-١١٥٢م) قام هؤلاء بحياكة صلبان حمراء على أرديتهم من الخارج. بينما كانوا يرتدون ملابسهم البيضاء التى تشير إلى الطهارة، فإن ملابسهم ذات الصلبان الحمراء كانت ترمز وتشير إلى الاستشهاد، وكان ذلك بناءً على القانون الذى فيه يضحون بدمالهم من أجل الدفاع عن الأرض المقدسة، وتدمير أعداء صليب المسيح، وطردهم خارج حدود المملكة الصليبية "المسيحية". وكانوا يدخلون المعركة تنفيذاً لأوامر قاداتهم، ليس بدافع التعطش إلى سفك الدماء، ولكن بحكمة وحذر شديدين، بادئين المعركة بالهجوم وفى النهاية بالتراجع والانسحاب. وأن تراجعهم وانسحابهم لا يعنى الهروب من المعركة دون تنفيذ أوامر قوادهم، ولكن انسحابهم كان يهدف إلى التراجع المصحوب بالحكمة والشجاعة كجنود المسيح.

أما العدو الثانى "المكابيين" فإتاهم لم يتجرعوا رغم قوتهم العددية على مهاجمتنا، لأن قواتنا كانت تستمد قوتها من الرب، وثقتهم فى صليب يسوع المسيح. وكانوا يعرضون ويقدمون أنفسهم لداء من أجل المسيح، لأن الرب قاتل معهم وقاتل من أجلهم أيضاً. وهكذا فإتاهم أصبحوا مصدر إزعاج كبير لأعداء عقيدة المسيح، حتى أن الواحد من قواتنا كان فى إمكانه مطاردة ألفاً أو ألفين "من الأعداء" والألفين يطاردون عشرة آلاف منهم أيضاً. وعندما يستعدون ويستعدون للمعركة، لا يسألون عن كم عدد الأعداء ولا يسألون عن مكائهم،

كانوا كالأسود في المعركة، وكانوا مسيحيين بكل ما في الكلمة من معنى، كما المصباح في البيت، كانوا في المعركة جنوداً مفترسة، وفي الكنيسة زهاداً ورهباناً، كانوا أشد قسوة ووحشية على أعداء المسيح بينما كانوا عطوفين كرماء تجاه المسيحيين، كانوا يحملون رايات سوداء وبيضاء، أطلقوا عليها اسم *«Bannant»* وهو اسم كان موجوداً قبلهم، وهو يدل على نقالهم وودهم تجاه أصدقائهم، بينما العكس، كانوا مقلقين ومخيفين لأعدائهم. وهكذا، فإن الحماسة الدينية لن تستمر دونما انضباط كامل. وما ذكرناه من أعمال الحكمة وذكر للرجال الأتقياء الذين صاتوا أنفسهم، وتركوا حكومات ذات إدرة جيدة، والأسلاف الذين كانوا يلصقون بين الإهمال وترك العقاب لإخوانهم المقصرين كانوا حريصين دائماً على تعديل القوانين لمواجهة الجرائم البشعة والحالات الشريرة، مثل أولئك الذين تغلوا عن حمل صلباتهم الحمراء، فكانوا يطردون إلى الأبد، خشية أن يلوث «يوتثر» هؤلاء الأناص الخلعاء الحقرء على بقية الجماعة، بينما عقوبة أخرى تتمثل في حرمان البعض من تناول وجبات كاملة ولقوى الأرض دون وجود مائدة، حتى يدركوا أنهم قد كفروا بذلك عن سيئاتهم. وبهذا الطرد العام والحرمان يجعل أجسادهم تتحول إلى للزرقة فتشحب أجسادهم، مما يجعل البقية منهم يعيشون في خوف ووجل، وتشديداً في العقوبة فإنهم كانوا يساقوا إلى الكلاب لتأكل معهم، وبعضهم كان يُكبل بالحديد ويُزج به في السجن لفترة معينة أو ربما طوال حياتهم.

وعلى هذا فإن هؤلاء، الذين تغزل بهم مثل هذه العقوبات، كانوا يتعرضون لبعض الأمراض، والتي نتيج لهم إطلاق سراحهم من السجن. وكانت هناك وسائل أخرى للعقاب، تتمثل في إجبار المذنب على أن يجتاز الطرق التي يجتازها الراهب من أجل تهذيب لسانه وتدريبه على المحادثة والكلام. لقد فرض

عليهم طاعة وتبجيل السيد بطرق بيت المقدس، حيث يدينون له بتأسيسه
جماعاتهم. وأما ما يتعلق ببعض الأمور الدنيوية مثل دفع ضريبة الغشر لهم،
فهم كانوا يتبعون القاعدة التي تقول "دع ما يقصر ليقصر، وما لله لله". وكان هذا
القانون أو تلك القاعدة قد تقبلها الجميع عن قناعة تامة. وهكذا فإن شهرتهم
العظيمة وسمعتهم الطيبة ذاعت في كل أنحاء العالم مثل رائحة البخور التي
تبعث من القدور، ورائحة ومذاق الحلوى مما جعل عبيرهم العطري ملأ كل
ركن من أركان الكنيسة المقدسة، وذكرهم الحلوة كانت كالعسل في أفواه كل
المخلصين، وهكذا فإن شجاعتهم، ومعاركهم وانتصاراتهم العظيمة على سائر
أعداء المسيح قد اطلعت عليها كل الكنائس المقدسة. فقد ضرب الفرسان من
الفقراء والنبلاء والدوقات معاً أروع الأمثلة في كسر قيودهم الدنيوية، ومن أجل
خدمة المسيح فاحتشدوا في جماعات معلنين عن رغبتهم في الدخول إلى
جماعاتهم الرهبانية، وقد أعلنوا عن تنازلهم عن خيالهم وغرورهم وزهو الدنيا
والاهتمام بالجسد من أجل الخضوع إلى الله، فهو بذلك إلهام من السماء التي
تلقي بالتقوى والهداية من أجل المسيح وخدمة الرهبان المتواضعين.

وعلى هذا، فإن عدد هؤلاء قد ازداد بشكل ملحوظ في خلال فترة وجيزة،
حتى صار عددهم أكثر من ثلاثمائة فارس يرتدون جميعاً أردية بيضاء،
وهذا بخلاف الفرسان الذين تقف خدماتهم عند إعداد الطعام إذ كان عدد هؤلاء
لاحصر لهم.

لقد زاد عدد هؤلاء إلى الحد الذي فاق الخيال، وامتلكوا مساحات
شاسعة في كل ناحية، وراء البحر "بحر الجليل" فقد صار في حوزتهم القرى
والمدن الكبيرة والصغيرة، بعد أن اتخذوا طريق الإخوان اسپتالية القديس يوحنا،

وهم الذين جاءوا فى شكل جماعات بهدف الدفاع عن الأرض المقدسة، وكذا الدفاع عن سيدهم المهيّب، صاحب الكرسي للرئيسى فى بيت المقدس. كما أنهم كانوا أمناء على خزانة أديرة جماعة القديس يوحنا الاسبتالية، حيث كانوا يعرفون باسم "المعلمين" *"Preceptors"* وكان هؤلاء كبيرى الشبه بإخوانهم للفرسان الداوية "فرسان المعبد" من حيث استخدام القوة "أى أن القوة البدنية كانت شرط دخولهم الدير" وقد علق *Isaiah* على ذلك بقوله : "سوف نجعل هذا الدير فى سعادة أبدية، سعادة أجيال متعاقبة - إن الذئب *wolf* والحمل *lamb* سوف يجتمعان معاً على مائدة واحدة، وأن الأسد سوف يأكل القش، مثل الثور الصغير، وأن الذئب سوف يسكن مع الحمل، والتمر سوف يرقد مع الماعز، إن البط والأسد والأغنام سوف يعيشون جنباً إلى جنب "بعضهم مع بعض".

وبهذا الثلاث، الذى لم يسهل كسره بفضل الله، فإن الإنسان سيكون فى حاجة إلى زيارة الأرض المقدسة، ليعلم أن هناك اثنان آخران، إن رهبان هذه الأديرة ينفذون بدقة قواعد ونظم الفرسان الداوية فى الحرب والمسلم، وكذا إخوان القديس يوحنا من الاسبتالية، ومع هذا فإنهم يخدمون المرضى والغريباء وأى إنسان آخر يعيش داخل حدود منطقتهم، والتى تعرف باسمبتالية للقديسة ماري من التيتون فى بيت المقدس، حيث يقومون بتقديم خدمات جليلة فى طاعة وتواضع كاملين، كما أنهم إلى جانب ذلك، كانوا يقومون بدفع كافة الضرائب "ضريبة العشر" على كل ممتلكاتهم والتى يطالبهم بها القانون بناءً على أوامر الرب المقدسة. وكانوا حريصين على عدم الوقوع فى الخطأ، خاصة ضد أساقفة الكنائس.

لقد بدأت هذه الجماعات بداية ضعيفة، ثم أخذت تنمو وتزداد حتى تحولت إلى نهر عظيم. إن أتباع وأنصار القديسة ماري قاموا بخدمات جليلة فى طاعة وتواضع حتى حققوا نجاحات كبيرة فى الأمور الدينية والروحية والأمور الدنيوية أيضاً. وبعد استعادة الأماكن المقدسة، اكتظمت المدينة المقدسة بالسكان المسيحيين والعديد من اللّيتون والألمان، الذين اتجهوا إلى بيت المقدس كحجاج ولم يستطيعوا الحديث بلغة أهل المدينة، وقد كانت هذه الأديرة، رحمة للّيتون والمسافرين والفقراء، كما أن دير القديسة ماري كان نزلاً للفقراء والمرضى، كما أقام بجوار الدير كنيسة للمصلين وبالقرب من الاستبالية السالف ذكرهم، وخصصت هذه الكنيسة لوالدة الرب - مريم المبجلة - ثم بعد فترة من الزمن تحولت هذه الكنيسة بما لها من ممتلكات وقلناً للفقراء والمحتاجين. وكان صاحب هذا الدير من الورع بحيث دفع الكثير من المتصدقين من الألمان إلى نذر ممتلكاتهم وحتى أريدتهم إلى الدير من أجل خدمة الرب، وفضلوا أن يعيشوا ويحيوا حياة الفقر على أن يعيشوا فى خيام أو قصور مليئة بأعمال الجرائم والآثام والشرور، حيث إن فقرهم على هذا النحو سيجعلهم مقبولين لدى الرب، فازدادوا إحساناً على إحسانهم من أجل خدمة الرب وجنوده حتى يرتقوا بأجسادهم إلى مرتبة روحانية وذلك بالدفاع عن الأرض المقدسة ضد أعداء المسيح.

وعلى هذا فقد اختاروا دستور وقواعد الفرسان الداوية، كيما يتمكنوا من أداء واجبهم فى تأدية الطاعة وحسن الضيافة التى ترضى الرب، مثل أشخاص "الأسفار المقدسة"، التى هى فى نفس الوقت حب الإنسان والحيوان. إنهم يبذلون قصارى جهدهم ويوهبون أنفسهم فى جميع أوجه البر والإحسان التى

ترضى الرب والإنسان معاً. تميزاً لهم فقد كانوا يرتدون ملابس رسم عليها صلبان سوداء، خيطت على عباةاتهم البيضاء، وعلى هذا فقد كانت سماتهم هي الفقر الشديد والحماسة الدينية. إننى أصلى من أجل أن ينقذكم الرب من الثراء الذى يجعل الإنسان مغروراً ونزاع إلى الخصام فى سلوك حيوانى، ما الذى ينفع الإنسان لو أنه كسب كل الدنيا وخسر الآخرة "روحه ونفسه"؟

وعلاوة على ذلك، فإن الأرض المقدسة قد ازدادت كالحديقة المزدهرة بما فيها من رهبان وأبناس متدينين ووقورين ومتواضعين كرسوا حياتهم لخدمة الرب والأرامل. وهكذا فإن راحة بيت المقدس كانت تفوح كالزنايق البيضاء فى الورد والبنفسج. بالإضافة إلى ذلك، فإن السيد صاحب التاج المبارك هذا العام قام بإصلاح العديد من الأعمال، مثل تحويله أعمال العنف ومناطق الأناعى إلى ساحة خضراء تزدهر بقصب السكر. ذلك أن الرب كان قد هجر المكان فترة زمنية ثم عاد وجمع أطفاله بحب عظيم وود حتى امتلأ واكتظ المكان بالناس من كل جنس ومن كل مكان، ومن هنا يمكن القول أن النبوءة قد تحققت وتمت. أيها الأبناء سوف تقدمون من أماكن بعيدة، وأيتها الفتيات سوف لخصنكنم جانبكم، لقد شاهدتم الأرض وهى ممتلئة حيث سعدت وفرح قلبها بما تجمعتم واحتشدت إليها جموع كبيرة من البحر، خاصة الجنويون والبنادقة والبيازنة.

لقد قُذمت أمتٌ غربية خاصة من المحاربين الفرنسيين والألمان، وكانت القوة الفرنسية هى لكبر قوة بحرية بينما كان الألمان أكبر قوة برية، وبذلك فإن الفرنسيين كانوا أكثر قدرة وقوة فى مهام القتال البحرى بما تمرسوا عليه، بينما كانت القوات الألمانية أكبر قوة برية بما لها من مهارة فى فنون الحرب والقتال. خاصة أعمال الفروسية.

وعلى هذا يمكن القول أن قوة الفرنسيين تتمثل فى سفنهم، بينما قوة الألمان تتمثل فى خيولهم. أما القوات الإيطالية فقد كانوا أكثر تدبراً وتعللاً غير مسرفين فى الطعام والشراب، كانوا أكثر حرصاً على بلادهم وأيضاً كانوا أكثر طمعاً وجشعاً، وكانت نظرتهم نظرة مستقبلية يرفضون الخدمة تحت أية قيادة أجنبية، يدافعون عن حريتهم، فهم أغنى من أى شيء. إن ما يخضعون له من قوانين وقواعد كانت تصدر من رئيس يختارونه بأنفسهم. وعادة ما تكون هذه القوانين والقواعد صارمة بهدف الحفاظ عليهم. إنهم كانوا يتطلعون بنهم شديد إلى الأرض المقدسة لا بهدف القتال بل من أجل وهدف استغلالهم بالتجارة. أو بمعنى آخر كان عليهم عبء نقل البضاعة والحجاج والمؤمن - وهذا هو دورهم فى الحروب الصليبية - وعلى الرغم من هذا إلا أنهم عاشوا فى الشرق أكثر من أى أمم أخرى.

وعلى العكس من ذلك، كان الألمان والفرنسيين والبريتون والإنجليز وشعوب أخرى من وراء الألب، كانوا أكثر تهوراً وأقل حذراً وحيطة، وأكثر إسرافاً فى الطعام والشراب، والإنفاق، بينما لم يكونوا على حذر فى كلامهم، بل أكثر تهوراً وأقل تدبراً فى خططهم. إنهم كانوا أكثر تصديقاً فى أعمال النذر والسر والإحسان بما يتعلق فى حياتهم داخل الكنيسة. وكان للبريتون بصفة خاصة أكثر هذه للشعوب شجاعة فى القتال، من أجل الأرض المقدسة وكانوا مصدر رعب للمسلمين، كما كان يطلق عليهم لقب بولاني بسبب إشباع رغباتهم وشهواتهم.

وكلمة بولاني، هو الاسم الذى أطلق على أولئك الذين ولدوا فى الأرض المقدسة بعد إطلاق سراحهم، إما لأنهم كانوا والدين جدد وحدثت زيجات بينهم وبين السريان فى الشرق، أو لأن معظم أمهاتهم كن من وطن أبوليا 'Apulian'.

منذ وصول شعبنا إلى الأرض المقدسة. وإن كانت الأقلية من نسايتهم قد ارتبطت
برجال من جيش الأمراء الغربيين الذين ظلوا في الأرض المقدسة بناءً على
رغبة كافة النساء اللواتي قدمن من مملكة أبوليا، إذ كانت أقرب منطقة من
الشرق من أي مكان آخر فتزوجوا منهم.

علاوة على ذلك، فإنه كما سبق ذكره، أن الأرض المقدسة كانت تحوي
مزيجاً من شعوب وأجناس مختلفة ذات العادات والتقاليد المتباينة بين شعب
وآخر، وما يقومون به من تقديم خدمات للرب، على اختلاف مذاهبهم وشعائهم،
ومن هؤلاء السريان والإغريق واليعاقبة والمارونيين والنساطرة والأرمن
والجورجيين، وغيرهم، وكان هؤلاء يمارسون أعمالهم في مجال الزراعة
والتجارة وفنون أخرى، تكون في النهاية ذات نفع كبير على الأرض المقدسة.
وكان هؤلاء يقومون بالعمل في مجال الزراعة في المنطقة الساحلية المشهورة
بalfواكه المختلفة.

وهكذا فإن الأرض المقدسة قد أفادت كثيراً من هذه الحشود البشرية من
جهة وما أنعمت به السماء على الأرض المقدسة من وفرة الأمطار بسبب دعوة
المسيح، من جهة ثانية؛ فعاش هؤلاء ينعمون بما تدره عليهم الأرض من نعم،
خاصة الفاكهة والغلال. لقد قام أحد الأنبياء بدعوة هؤلاء، وسمعه يقول:
احضروا ودعونا نصعد إلى جبل وبيت الرب يعقوب، فقد يوركت الأرض لأن
زيارة الرب لها جعلها غنية جداً. لقد حضر هؤلاء إلى الأرض المقدسة من قريب
ومن بعيد من شتى بقاع العالم من أجل تقديم البخور المقدس إلى الأرض
المقدسة، لنتقدم الشكر والثناء للرب، ولنمجد قبره لأن الوحي الإلهي به وقد
بلغ منتهاه.

إن بيت الرب سوف يقام فوق قمة الجبل، وسوف يرتفع فوق التلال، وسوف يتوافد إليه الشعوب من كل مكان وأن العديد من الناس قد آمنت كما جاء في التوراة *"Tobit"* بأن بيت المقدس سوف تتألق وتمجد من الآن فصاعداً، وأنها سوف تمثل نهاية للعالم، سوف يأتي إليها الشعوب من كل مكان ويهبون إليها الهدايا ويقدمون الشكر والثناء.

عندئذ يمكن رؤية الفارق بين حالك على عهد اليهود وحالك اليوم في العهد المسيحي، وما أكمله المسيح من أعمال النبوة.

إن ما قرأناه في *"الديوترنومي" "Deuteronomy"* أي سفر تشيية التشريع من أسفار التوراة سوف يطأ أرضك الأقدام في كل مكان من البراري ولبنان من النهر ونهر الفرات حتى أعالي البحر الذي سوف يمثل ساحلك. والآن وعندما يتفلس حق الرب عبير الحلوى حتى آخر الدنيا فإن الأنواع السامة للممبئة عدوة الإنسان ستكون غير قادرة على أن تتحمل استنشاق العبير مدة طويلة، وعندما تشاهد هذا التغيير العظيم الذي أوجدته اليد اليمنى الأكثر بعداً عن الشرق، فقد أحزن ذلك المكان الكنيسة المقدسة التى سوف تتسع وترتفع وتمتد فى السماء ويكره للكرة على إلساد دينهم ويعلو شأن المسيحية.

إن هذه للعلامات والمعجزات سوف تتجدد فى المشرق حتى عندما تتدلى النار من السماء إلى كنيسة القيامة، والتى سوف يلتقى فيها الناس كى توضح عظمة الرب ويمسحوا من أجل أعماله المجيدة. وسوف يبغض الكفرة، وسوف يسعد الرب، بالمخلصين وسوف تضاء الأنوار من أجل الضربير 'الاعمى' وسوف تلقى بالأعمال والأحقاد بعيداً وأن أصحاب الشرور سوف تسكب عليهم السموم القاتلة، فيقتلون، وبينما ينام الناس تنهمر الدموع فى حقل الرب.

ومن الملفت للنظر، أن أحداً من الحجاج الأوائل الذين عاشوا فقراء لازل موجوداً، حتى صار البيت فارغاً متفهماً، امتلأ بالعديد من العاطلين، وأولئك الذين لا يخشون الرب، الذين كانوا قد غمرتهم البضائع الدنيوية. وقد اتسم هؤلاء الرجال بالجحود والتفسخ، وفي النهاية أخطأوا أكثر من البداية. لقد فسدت أخلاقهم وزادت حماقاتهم، ونموا نمواً مفاجئاً بشكل ملفت للنظر، ثم ما لبثوا أن تحولوا من الثراء إلى الفقر والبؤس الشديدين.

وفي الوقت الذي زاد فيه عددهم، مالوا إلى ارتكاب الجرائم، حتى صارت بيوتات المومسات مكتظة بأولئك الذين كانوا في حالة نجس دائم بسبب ندرة المياه التي كانوا يفرغونها من إساء إلى إساء آخر بعد الانتهاء من ممارسة شهواتهم الجنسية، فكانوا بذلك أشبه بالحيوانات، كما هو الحال عند الخيول التي تشبع رغباتها، وكان كل واحد منهم يضاجع زوجة الآخر، وكانوا ينفسون في الشهوات حتى أنهم كانوا لا يرون الشمس وهي تشرق، لقد مالوا إلى الدنيا بفرورهم ومفالاتهم في الإزدراء، وظلوا هكذا حتى قاتل كل منهم الآخر، ووقعت الخلافات والخصومات وانتشرت الفتنة وزادت حالة العصيان والتمرد، حتى غاصوا في الكمل والخمول، وكانوا أصحاب نهم بشع مفرطين في تناول الخمر، ففسدت أخلاقهم بكل هذه الرذائل وانتشار الدنس وأعمال اللصوصية وسفك الدماء وزادت الحماقة والسذاجة وصاروا مشهورين بالخيانة وعدم الطاعة للوالدين أو القادة والتي لم تكن موجودة من قبل أي عقيدة، حتى أن الأيمانات الكاذبة والقتل والسرقة والقتراف الجريمة، خاصة جريمة الزنا قد شاعت بينهم.

وهكذا فإن هؤلاء الأشرار الذين دنسوا هذه الأماكن المقدسة، قد تحولوا إلى شياطين حيث انتشرت أعمالهم الشريرة فوق الأرض ، لقد بدأت كل الأعمال الطبية والإيمان الحقيقي في ظل هذا المناخ في طريقه إلى الزوال كما أن حماسهم الدينية هي الأخرى بدأت تتحول إلى فتور وتراخي وكسل، حتى أنه كان يخشى من أن الأجيال القادمة إذا ما شاهدت هذا، فإبائها لم يعد لديها إيمان بوجود عقيدة على سطح الأرض. ومن الصعب على أي إنسان أن يجد ما يتطلع إليه بسبب ما تعرضت له بيت المقدس من خلاف وخلق بين ما هو مدنس أو مذنب وبين ما هو تقي.

إن كل هذا سوف يتحول إلى أطلال وقوضى من أخمص القدم حتى منبت الشعر "الرأس".

وبينما كان الجميع يدفع للجزية في شكل صدقات على أيام الرب يسوع المسيح، توزع على مختلف أساقفة الكنائس ومجالس الرهبان، يقوم رعاية الكنيسة بإطعام أنفسهم حيث كانوا يعيشون على أصواف الأغنام وللباتنا واهتموا بأجسادهم ولم يفتتوا إلى أرواحهم، فكان ذلك أكبر مثل على الخيانة للعظمى بسبب تدنياتهم. لقد صاروا كالثيران في أجسادهم التي ترعى على جبال السامرة، لقد إزدادوا ثراء على حساب فقر المسيح، فخورين بتواضعه مزهوين بخجله، لقد إزدادوا سمعة وثراء بسبب ميراث صلب المسيح. وحتى عندما قال المسيح لبطرس، أطعم غنمي، أو اعتنى بمكاسيهم، وعلى الرغم من أوامر السيد المسيح، إلا أنهم أصبحوا عمياناً يقدودوا عميان، كالكلاب التي لا تستطيع أن تتبج. لقد توجهوا إلى بيت الرب بخيلاء، ومعهم مفتاح المعرفة، ورغم هذا لم يستطيعوا أن يدخلوا أنفسهم أو يقدموا الآخرين للدخول.

كانوا أكثر إبلاماً بما أصابهم من مرض الجذام بينما كانوا يفخرون بمناصبهم للكنيسة في كل مكان، المناصب التي بيعت بأسعار بخسة، تلك المناصب التي اسقطها الرب مثل مكاتب الصيارفة. هذه المناصب التي كان يتمتع بها اليهود، فقد كانوا يحبون الرشاوى ويسعون إلى زيادة الدخل. انغمسوا في حياة الترف والتعيم ومن جهة أخرى مالوا إلى الضعف والتراخي والكسل المخذى. فلم يعتادوا على كميرات الخبز التي تتساقط من موائد الرب، غير أنهم كانوا يطعمون أبناءهم من جميع أنواع الطعام .. أبناءهم الذين اتجبرهم من المحظيات العاهرات اللواتي كن أكثر خزيًا وفساداً من أزواجهن.

لقد نوث المجلس الأكبرى ما جمعه من ثروة وممتلكات كبيرة جداً، إذ لم يعد مناصبهم موضع اهتمام وتقطعت الصلات فيما بينهم ونبذوا الصلاة، لقد أساءوا إلى الكنيسة ورجالها بسبب تحدياتهم بعضهم البعض، وكذلك الإقلال من شأن بعضهم البعض أيضاً بما غرسوه في نفوس المسيحيين من خذى وعار، وقد بالغوا في إهانات بعضهم البعض بما أحدثوه من كراهية وأحقاد بلغت حد الشجار فيما بينهم، وغالباً ما كان الشجار يصل حد تعدى بعضهم على بعض بالضرب ولطم كل منهم الآخر. وقد كان الشقاق كبيراً عندما أقاموا برجهم في بابل واختللت ألسنتهم، وزاد الشقاق بسبب ما كان يصل إلى كل طرف عن طريق السمع.

وعلى الرغم من كل هذا، إلا أنه كان بينهم أساس عرفوا بالإيمان وللتقوى ومخافة الرب، وغالباً ما كانوا يبادرون لتضييق الخلاف فيما بينهم أو بمعنى أدق تجنب الخلاف والخصومات فيما بينهم، وكان أصحاب هذا الدور - الوسيط - يتمتعون بالحكمة في اتخاذ القرارات ويحتلون مناصب بارزة ومقدسة، وكانوا أشبه بحبة القمح في التبن، والزئبق في أشجار الشوك، وكان لهم تأثير

قوى على كل قلب حزين، غير أن هؤلاء الأشرار كانوا لا يستجيبون للنصيحة بسبب انغماسهم الكبير في أعمال الشرور وارتكاب الذنوب.

وهكذا، فإن أعمال الشر وارتكاب الآثام والفراغ الكبير قد أحاط بهؤلاء، حتى أنهم كانوا لا يبهون بالحصول على قدس الأقداس. وكانوا يعرفون بالمقطعين 'أي المعزوم كنسياً' *Onthematizeat* وكان هؤلاء من اللامبالين، فكانوا يضحكون معاً أو يبتسمون معاً، وأكثر من هذا أنهم كانوا يضحكون عندما يبكي الآخرون.

وهكذا، فإن الكنيسة أصدرت قانون القصاص الكنسي للقانون العقوبات^١ يعمل على القصاص من هؤلاء الأشرار أو على الأقل الحرص على وضع حد لهؤلاء من الرجال العلمانيين. وكان حكم القانون يصدر من قبل الأساقفة حتى لو كانت هذه العدالة الروحية تقع على حساب البدن.

إن رؤساء الأديرة من الرجال والنساء وخدمهم من الرهبان والقساوسة المحقرين ألغوا جانباً مخالفاً للرب. ولا يخشون أن يواجهوا مناجلهم ضد حاصدي القمح من الرجال. خاصة أولئك الذين يرتبطون ببعضهم ببعض في علاقات غير شرعية مثل الزواج الغير مقدس. كانوا يقومون بزيارة المرضى عن غير هوى، وبعيداً عن قانون الطاعة وكانت إدارة المقدسات وإسنادها إليهم ضد رغبات القساوسة، والبتعد عن العلاقة الروحية التي لم تكن من سجاياهم، إذ أن ذلك يكون مناقض لقانون الرب المقدس. ويقول الرسول: من أنت أيها القتان، ما هو قراركم تجاه خدام الإنسان ؟ لقد حرصوا أن يعلوا أنفسهم من الضريبة التي يفرضها الأساقفة. وهم بذلك لم يكونوا من الوجهة القانونية أصحاب الحق الذي يتمتع به أعضاء الأبرشية. إن بيت الرب سوف يقام فوق قمة الجبل، وسوف يرتفع فوق

الغلال، وسوف يتوافد إليه الشعوب من كل مكان وأن العديد من الناس قد آمنت كما جاء فى التوراة "Tobir" بأن بيت المقدس سوف تتألق وتمجد من الآن فصاعداً، وأنها سوف تمثل نهاية العالم، سوف يأتى إليها الشعوب من كل مكان ويهبون إليها الهدايا ويقدمون الشكر والثناء.

عندئذ يمكن رؤية الفارق بين حالك على عهد اليهود وحالك اليوم فى العهد المسيحى، وما أكمله المسيح من أعمال النبوة.

إن ما قرأناه فى "الديوترونمى" "Deuteronomy" أى سفر تثنية التشريع من أسفار التوراة سوف يظا أرضك الأقدام فى كل مكان من البرارى ولبنان من النهر ونهر الفرات حتى أعالي البحر الذى سوف يمثل ساحلك. والآن وعندما يتنفس حقل الرب عبير الحلو حتى آخر الدنيا فإن الأقاعى السامة المميّنة عدوة الإنسان ستكون غير قادرة على أن تتحمل استنشاق العبير مدة طويلة، وعندما تشاهد هذا التغيير العظيم الذى أوجدته اليد اليمنى الأكثر بعداً عن الشرق، فقد أحزن ذلك المكان الكنيسة المقدسة التى سوف تتمتع وترتفع وتمتد فى السماء ويكره الكفرة على إفساد دينهم ويعلو شأن المسيحية.

إن هذه العلامات والمعجزات سوف تتجدد فى المشرق حتى عندما تتدلى النار من السماء إلى كنيسة القيامة، والتى سوف يلتقى فيها الناس على توضيح عظمة الرب ويسبحوا من أجل أعماله المجيدة. وسوف يفيض الكفرة، وسوف يسعد الرب، بالمخلصين وسوف تضاء الأنوار من أجل الضربير "الأعمى" وسوف تلقى بالأعمال والأحقاد بعيداً وأن أصحاب الشرور سوف تسكب عليهم السموم القاتلة، فيقتلون، وبينما ينام الناس تنهمر الدموع فى حقل الرب عليهم إن واجب الرهبان هو ارتداء لباس الحداد والصلاة.

ولم يكن العصيان يقع فقط من قبل الرهبان ولكن أيضاً للراهبات، كن بعضين أوامر قادتهن، فسقطن في العبودية، وظهرت الحياة في أديرتهن، لقد سقطت حجارة الحرم المقدس فوق بداية كل شارع وظهرت جماعات من الزنادقة للاستحمام. ومن هنا يمكنني القول أنني لا ألصق كلمات وصفات بهؤلاء الأجيال السالفة، حتى لا تكون قدوة للأجيال القادمة، ولكن أردت بهذا أن يغسل هؤلاء أيديهم بدماء ما ارتكبوه من آثام وخطايا، وحتى يطموا ما زيفوه من حقيقة، وعدم استنكارهم لأعمال الشيطان.

تدع هؤلاء يعلمون أنفسهم التواضع مع المسيح وليعتاقوا حياة الفقر، والطهارة والإحسان، الذي يمكن أن يعلنوه للعالم الخارجي بما يمتلكونه من صبر وأناة.

إن الذي يجعلهم أعظم قوة بين العامة من الناس والعلمانيين، هو هدم وتدمير ما أفسدته أساليبهم.

إن هؤلاء الأشرار أمثال الشيطان، هم ما خلفه الحجاج السابقون وبعض رجال الدين، الذين كانوا يعيشون حياة نعيم إلهي، هؤلاء الذين قد ورثوا حياة متدنية عن آباءهم، لقد بدد هؤلاء ثروات العالم، والتي كان قد اكتسبها آباؤهم بعد إراقة الدماء، في القتال، ضد الأعداء المسلمين من جهة ومن أجل شرف الرب من جهة ثانية.

لقد عرف هؤلاء يالبولانيين، الذين نشأوا في ترف ونعيم وراحة، وعاشوا حياة تخنث، هؤلاء الذين قد اعتادوا على الاستحمام بدلاً من خوض القتال، كانوا مسرفين في حياة الدعارة والخلاعة، وكانوا يميلون دائماً للراحة كالنساء، كانوا

يزينون جوائب المعبد ويلمعونها ... كم كان غباؤهم وكسلهم تلبدهم وجبنهم! والتى لاحظها فيهم أعداء المسيح حتى أن أحداً لا يعرف مدى لستخفاف المسلمين بهم.

إن آباء هؤلاء "أسلافهم" كانوا يجبرون المسلمين على الفرار من أمامهم، بينما أناؤهم هؤلاء، وهم سلالة ضعيفة، دفعت المسلمين إلى التجرد عليهم، وليس أدل على ضعفهم هذا، ما كان يقوم به بعض النساء من الفرنسيين أو غيرهم من توقيع إتفاقيات مع المسلمين حتى ركنوا إلى السلام مع أعداء يسوع المسيح.

بالإضافة إلى ذلك، إن هؤلاء كانوا في حالة شجار بعضهم مع بعض، وغالباً ما كان هؤلاء أيضاً يوجهون الدعوى إلى أعداء الدين ليعينوهم ليقوموا بينهم ويساعدوهم ضد بعضهم البعض، وكانت تصل هذه الخلافات إلى حد ما يشبه الحروب الأهلية. ولم يخلوا من تبديد قوتهم وأموالهم والتى كان من الواجب استخدامها ضد أعدائهم المسلمين أعداء المسيح، وكان هذا يعود بطبيعة الحال على الدين المسيحي بالضرر.

كانوا يبالغون في أحاديثهم التى كانوا يزينونها مثلما الفاكهة، ولكن فى الحقيقة، كان هذا الحديث مثل شجرة الصفصاف العقيمة، وذلك لأنهم رغم مراوغاتهم فى الحديث إلا أنهم لم يستطيعوا فهم ومعرفة قولهم لأنها فى الغالب كانت حيل خادعة، لقد تأثر هؤلاء بالعادات الشرقية إذ كانوا شديدي الغيرة على زوجاتهم، حتى كانوا يقرضون عليهن حراسة قوية فى منازلهم بلغت حد الإقلال من زيارة أقاربهن إليهن؛ فضلاً عن هذا، فإن هؤلاء كانوا يمنعون زوجاتهم من العمل فى خدمة الكنيسة والشعائر الدينية والتبشير بكلمة الرب الحكيمه

وموضوعات أخرى، كانت تختص بنجاتهم وخلصهم من الذنوب، وتنادراً ما كانوا يسمحون لهم بالذهاب إلى الكنيسة حتى لو مرة واحدة فى العام، وعلى العكس من ذلك كانوا يسمحون لزوجاتهم بالخروج إلى الحمام ثلاث مرات أسبوعياً فى حراسة مشددة.

إن الأغنياء منهم كانوا لا يسمحون لزوجاتهم بالذهاب إلى مذابح الكنيسة كما يكونوا على مقربة منهم من أجل مضاجعتهم، ونتيجة لهذا، كان المساوسة والمساوسة الصغار يتعرضون للجوع. وكان هؤلاء البولانيون يسمحون لزوجاتهم بممارسة الأعمال التى من جرائها وقوع الخلافات والنزاعات بهدف التخلص منهن.

كانوا شديدي التأثير والتطلع إلى التعلم فى مجال السحر، حتى وصلوا فيه درجة كبيرة، وهو الشئ الذى تعظموه من النساء السوريات. وهكذا فإن الحجاج الذين جاعوا من أقاص الدنيا إلى الأماكن المقدسة بعد عناء شديد، من أجل خدمة الرب، لم يجدوا فى معاملتهم سوى الجحود والأعمال العدوانية.

ومن الأمور العدوانية التى وجدها الحجاج من هؤلاء البولانيين هو التماذى فى التراخى والكسل والخمول، وإشباع رغباتهم وأهوائهم، فوق الرغبة فى قتال المسلمين، خاصة عندما انتهت الهدنة بين المسلمين والمسيحيين، ووجهت إليهم تهمة الخيانة بسبب ميولهم إلى التراخى والاهتمام بالتجارة وأعمال الغش والاحتيال وسلب ونهب الحجاج، الأمر الذى جعلهم يثرون ثراءً فاحشاً، هذا فى الوقت الذين كانوا فيه ينقمون على المحاربين، وبذلك فهم غرباء بعيدين عن مصلحة المسيح. وهؤلاء فى رأينا يعتبرون محقرين ومعتوهين ومجانبين، ولذلك فهم يستحقون التوبيخ لما كانوا يسعون من أجله، وهو الاهتمام بمصالحهم الشخصية فقط .

ليس هناك أعظم ولا أكثر من هذا الفساد، الذي لا يباريه فساد آخر، فقد كان هؤلاء يهللون ويبتهجون لهذه الحياة الماجنة، التي صبغت حياتهم بالظلام أكثر من أى فترة مضت، فبدلاً من حرصهم على استحسان أيامهم فإن حياتهم على هذا النحو سوف تهبط بهم إلى جهنم والآن فبينما نكره فساد هؤلاء غير الأطهار يقول النبی عنهم : "إنه ليعزتي أن أرى هؤلاء المذنبين لأنهم لم يحافظوا على قانوني" - شريعتي - وأقول أنا ثانية : "لأنتى أكرههم كراهية تامة، إنتى اعتبرهم أعداء لى" وبذلك نشارك المسيح فى لقوله، ولو كان هناك أحد بينهم، فعليه أن يفضب معى لما فكرته، من أنه سوف يظهر بنفسه مثلما كان الحال من قبل.

أما فيما يتعلق بهؤلاء الرجال من المدن النبيلة، من جنوة، وبيزا أو البندقية، ومن أجزاء أخرى فى إيطاليا، الذين يقيمون فى سوريا، فإن أباءهم وأسلاتهم لَد حَقَقُوا مكاسب، ظلت باقية ... شهرة لأنفسهم، وقد حَقَقُوا لأنفسهم مركز القمة فى الداخل، بسبب انتصاراتهم العظيمة على أعداء المسيح، إن هؤلاء سيظلون مصدر قلق واضطراب للمسلمين، لو أنهم امتنعوا عن التباغض والحسد فيما بينهم، وكذلك نههم فى جمع المال، وكذا الامتناع عن التشاجر فيما بينهم.

إن هؤلاء غالباً ما كان التشاجر بينهم أكثر بكثير من خلافاتهم أو قتالهم مع المسلمين. ومرجع ذلك هو الحرص على التجارة والاتجار أكثر من حرصهم على قتال أعداء المسيح، فلو أن هؤلاء للتجار كانوا أكثر حرصاً على قتال المسلمين وإزالة الرهبة فيهم لكان أفضل من السعى من أجل البهجة وإدخال السرور على أنفسهم من جراء مكاسب مادية تجارية.

وإلى جانب هؤلاء وأولئك السابق ذكرهم كان هناك شعوب قديمة يقيمون في الأرض المقدسة كانوا قد ولدوا في ظل العبودية، خاصة في العهدين اليوناني والروماني، وكان هؤلاء يعملون كعبيد في كل مكان خاصة في أعمال السخرة والزراعة، كانوا يخضعون لسيادتهم "أي اليونان والرومان" هؤلاء لم يكن لديهم نخوة الحرب والقتال، ولم يكونوا متعاونين بل كانوا أشبه بالنساء في المعركة، فقد كان هؤلاء سكان عزّل لا يملكون أسلحة، غير الأقواس والرماح التي كانوا يؤمنون بها على أنفسهم، وكانوا دائماً في حالة استعداد للهروب من المعركة كان معظم هؤلاء من السريان، أو من مدينة صور "Tyre" هذه الأخيرة، كانت في العهد القديم من المدن السورية الرئيسية، ومنها السوريان، وذلك لأن المؤرخين اللدامي كانوا قد استبدلوا "it" في "Sur" إلى "y" فعرفت باسم "Syriane"، وهم بذلك يعرفون الآن باسم "Syriani". إن غالبية هؤلاء كانوا يتسمون بالخيانة، كما كانوا تجاراً ذو وجهين، كانوا بارعين ومهرة حتى مع اليونانيين أنفسهم كانوا يتسمون بالكذب والتردد. هدّفهم جمع المال وإحراز ثروات ضخمة، كانوا خائني العهد، يحصلون على ثرواتهم ومكاسبهم عن طريق الرشوة، كانوا منافقين، فيقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم، كان شاغلهم للشاغل هو القيام بأعمال السرقة والنهب، كانوا من أجل مبلغ بسيط ينفقون أسرار المسيحيين إلى المسلمين، كانوا يستخدمون أساليب ملتوية ولغات مختلفة، كانوا كثيرى التزييف، كانوا قد اختلطوا وامتزجوا بالوثنيين فتعلموا واكتسبوا أفعالهم. وبالإضافة إلى ذلك فقد اكتسبوا عادات وتقاليده المسلمين، فعرفوا حبس زوجاتهم، كانوا يرتدون ملابس تغطي كل أجسادهم وكذا بناتهم حتى لا يعرفهن أحد وحتى لا يراهن أحد أيضاً. كانوا يتركون لحياتهم مثلما يفعل المسلمون واليونانيون أو بمعنى آخر كل الشرقيين.

ويبررون ذلك بأنها غاية كبيرة بأنفسهم، وأن ترك اللحية علامة على نضج الرجل، وتكريم للوجه واحترام وتعظيم وهيبة للرجل، وبالمثل فإن الرجال المخنثين، الذين لا لحية لهم، كان يعتبرهم اللاتين على درجة كبيرة من الوضاعة والتخنث، إلى الحد الذي جعلهم يرمون هؤلاء بأقوال مخذية ويتهمونهم بالعار، ليس لأنهم يقصون لحيتهم، ولكن ينظرون إلى الرجل على أنه رجل أعزب ويجب عليهم الانسحاب من بينهم، ولذلك فإن هاتون، "حاتون" *Hanun*، منك العمونيين^(١) قص نصف لحية خدام "خدم" داود، إحتقاراً لداود وترك النصف الآخر، غير أنه أخبء هؤلاء في مخبأ *Jericho* حتى نمت لحيتهم. كذلك عندما قام بلاديون كونت الرها بتربية لحيته وتركها، كان على الطريقة الشرقية، وكذا تزوج من إحدى بنات أحد النبلاء، يدعى *Gabriel* "جبريل" وهو أرميني الأصل، يوناني العقيدة والمذهب. وتظاهر بالفقر، كيما ينتزع أموالاً من حميه "والد زوجته" جبريل القنى الثرى بعدما أخبره بأنه مضطر لأن يرهن لحيته إلى أحد اللاتين مقابل مبلغ كبير من المال.

وعندلذ قدهش جبريل وحزن حزناً كبيراً وأبدى استعداده لإقتاذ ابنته وزوجها من الخزى والعار فأعطاه ثلاثين ألف بيزنت *bezants*، وحذره ألا يعرض نفسه ثانية لمثل هذه الحالة حتى لا يرهن لحيته مرة أخرى، وحذره أيضاً ألا يرهن لحيته مهما تعرض إلى الحاجة من المال، أو أية مصائب أخرى تتهدده. استخدم السريان أيضاً اللغة الشرقية ... لغة المسلمين، ففى حديثهم المشترك، وكذا فى صكوكهم وأعمالهم، وجميع الكتابات الأخرى باستثناء النصوص للمقدمة، والكتب للمقدمة الأخرى، اتى اعتاد أهل اليونان استخدامها فى الكتابة.

(١) لقد قرأه الشعب السلمي الذى يسكن منطقة شرق الأردن.

وعلى هذا، فإن مساعدة الرب لشعبه تمثلت فى معرفتهم للغة الشرقية ولكن لم يفهموها، بينما اليونانيون الذين يستخدمون نفس اللغة فى أحاديثهم ومقدساتهم لا يفهمون أسأفتهم فى كنانسهم وكذا لغة كتاباتهم، التى هى نفس لغة الحديث. وقد اتبع السريان القواعد والقوانين اليونانية على نحو صحيح من أجل خدمة الرب، وموضوعات روحية أخرى، وأطاعوهم باعتبارهم الأرفع مقاماً بينما الأساقفة اللاتين كانوا يسمعون كلامهم دونما تنفيذ وكذا الأعمال الدنيوية حتى يظهروا لهم أنهم يطيعوهم باعتبارهم سادة لهم، بناءً على الطبيعة البشرية، ولذلك فإن الأساقفة اليونانيين فى أبراشياتهم كانوا لا يخشون حرمان الكنيسة أو أى عقاب آخر، من اللاتين على الأقل، ومن أجل انقاذ العامة، فإنه يجب أن نتجنب كل الأعمال أو التعامل معهم، وعلى هذا يمكن القول أن قاتون الحرمان للكنسى كان يختص باللّتين فقط، وليس من حقهم إنزال أية عقوبة بأحد منا، وفى مجمع نيقية أحد المجامع الكنسية الأربعة الرئيسية، والتى تلقت الكنائس أحكامه القضائية، وبعد الإنجيل الرابع، بكل ما فى الكلمة من معنى، هو للمجمع الذى حضره ثلثمائة وثمانية عشر "٢١٨" أسقفاً قرر العديد من القرارات التالية: أن الروح القدس "The Holy Ghost" هى نفحة من الآب وفى النهاية أعلنوا أن أى إنسان يضيف أى شيء إله أو يحذف أى شيء منه "عمل المجمع" سوف يحرم من شركة المؤمنين، حتى لو أعلنوا أن الروح القدس تنبثق من الآب، وحتى لو لم يعلنوا ذلك أيضاً، وعلى هذا فإن بعض الأشياء التى لم يعلن عنها فى البداية، أعلن عنها فيما بعد، ووافق عليها الرجال المقدسين فى الأرمنة الأخيرة، ليجنبوها موضع الشبهات.

وعلى الرغم من ذلك فإن عقيدة اليونانيين كانت بعيدة عن قانون الإيمان الكنسى "العقيدة المسيحية" إننى أعتقد وأؤمن بالروح القدس وبالرب الواهب للحياة، إن معظم المسيحيين يقولون أن الروح القدس تنبثق من الآب والابن، ومثل هذا، يقول اليونانيون: أن الروح القدس هى الآب، فلم تصنع، ولم تخلق، ولم تولد ولكنها اتبثاق، اتبعثت، ويضيف للاتين أن الروح القدس هى الآب والابن، ولكنهم لم يضيفوا أى شئ يكن ثمة تناقض فيه.

وهكذا، فإن العقوبة السابقة، أمكن فهمها، وأصبحت موجهة ضد أولئك الذين يضيفون أى موضوع مناقض.

ويقول القديس بولس مخاطباً السليتين^(١). يقول: لو أن أى إنسان وعظ إنسان آخر برسائل الإنجيل، غير التى تلقيتها، فعليه أن يتلقى اللعنة. والآن فمن المؤكد أن القديسين قاموا بوعد العديد من الموضوعات بالإضافة إلى عظات بولس، ولكنها ليست على التقيض من عظات بولس، وعلى هذا، يجب علينا أن نفهم هذا التحريم "التحذير" ولذلك فإن كل من اليونانيين والسريان لم يفهموا العقيدة المسيحية، التى نظمها الآباء المقدسون فى مجمع نيقية الكنسى، عندما أعلنوا أن الروح القدس لم تنبثق من الآب، ولو أن السيد المسيح قام بنشرها وقال لهم: أنتم تتلقون الروح القدس، ومن الواضح أن الاختيار هنا نفس الروح القدس. إذ أنها بذلك تكون قد اتبثقت منه، حتى لو كانت من الآب، فهى ضمان الحب من كليهما. وعلى هذا، فإن المسيح يقول فى الإنجيل: "إن هذه الفضيلة قد خرجت منى، والتى بها خرجت الروح القدس وبراأت النساء اللواتى لهن حافة

(١) شعب يسكن آسيا الصغرى وهو يتحدث اللغة السليتيية وهى لغة هندوأوروبية (القاموس

لللغتين - إنجليزى) - "المترجم"

ثوبى "ثيابى" وعندما قال الآب: "لكل ملك لى" وهذا يوضح أن الروح القدس هى الآب وأيضاً الابن. وهكذا فإن القديس بولس فى إنجيله يقول: ذماته بالزيت المقدس يعمك كل شيء؛ ومرة ثانية بالمرسج بالزيت المقدس تتلقى الخلاص "يرسخ فيك الثبات" ومن هنا سيوضح لك أن الروح القدس أو المرسج بالزيت التى تعنى شيء واحد، هى الابن "روح الابن" حتى لو كان هو الآب، لأن الابن أرسلها كما أرسلها الآب له. وقال بشهادته : لو أتت رحلت سوف أرسله إليك، وهكذا فإن الروح القدس تكون مشتركة بين الاثنين وتكون منبثقة من كليهما. ويذكر دانيال : أنه نهر متدفق، أنه شعاع متقد، أنه جاء بقوة أمامه، ولهذا السبب فإن كل اللاتين يعترفون بأن الروح القدس تنبثق من الابن، وكذلك أيضاً مثلهم اليونانيين لا ينكرون هذا الوضع، ولو أنهم من قبل لم يؤمنوا بذلك، ولم يكونوا واثقين فيه، لأن صلة الإبتنائى "النشوء" لم تكن موجودة فى عقيدتهم من الآن. والآن وبعد أن اتحد كل من السريان واليونانيين مع اللاتين، خضعوا لقانون الحرمان.

لم يكن لديهم رغبة فى تنظيف وغسل المذابح التى يحتفل فيها اللاتين بالقداس، قبل احتفالهم بها هناك، علاوة على ذلك، لم يحترموا أماكننا المقدسة، ولم يكن لديهم الرغبة فى التهوض عندما يمر أساقفتنا وهم يحملون خبز القربان، لزيادة المرضى، بينما الكنيسة الرومانية المقدسة وكل الكنائس الغربية يقومون بتقليد المسيح فى صناعتهم الخبز الخاص بالقربان - خبز بدون خميرة - وبعد أن يتناولوا طعام حمل الفصح^(١) مع خبز القربان - بدون خميرة الخبز - وقد كان هذا الإجراء، بعد طريقة اليهود الذى أعاد فيه الخبز حيث كانوا يتناولونه فى العشاء، على جسد المسيح، بينما كان اليونانيون يرفضون القيام بهذا الطقس

(١) حمل يؤكل فى عيد الفصح عند اليهود، وهو حمل لرب . رمز إلى المسيح.

الدينى، ويحتفلون بالقداس ولكن مع الخبز المختمر. وعلى هذا فإتينا نعتقد فى الاحتفاظ بالمائدة وليس بالخميرة القديمة المؤذية، التى لا يعادلها شئ. ولكن الخبز المختمر، هو الصدق والحقيقة، وأشياء أخرى عديدة، إن هذه الخلافات والنزاعات تنكر تعاليم الكنيسة الأسمى المقدسة، الكنيسة الرومانية، معارضة لأوامر الرب، الذى جعل روما عاصمة وحاضرة لكل العالم، وهى رأس بطرس.

وعلى ذلك، فإن ارتباطك بالأرض - أى بطرس - سيكون مرتبطاً بالسماء، أو بمعنى آخر، أطعم غنمى، وهو لا يعنى اللاتين الشرقيين، أو بمعنى آخر، إنه يمكن القول أنه هناك قطيع وراعى واحد. أو بمعنى أوضح، عندما تم بناء للكنيسة المسيحية، وشيدت فوق تلك الصخرة، صلى القديس بطرس من أجل المسيح، والنسب لا تخفى عقيدته، أو يخلق إخلاصه. كل أولئك، الذين هربوا من كنيسة الخلاص الرومانية دون جدوى لأنهم أقاموا البناء دون أساس، وانتشر منه السيد المدعو شيفا "Cephas" أى الرأس، ويجب أن يحترم كشخص طائش ومتهور. ولقد اتفق كل من السريان واليونانيين على عدم السماح بالزواج من أربعة غير أن أساقفتهم وشمامستهم فى مثل هذه الحالة كانوا قادة لا يرفضون الزواج، وكانوا يعتقدون القران على الفتاة رغم وجود زوجات لهم، وكانوا يسمحون لأنفسهم بالزواج قبل رسامة الكاهن، ولم يعتبروا الشمامسة قادة مقدسين، غير أنهم كانوا يقومون بتعميد أطفالهم ثم يقومون بتعليمهم على مركز الصدارة وذلك بالمسيح المقدس. وهو الشئ الوحيد الذى يسمح به لرؤساء الأساقفة، حيث يجلسوا فى مكان الحواريين فى كنيسة الرب، ومزامحة الحواريين من أجل الروح القدس، التى تستمد قوتها لمهاجمة القيادات فى الأماكن المقدسة. إنهم يعتبرون يوم السبت يوم مقدس جداً، حتى أن أحداً لم يعانى كثيراً فى يوم السبت، باستثناء يوم عيد الفصح. إن الخدمة فى يوم السبت المقدس تكون

غالباً أهم منه يوم الأحد المقدس. وإعداد مأدبة عظيمة في هذا اليوم حسبما اعتاد اليهود من قبل. وإن كانت تلك النقطة بالذات قد واجهت اللوم من جانب اللاتين خوفاً من اتباع نظم جديدة من قبل اليهود.

علاوة على ذلك، فإن الأرض للمقدمة ومناطق أخرى في الشرق، وشعوب همجية، وبعض أولئك الذين يختلفون في الخصائص عن اليونانيين واللاتين، منهم مثلاً اليعاقبة الذين اشتق اسمهم من يعقوب^(١) الحواري، وهو أحد بطارقة الأسكندرية، كانوا قد ظلوا فترة طويلة محرومين من عضوية الكنيسة وكان ديسقورس قد طردهم من الكنيسة اليونانية، وكانوا يقطنون في أكبر جزء من آسيا وكل منطقة للشرق. وقد أقام بعضهم بين المسلمين وامتلك بعضهم بعض بلادهم، ولكنهم لم يتألفوا مع المسلمين، ومنهم أيضاً النوبيين "Nubia" الذين تحتويهم مصر ومعظم أجزاء إثيوبيا "Ethiopia" وكل البلاد البعيدة، مثل الهند، التي تضم أكثر من أربعين مملكة وقد أعلنوا انتمائهم إليهم، والكل كان مسيحياً، كان الرسول القديس ماثيو قد هداهم إلى عقيدته، ورسل أخرى، وفيما بعد قام العدو بنثر بعض العناصر غير المرغوب فيها بينهم وظلوا مدة طويلة يطوفون بينهم، باعثين على الأسى والحزن، بارتكابهم الآثام والخطايا. إن معظمهم كان يقوم بختان "مطهرة" أطفالهم من كلا الجنسين على غرار المسلمين، ولم يفهم أن نعمة المعمودية تجعل الختان باطل، بينما الصفوة منهم كانوا يرتدون مثلما تتضائل الأرهاق وتذبل، عندما تكون الفاكهة جاهزة للجنى. ويقول القديس بولس إلى الجالتيين "Galatines": "لو انكم قمتم بختان أطفالكم، فإن المسيح سوف لا ينفعكم أو يفيدكم بشئ".

(١) هو يعقوب البرلادعى "Jacobus Baradaeus" راهب القسطنطينية، دشن كاهناً وأسقفاً حوالي عام ٥١١م والكنيسة اليعاقبية لم تكن واسعة الانتشار مثلما ذكر به جاك عن سلطان

وقال أيضاً لى أظهر مرة ثانية لكل إنسان، فإن من يقوم بعملية الختان، يكون مدينًا لأن يؤدي كل الشريعة والقانون، إن المسيح يصبح غير فعال لك، مهما قت بتبرير نفسك، وأن ذلك لم يقتل من بعض آثامهم الأخرى، كما أسلفنا، لو أنهم اعترفوا بذنوبهم وآثامهم السابقة وذلك ليس لأساقفتهم، ولكن لك وحدك تكشف السر، وذلك بوضع البخور فوق النار مع للدخان ليتصاعد إلى الله، إنهم يندمون على ما ارتكبوا من آثام ولم يفهموا الكتب المقدسة، ويهلكون من خلال عقيدة مزيفة ويكتمون جراحهم عن طريق أطبايهم الروحانيين، الذين كان واجبهم هو للتمييز بين جذام وجذام "مرض ومرض" ليحملوا الختان إلى أولئك الرجال الذين ارتكبوا الإثم، ويفرضون العقوبات عليهم ويوثقوهم ثم يحرقوهم. وعلى هذا، يتلقون مفاتيح ويصلوا صلاة خاصة من أجل أولئك الذين اعترفوا لهم. وفي الإنجيل قال السيد لمرضى الجذام اذهبوا واعرضوا أنفسكم على الأساقفة، ثم أننا قد قرأنا أن القديس يوحنا المعمدان، يقول : أن الرجال الذين قاموا بتعميدهم، يعترفون بذنوبهم، والآن فإن الاعتراف بالخجل والخزي، والتذلل، هو أعظم جائب في العقاب لو أن الرجال الذين يميلون إلى ارتكاب الآثام والشرور والذنوب، تركوا هذا وعرفوا أن الناس ستكشف أعمالهم، لما فعلوا. وقد كتب عن هؤلاء : أن من يخلى عمله الشرير سوف يوبخ ويقهر. ولكن أى إنسان يتخلى عنهم سوف ينال الرحمة والمغفرة. إن ثالث ما يرتكبه من آثام، هو الجهل التام، وكأنهم يعيشون في ظلام، مثلما كان اليعاقبة السابقين، إذ أنه قبل التعميد ومنذ أن يولدوا، لثباتهم يقومون بعملية الكلى لأطفالهم بحديدة ملتصقة حمراء فوق رؤوسهم كعلامة مميزة لهم، وآخرين يقومون بكى أبنائهم بنفس العلامة ولكن

على وجنتيه، وهم يبتون هذه الأفكار على افتراضات خاطئة تعبيراً عن التكفير عن آثامهم، باستخدام نار فعلية، إذ أنه كتب في إنجيل متى : أن القديس يوحنا المعمدان قال أنه سوف يعدك بالروح القدس والنار، فهذا إذن هو اللحظ الذي اعتقد فيه الجميع، وأن الآثام بجميع معانيها سوف تنتهي لأن الفرد هنا يكون قد أوفى بوعده إذا أشعل النار الروحية عن طريق الروح القدس، وليس عن طريق النار الظاهرية وعلى هذا، فإن كتب الأنبياء غالباً ما يقوم الرب بتوبيخ أطفال بنى إسرائيل، وذلك يتهديدهم لأنهم مبروراً بأطفالهم من خلال النار وكأنه عمل مسيحي، ومن أجل ذلك يقول موسى في سفر تثية الاشتراع من أسفار التوراة من أجل الرب، أنت لا تتعلم أن تفعل شيئاً، بعض الأشياء البغيضة لهذه الأمم والشعوب، وهناك لا يستطيع أى إنسان أن يفعل أو يجعل ابنه أو ابنته تمر خلال هذه النار.

ولم يترك سيننا يسوع المسيح ولا الحواريون أو أى من الآباء المقدسين للمسيحيين أى نظام من هذا النوع فى الكنيسة أو أمروا أى فرد بمثل هذه العلامات أى الكلى - الوشم بالنار.

لقد شاهدت اليعاقبة والسوريين الذين كانوا يقطنون بين المسلمين. كانت تضع تلك العلامات على ذراعهم حيث كانت تكوى بالحديد الساخن وقالوا أن تلك العلامات كانت تميزهم عن الكفرة، وهى لا صلة لها بالصليب المقدس ، الذى كان يوضع على أعداد كبيرة منهم. لقد بذلت مجهوداً كبيراً من أجل الاستعلام عن أفعال اليعاقبة والسريان المشينة، وقد حرموا من العشاء الربانى.

لقد قالوا أن السبب الرئيسي وراء ذلك العمل هو وقوع معظمهم فى الأعمال الشريرة، وأن هذه البدعة تمتحق لللعنة، ذلك لأن أصحابها أعلنوا أن المسيح مثل أى فرد، وأنه ذو طبيعة واحدة، هى الطبيعة البشرية، والآن فإن الهرطقة من مثل هؤلاء صدر ضدهم قانون الحرمان، وقد أدانهم المجمع الكنسى فى خلقدونيا، وقد أكد بعضهم بشكل خاطئ أن المسيح بعد أن أخذ طبيعتنا لم يعد يحيا فى طبيعتين، ولكنه كان ذا طبيعة سماوية واحدة. نرى أنه كان يختص بالطبيعة الإلهية إن هذا الإثم قد دخل الكنيسة عن طريق كاهن القسطنطينة "أوشيسس" *Eutyches* حيث أعلن أن للكنائس الأخرى أن للمسيح طبيعتان اندمجتا فى طبيعة واحدة، وقد آمن بهذا للخطأ أساقفة كنيسة الإسكندرية، المدعوان ثيودوسيوس وجالينيوس، وحتى الآن فإتينا نعتزف بأن المسيح قد تعرض للجوع والعطش وأشياء أخرى وأن ذلك من خصائص الطبيعة البشرية، وعانى فى الموت بسبب صلبه، ولكنه طبقاً للطبيعة الإلهية نهض من الموت ثانية، وأحدث عجائب أخرى، باعتباره لم يكن طبيعة بشرية، وقال عن نفسه، وعن طبيعته : قبل أن يكون إبراهيم كنت أنا، وقال أيضاً : إبنى أتحدث إليك وأنا فى المهد، وسأتحدث إليك عندما أعود ثانية. أنا والذى واحد، نفس القول بالنسبة لطبيعته البشرية، إن الذى أعظم منى، ومرة ثانية سينتهى كأس القرбан المقدس، ليس كما أرغب ولكن كما تحب أنت وترغب. والآن عندما أكون حريصاً وأكثر معرفة باليعاقبة السالف ذكرهم سوف يقرون أنه كان هناك فقط طبيعة واحدة للمسيح، هذا ما قالوه ولكن لم يفعلوه أو بمعنى أوضح إن أقوالهم غير أفعالهم. وإبنى أعرف أن الخوف هو الذى دفعهم إلى التأثير بهذا. وعندما أسألهم لماذا استخدمتم أصبع واحد فقط للإشارة إلى الصليب، وكذلك أنفسمهم، فأجابوا بأن الأصبع الواحد يشير إلى إله واحد، ولأن الثالوث المقدس فى ثلاثة أشخاص،

وهكذا فإتبعهم دعوا وأبهم بالإشارة إلى الصليب باسم الثالث المقدس فى واحد. غير أن اليونانيين والسرمان، يقولون بأن اللوم الذى وجه إليهم بخصوص الإشارة بأصبع واحد كان سببه أن الطبيعة الواحدة التى تؤمن بملاكية المسيح، بينما استخدم بعضهم الحروف الهجائية الخلقونية، واستخدم البعض العربية وهم الذين نناديهم باسم سرسان "Saracenie" الشرقيين. إن العامة منهم كانوا يستخدمون هذا التقسيم من اللغات المتعددة فى حديثهم المشترك طبقاً للأمم المتعددة، ولم يفهموا اللغة التى استخدمها رجال الدين فى الكتاب المقدس. وإن كان هؤلاء قد استخدموا اللغة العربية "لغة السرسان" وإن كان المكتوب لم يكن لغة عامة المسلمين، ولكنها فقط اللغة التى فهمت من خلال التعليم.

كانت هناك شعوب أخرى تقطن فى الأرض المقدسة وبين المسلمين كان معظمهم من الهند، ويعرف الناس هؤلاء باسم النساطرة^(١) وهى مشتقة من لغة زعيم المهرطقين نسطورس الذى غزا معظم بلاد الشرق عن طريق الخطيئة المميتة "مذهب السام" خاصة هؤلاء الذين كانوا يقطنون فى الأرض بفضل الأمير السوقى يوحنا المشعوذ، "Prester John" وقد تجمع كل هؤلاء مع منكمهم وتجمع النساطرة مع البعاقبة، وأصبح عددهم يفوق كل عدد اللاتين أو اليونانيين، هؤلاء الذين أقاموا هناك كان عددهم لا يعد ولا يحصى، ونحن لامتطيع أن نتكلم، ولكن كان بين المسلمين بعض المسيحيين، قد تجانسوا مع الكثرة، واتبعوا قواتينهم، مثلما إتبعها المرسان أنفسهم. وعلى هذا فإنه على الرغم من أن هؤلاء الناس سوف لا يتلقون القاتون الخطير للمسلمين Mohant حتى حرقه وأفسده الهراطقة. إن "ابن الجهنمى" نسطورس السالف

(١) انتشرت النسطورية انتشاراً واسعاً فى كل بلاد العرب والهند والصين وهى تنسب إلى

للذكر، قال عنه رئيس أساقفة القسطنطينية وجماعته فكرة ، أن القديسة مريم العذراء، لم تكن لم المسيح الإنسان، معلنين أن المسيح كان له طبيعة إلهية واحدة، وإنسان واحد. وأنه بناءً على طبيعته المزدوجة كانت هناك طبيعتان للمسيح وشخصيتان متميزتان أنهم كانوا لا يؤمنون بأن كلمة الرب، والجسد قد تجمعوا في المسيح، ولكنهم كانوا يؤمنون بأن التفرقة والتمييز بين الشخصيتين تعني أنه ابن الله من جهة وابن الإنسان من جهة ثانية تلك البدعة للبغيضة كان قد شجبها واستنكرها مجمع إفسوس الذي كان يحضره ثلثمائة من آباء الكنيسة.

وبناءً على هذا، فإن الرأي المعتدل، هو أن الروح والجسد شخص واحد، وكذلك فإن الله والإنسان هو المسيح، على الرغم من أن الطبيعة الروحية تختلف عن الطبيعة البشرية، حتى لو لم يكن هناك إنسان واحد طبقاً للطبيعتين الإلهية والبشرية. وأنه يمكن القول، بأن الحديد الأحمر المتوهج شيء واحد. وعلى هذا فإن للهرطقة السالفة الذكر، تعني أن الفرد لا يجب أن يستخدم العبارة القائلة بأن "المسيح هو الإنسان". لقد مات ابن الله وقُبر، لأنه فيما يتعلق بابن الله، فإنه لا يمكن أن يعاني من الموت، أو يموت أبداً.

ويقول إشعياء "Isaiah": "أنت من أجلنا ولدت طفلاً .. وأن اسمك سوف يبقى .. بقوة وقدرة الله". وهكذا فإن الله كان طفلاً صغيراً ضد فكر وعقيدة هرطقتهم، وبالمثل طريقة جرمييا "Jeremieah" يقول عن "ابن الله" أنه أظهر نفسه على الأرض ثم تحدث مع الناس، بينما من كان مثل الله فلا يظهر للناس. ويقول القديس بولس : أرسل الله قوة ابنه، خلق من امرأة بقوة القانون".

ومن هذا يتضح أن ابن الله هو بن مريم العذراء، وهكذا فإن مريم هي أم الله. إنه سوف يعطى أنه قد ولد منها، وكثير من هذا شأنًا أنه سوف يعترف بها أمه. وهكذا فإن الإنسان الذي كان قد ولد من مريم العذراء قد سبق إلى تمثيلها، وأن هذا الرجل هو الإنسان والله أيضاً. وبنفس الطريقة يمكن أن نسلّم أن ذلك الطفل خلق السموات ومن العدم كان وجوده مع الآب، وهو مساوئ له!!

ومن أجل الكلمة "word" كان الجسد، الذى سكن بيتنا، ونرى الآن، أنه يقول عن نفسه: "أنا الذى أتحدث إليكم عن خلقى، وليس هناك رجل عاقل يشك فى نفس للشخص الأول الخالق لكل شئ يمشى على الأرض مع الناس؛ وهكذا يتضح صورة ما وراء الخيال، التى تشكك فى أن الله والإنسان فى شخص واحد. ومن هنا يتبرأ نسطورس الحقيقير.

نحن نستخدم الحروف الهجائية الكلدية^(١) من أجل الكتاب المقدس واستخدام الخبز المقدس "بدون خميرة" فى احتفال القداس على غرار اليونانيين. كذلك هناك بعض الناس الذين يقطنون فى جبال لبنان خاصة فى مقاطعة فينيقية، وهو مكان ليس بعيداً عن ببليوم "Biblium" إتهم كانوا أعداداً ضخمة يستخدمون الأقواس والسهام، وكانوا مشهورين بالخفة والمهارة فى القتال، وكانوا يعرفون باسم المارونيين نسبة إلى معلمهم مارو Maro المهرطق، الذى كان يعتقد أن المسيح كان له طبيعة واحدة وإرادة واحدة، كان أسقف أنطاكية، الذى وقع فى هذا الخطأ، يعرف باسم مكاريوس، اجتمع مع أتباعه وأدان نفسه بهذا للخطأ، مثل زعيم الهرطقة قد طرد من رحمة الكنيسة وقيد بقرارات متعاقبة تنص على الحرمان، وفقاً لمجمع السندوس "الستين" الكنسى بالقسطنطينية وللذى كان يضم حوالي مائة وخمسون من آباء الكنيسة، وقد كان البعض يميل إلى المشيئة الإلهية للمسيح والأخرى للمشيئة والرغبة البشرية.

وعنى هذا فإن للمسيح إرادة وطبيعة بشرية تجعل منه ميول تجاه الطعام والشراب وتناول كأس القربان المقدس من الله، بينما الطبيعة الإلهية فهى إرادة ومشية الأب وحده، وهو شريك معه فى هذه الطبيعة. إنه دونما شك أوضح المسيح هاتين الطبيعتين عندما قال: "ليس مثل مشيئتي ولكن مثل مشيئتك أنت. أو بمعنى آخر، ليس كما أرفض ولكن كما ترغب أنت". لا يغيب عن أحد أن الطعام والشراب وأشياء أخرى تخضع لها طبيعة المسيح البشرية ونتيجة لقوة أفعاله للبشرية، وأن لا شئ يصنع

(١) هى الحروف السريانية

القوة الإلهية السرمدية، حيث أنه عندما ينهض المسيح من الموت يعنى أن الحياة السرمدية بعد الموت لا تنتمى إلى الطبيعة البشرية، ولكن القوة لله وحده. وبهذا لتضح أن خلق الناسوت "الطبيعة البشرية" يختلف عن الطبيعة الإلهية. ومثل هذا السلوك فإن الرسول القديس بولس علمنا بوضوح كيف أن مشيئة الإنسان هي مشيئة وإرادة ثنائية. وعندما وجه في رسالته إلى الرومان يقول: "أنا الأفضل، لا أفعل العيب، ولم أكن شرير، ولذا لم أفعله".

انظر كيف أن معركة عظيمة هنا بين سبب المشيئة الإلهية وبين الطبيعة البشرية، ويقول للمشيئة الإلهية، أن تحضر معي، ولكن كيف أقوم بما هو أفضل إن لم أجدها. إن الروح هي الإرادة الإلهية وطبعاً المنطقى فإتها تأبى أن تكون مشيئة بشرية، ويظل الجسد ضعيف لأنها ترفض أن تكون رغبة للجسد، ولو أن أحداً أخذ القديس بطرس وقاده إلى حيث لا يوجد، ولكن بمنطقه هو يتجه إلى روما ويأخذ الصليب، إن القديس بولس يشرح الطبيعتين كقانونين للفكر الإنساني فيقول: "إننى أرى أن قانوناً آخر بين أعضائى ضد قانون ذاكرتى وفكرى، وإحضارى للأسر، من أجل قانون الإثم، الذى بين قباعى، والآن فإن مارو "Maro" السالف فلكر كان يتسم بالحماقة والخطورة بما اكتسبه من تضليل وخداع. أرسله الشيطان، وتباعه فى الخطيئة هؤلاء الأكباغ الذين يعرفون بالمارونيين، وقد حرموا من رحمة الكنيسة طوال خمسة قرون ومن الاشتراك مع المتقين فى الاحتفالات بمقديساتهم، وذلك بغزلهم. أما بعد ذلك فقد تحولوا بقتلوبهم مع الأب الميجل أمالريك بطرق فطاكية، لذى تقبل رسمياً العقيدة الكاثوليكية، وتجنب بذلك الإثم السابق واتبع نظام الكنيسة الرومانية، ومن هنا أصبح كل الأساقفة الشرقيين بجنبون اللاتين استخدام الأختام والتاج الأسقفى ولا يحملون العصا الأسقفية فى أيديهم، ولا يستخدمون الأجراس، ولكنهم كانوا يرغبون فى دعوة الناس إلى الكنيسة عن طريق الجلد والعصا والمطرقة. أى هؤلاء المارونيون - ليخلوهم فى طاعتهم إلى روما متبعين النظم والطقوس الدينية اللاتينية .

من أجل ذلك حضر بطرقيهم إلى المجلس العام مجلس اللاهيران الرابع ١٢١٥م الذي عقد بكثير من الإجلال في فترة حكم البابا الميجل إنوسنت الثالث، لقد استخدموا الحروف الهجائية الكلدانية واللغة الشرقية المشتركة.

إن الشعب الأرمني الذي كان يقطن في إمارة أرمنية بالقرب من أنطاكية بين المسيحيين والمسلمين انتشروا واختلّفوا عن كل الأمم المسيحية، وكان لهم طقوسهم ونظمهم المميزة الخاصة - الغربية - بهم.

إن الأرمن وكبير أساقفتهم الذين يدعونه ببطريرك الكنيسة الأرمنية "*Catholicos*" "كاثيلوكس" وكاتوا في مجموعهم أُناس بين حقيرين وعظماء، طبعونه بدرجة عظيمة من الاحترام والتبجيل مثل أي بابا آخر. وكان بينهم وبين اليونانيين نزاع وخلاف وأحقاد وجدال شديد حتى أنه كان من الصعب، التوفيق بينهم فلكل منهم خبرة ودراية تبعث على الاشتماتاز تجاه طقوس كل منهم، وكذا مذاهبهم. إن لغتهم وحروفهم الهجائية وقراءة الكتاب المقدس كانت لغة عامة لدرجة أن أساقفتهم ومجالسهم الدينية لا يستطيعون أن يقوموا بالشرح والتفصيل للعامة. ونفس الشيء كان الحال بالنسبة لليونانيين، فلم يحتفلوا بميلاد المسيح، طبقاً لطبيعته البشرية، ولكن ترسخت لديهم أيام ميلاد المسيح، واحتفلوا بعيد ظهور المسيح مع عيد القديس يوحنا المعمدان، وأعلنوا أنه نفس اليوم الذي يتم فيه الاحتفال بميلاد المسيح طبقاً للروح القدس، في حالة عدم تجدد أو ظهور المسيح أو ولادته من جديد لأنه لم يكن الأساس في الخطيئة التي لم تظهر بالماء والتعميد.

لهم يعمل أو يفعل الإنثم، أو يتألفى أو يخادع، إتهم يقومون بالصوم الكبير قبل بعث المسيح، على نحو كامل لدرجة أنهم لا يمتنعون فقط عن اللحوم والجبن والبيض واللبن، ولكن كانوا يمتنعون أيضاً عن تناول السمك، ولم يستخدموا الزيت فى الطعام، ولم يشربوا النبيذ حتى إذا كان هناك بد فيكون نادراً جداً. وغالباً ما يأكلون الفاكهة والخضروات، وهو ما يسرهم طوال اليوم. ولكن يختلفون عن جماعة اليونانيين المناوئة لهم وكذا السريان، فيأكلون اللحوم فى بعض أيام السبت إتهم لا يخلطون الماء بالنبيذ مع دم المسيح المقدس وهو الطقس الذى ارتكبه الهرطقة وأظهروه بدرجة كبيرة كإثم، ومن أجل سيدنا يسوع المسيح، عندما لرتقى مكاتاً رفيعاً على للمائدة، خلط النبيذ، ليس غرار اليهود فقط ولكن كل الشرقيين الذين لا يشربون النبيذ والماء خالصاً. ثم صنع نبيذه المائى المقدس. فى الواقع، أن أحداً لا يستطيع أن يشرب النبيذ النقى إلا فى حالة مرضه. وعلى هذا يقول القديس سبريان حول هذا المزج "الماء بالنبيذ" لو أن أى إنسان كما أسلفنا من الجهلاء أو البسطاء السذج، لم يتبعوا الشريعة، التى علمها لنا المسيح بأمثله أو سنده ببساطة، فإنه لا يمكن أن يغفر له المسيح "أى لنا" والآن فقد أمرنا المسيح، ولرشدنا أن نقدم كأس الرب الممزوج بالماء حتى لو كان الذى قدمه المسيح.

يتضح من كل هذا، أن العشاء الأخير الذى قدمه لنا المسيح، كان نبيذاً مختلطاً بالماء.

وهكذا، فإن الأرمن كانوا لا يحاكون المسيح ولم يفهموا أسرار القربان المقدس، لأن المياه التى تتلاشى فهى لا تشفى ضعيفة ترمز إلى الماء وتلاشى الخليقة.

وعنى هذا، فإن المياه التي تختلط بالنبيذ تشير إلى أن الناس يشتركون مع المسيح، مثل دماء خلاصنا، ولم يقدم للنبيذ لأى فرد، إنها سوف تبدأ وتمثل دم المسيح بدوننا. لو قدمت المياه بنفسها دون خلط لكاتت للناس من دون المسيح، ولم تكن لتعنى العزج السابق، ومهما كان السر المقدس، فإنه يجب أن يشير إلى شيء مقدس، وفى كأس المسيح لا يجب أن يقدم النبيذ والمياه بنفسها لأننا قرأنا أن آلامه "أى آلام المسيح" جميعها تجمت من جنبه. والآن لو أن الأرمن وعدوا بأن يطيعوا البابا والكنيسة الرومانية المقدسة، عندما تلقى ملككم أرضه من الإمبراطور الروماني المقدس هنرى، وتوجه وليس أساقفة مينز، فإنهم سوف لا يدلون نظمهم القديمة الراسخة.

هناك أيضاً فى الشرق شعوب مسيحية كانت لديهم الرغبة دائماً إلى الحرب والقتال، وكانوا يتسمون بالعنف فى المعركة لكونهم أقوياء بدنياً وكذا أقوياء بعددهم من المحاربين. غالباً ما كانوا يرهبون المسلمين ويسببون خسارة كبيرة لكل من الميديين والبارسين والآشوريين، وكانوا يقيمون عند حدود تلك الشعوب لأن حدودهم كانت تقاخم حدود الأمم والشعوب المسلمة. يسمى هؤلاء بالجورجيين لأنهم كانوا يجلسون بصفة خاصة القديس جريجور وكانوا يناصرونه، وكانوا يحملون رايته فى قتالهم ضد الكفرة وهم قديسون فوق كل القديسين، لقد قرأوا الكتاب المقدس باليونانية ويدررون المقدسات بعد اليونانيين، وقد اجتمع مجلسهم الأكليريكى فى بقعة صحراء، فى شكل دائرى ومن العامة الذين أحاطوا بهم من جميع الجهات على شكل مستدير، وعندما بدأوا رحلة حجهم إلى قبر المسيح المقدس *Lord's Sepulchre* ساروا إلى المدينة المقدسة ورفعوا ونشروا أعلامهم دونما دفع أية جزية لأى فرد من المسلمين دون تحدى أو تحرش بهم، خشية أن يثاروا منهم من قبل أمم إسلامية أخرى مجاورة، وذلك أثناء عودتهم إلى

مملكتهم. ومن نسايتهم التيبيلات مثل أمزونس "Amasons" التي حملت السلاح كالفرس في المعركة. وقد كان الجرجيون نافرين جداً ومهددين من قبل الكوردينوس أمير دمشق الذي تجرأ على أن يطيح بأسوار بيت المقدس ضد رغبتهم عندما فرضوا حصارهم على دمياط، وكانوا ذوي لحية وشعر طويل يبلغ حد الذراع، ويرتدون قبعات فوق رؤوسهم.

إن المسيحيين الذين كانوا يقطنون في أفريقيا وأسبانيا بين المسلمين في الغرب، كانوا يسمون بالمزرايين "Mozrabi" أي المغاربة، كانوا يستخدمون اللغة اللاتينية في قراءة الكتب المقدسة، وكذلك كل اللاتين، المتواضعين المخلصين في طاعة الكنيسة الرومانية المقدسة دون أن يخرجوا على مواد العقيدة أو الكتب المقدسة، إنهم يحتفلون بالقربان المقدس مع الخبز المقدس كما يفعل اللاتين الآخرون، وعلى الرغم من أن بعضهم كان يقسم خدمة القربان المقدس إلى سبعة أقسام وبعضهم إلى تسعة أقسام، فإن الكنيسة الرومانية المقدسة وبعض أتباعها كانوا يقسمون القربان المقدس إلى ثلاثة أقسام فقط. ولكن مثل هذا التقسيم لا يعنى أنها تقسيمات جوهرية للكتاب المقدس، فإنها لا تحدث فيها تبدل أو تعوق طهارتها. وفي الشرق أيضاً، وإلى جانب تلك الأجناس، هناك لم أخرى بائسة تنتم بالكراهية الشديدة والتذالة واحتقار المسيح وأتباعه، وكان بعض هؤلاء يعرف باسم الحشاشين "Essenes" وهم من أصل يهودي، بينما كان بعضهم يجعل من الحياة بعد الموت أصل إيمانه. حيث كان إيمانهم شديد بالبعث بعد الموت، إن هؤلاء كانوا يرفضون الزواج، خوفاً من فسوق وفجور النساء اللاواتى لا يخلصن أبداً لرجل واحد "أي الزوج"، بينما يتزوج بعضهم ولم يأتموا مع زوجاتهم، إنهم أيضاً لم يضعونهن عندما تكون حبلً "حامل" ليظهروا أن الجماع معهم يكون فقط من أجل الإجاب وليس من أجل المتعة، إنهم يعترفون بأن الروح بعد الموت

لا تتلقى عقاب أو قتال احترام. ولكن يتعارض ذلك مع تلك اللطافة من الرجال
المفتونة بجهدهم في الفقر، هؤلاء الروحانيين "The Assassins" الحشاشين
فإنهم ليسوا من أصل يهودي بل مسلمين. وهم المشار إليهم من قبل، فعلى الرغم
من أنهم كانوا يستخدمون جانباً كبيراً من حروف الهجاء اليهودية وكذلك طريقة
المزج لليهود والحروف الهجائية الكلدية، والآخرون من جماعة الصدوقيين
'Sadducees' ^(١) وهم لا يؤمنون بالبعث بعد الموت، إنهم تلقوا كتب موسى
ولكنهم لم يفهموا فحواها، ولذلك قام المسيح بتأنيبهم في الإنجيل قائلاً : "انتم يا من
ترتكبون الإثم. ولا تعرفون أو تفهمون الكتب المقدسة ولا قوة إله الله". وبعد أن أكد شهادته
من كتب موسى قال : أنا رب إبراهيم وعيسى ويعقوب، لقد ألقىهم في النهاية
بطريقته هذه لم يكن إله الموت، ولكنه إله الحياة. وهناك أيضاً السامريون ^(٢) الذين
يستخدمون اللغة اليهودية مثل اليهود، لقد تلقوا أسفار موسى الخمسة
'Pentateuch' ولكنهم لم يسموا بالأنبياء الآخرين وكتب اليهود المقدسة الأخرى.

وعندما قام ملك آشور 'Assyria' بالاستيلاء على عشرة قبائل من
إسرائيل وأجبرهم على أن يتبعوه أرسل إلى السامرة ليؤرعوها ويقلعوا فيها مكان
اليهود، وقام الأساقفة بوعظ وتبشير السامريين وتلقوا كلمة الرب، أقام بعضهم هناك
حتى ارتكبوا خطاياهم القبيحة، ومن أجل هذا لعنهم المسيح، بالعقم وجفاف التربة.

وهكذا تحقق ما قام به المسيح من هذا العمل الشرير وأجدبت الأرض
ولسدت وحكم عليهم بالنار الأبدية، جافة وقاحلة حتى أنه يمكن القول أنه لم يتبقى
هناك منهم على قيد الحياة سوى ثلثمائة في كل أنحاء العالم. وقد تلقى آخرون كتب

^(١) الصدوقي أحد أقراء طائفة يهودية في زمن المسيح - أنكرت الحشر، ووجود الملائكة - انظر

المورد الكبير - ص ٨٠٨

^(٢) أحد أبناء السامرة بفلسطين - نفسه

موسى والأنبياء وكذا العهد القديم، ولكن فى معانيها البسيطة، وكان هؤلاء من المعرضين. وقال عنهم القديس بولس: "إن الكلمات تعنى القتل، بينما الروح تقدم الحياة وأما الجسد فهو لا قيمة له، وأصبح من الواضح هنا، أن الكتاب المقدس، لا يستخدم لليهود، بل استخدام اليهود له يؤنبهم، مثلما يقول النبى داود، دع مائدتهم تجهز لتكون شرك وفخ لهم، ودع الأشياء التى يجب أن تكون من أجل صحتهم فرصة لاسقاطهم، لنضع أعينهم مغماة حتى لا يروا حولهم، إنه يعنى بالمادة قدس الأقداس.

ولكن الجزء الأكبر منهم كان يسكن فى الجانب الشرقى حيث كان الأكسندر، ملك مقدونيا يخلق عليهم الطرق عند مرتفعات كاسبان "*Caspian Mountains*" وهو المكان الذى فيه يظهر المسيح الدجال "عدو المسيح" "Antichrist" وبين مرتفعات كاسبان والبحر سيقوم الملك الأكسندر بمنع تلك المغامرة "ياجوج وماجوج" وأصبح عددهم لا يعد ولا يحصى مثل رمال البحر، لأنه كان كاره لعاداتهم البغيضة مثل أكل لحم الإنسان وأكل لحم الحيوانات النيلة والغير نظيفة.

ومن جماعات اليهود أيضاً أولئك الآباء الذين كانوا يحملون دمانه ويمررونه من فوقنا ومن فوق أطفالنا ويبعثونه فى جميع أنحاء العالم، وكذلك لكل النبيذ الإلهى لوجود العبيد وداعى الجزية فى كل مكان. وكانت قوتهم تتمثل فى كلمات النبى أشيا "*Isaiah*" الذى تحول إلى رماد. علاوة على هذا فقد أصبحوا ضعاف غير راغبى فى الحرب كائنساء.

ويمكن القول أنهم كانوا يسفكون الدماء كل شهر، وقد أصابهم الله بتعطيل بعض أعضائهم وجعلهم فى حالة خزى دائم، منذ ذلك الحين وقد قتلوا فى الحقيقة لأخاه قابيل "*Abel*" حيث جعلوا بذلك الهروب والتشرد على سطح الأرض أمر سهل، وهو شيء بغيض ترتعد له الفرائس ويخلق له القلب، ومرت عليهم أيامهم

أيامهم ولياليهم وهم في فزع وخوف من الموت، وكان المسلمون الذين يعيشون بينهم يكرهونهم ويحتقرونهم أكثر من المسيحيين. وعلى هذا، فإن الأمراء المسيحيين كانوا يتحملون بغضهم وجشعهم من أجل مصلحة دنيوية هي الربح الفاحش، وقد سمحوا لهم أن يستعبدوا المسيحيين ويكرهونهم على السلب والنهب ويساعدونهم من أجل الربا الفاحش. وقد عملوا بين المسلمين بأيديهم في تجارة أكثر ازدهاراً واحتقاراً، واستخدموا وخدموا كعبيد عند المسلمين وعانوا من المعيشة بينهم في أدنى مراتب الحياة ورغم هذا إلا أن المسلمين كانوا يقتلونهم أكثر مما كان يقتلهم المسيحيون، لأن المسيح حفظهم فترة زمنية، كالجذء من اللقاة التي تشتعل في الشتاء، أو مثل كرم الشرير حتى النهاية أي حتى نهاية العالم، عندما انفذت البقية الباقية من بنى إسرائيل تحولت إلى شيء مؤلم، فإنها ستثمر من جديد جنب بى فقط، ثم فولكه نفيسة وحب أصلى. وهكذا فإن للتبى داوود قال عنهم : إن الله سوف يدعى أحقق رغبتي على أعدائى. لا تذبحهم خشية ألا ينسى شعبى ذلك، ودعهم ينتشرون فى كل مكان .. إلخ، ومن أجل أن يذكرنا بموت المسيح، ونحن نتلقى "تقبل" شهادتهم "ديليهم" من الكتب المقدسة عدا الأشياء التى تؤكد أن الرب مخلوق من أجلنا، كما يقول دانيال: "إن يسوع المخلص سوف ينقطع، ولكن ليس من أجل نفسه بل من أجل شعبه. وسيأتى الملك ويحطم المدينة والحرمة المقدس وسوف تفشل كل المحاولات ضدهم، ولم يكن هناك نبى يقدم أى دليل ضدهم من أجلنا "أو بمعنى آخر، لا يعمل شهادة عينية ضدهم من أجلنا". ولذلك فإن هؤلاء الناس قد عميت قلوبهم حتى أنهم كانوا يتلمسون طريقة يمشون بها فى منتصف النهار الذى صار كالليل الحالك، وأن أذنهم قد صمت وعيونهم قد

أغضت، لدرجة أن هذا الشعب الأحمق العنيد لم يفهم أو يعرف كيف أن اضطرابهم قد أثار سخط الرب ضدهم بسبب موت المسيح. وحتى قبل موت المسيح، كانوا قد أغضبوا الرب بوسائل مختلفة، منها عبادتهم وتبجيلهم للأوثان وارتكاب أعمال مقيته أخرى، لدرجة أن المسيح تخلى عنهم، وألقى بهم في أيدي الأعداء ليستعبدهم أحياناً من الوقت قد تمتد عشر سنوات أو عشرين عاماً أو حتى أربعين سنة، وهذا حسبما قرأنا في كتاب الأحكام، وذات مرة كانوا قد زجوا بأنفسهم في الأسر البابلي مدة سبعين عاماً ثم قام المسيح بعد ذلك بإطلاق سراحهم. ولكن بعد ما قاموا بقتل المسيح، لم تكن قد قرأنا منذ ذلك الحين أنهم كانوا يعبدون الأوثان وزجوا بأنفسهم في العبودية، مدة أكثر من ألف عام وحتى الآن لم يكونوا قد اكتسبوا عفو المسيح. ولكن عندما صلى المسيح لله، وقال : "إلهي كن رحيماً بي، إرفعني إليك ثانية وسوف أكاثفهم."

وبهذا التصرف أحرز صلاحه من الله الأب، مثلما كان موسى من قبل بفترة طويلة، وكأنه ينطق بالوحي الإلهي قائلاً لهم: "ابن الرب المبعوث، الانتقام لي، حتى أهي بالدين مرة ثانية، وأن الشر سوف يصيبك مرة ثانية في آخر الزمان، لتعنه على أن يقبضك عن طريق أعمال يديك."

إن هذا الأسر الأخير، كان النبي دانيال قد تنبأ به في هذه الكلمات، وأن الأمراء من الناس سوف يأتون ويحطمون المدينة والحرم المقدس، ومن ذلك المصدر سوف نكون مع الطوفان حتى تضع الحرب أوزارها، وأنه سوف يسعى لإيقاف الأضاحي والقرابين، وسوف تتحطم معابد الأعمال البغيضة، وسوف يستمر هذا التحطيم حتى يتحقق ويكتمل في النهاية كل شيء.

ولكن هؤلاء، ومنذ بداية استرداد بيت المقدس بعد معرفة حالتها ومصيرها الغامض، فقد نعموا بتحويلها من للضيق إلى الازدهار، وقد تأكد صدق هذه المحن والبلايا التي عانى منها كل إنسان ومن تعاضلها أكثر من أى فترة سابقة، ومن أمثلة ذلك، ما أصابها من أعمال إجرامية بما تحويه من أناس شريرة ومؤذية، غير أتقياء ومدنسوا المقدسات من قطاع الطرق واللصوص والقتلة، خاصة قتلة الأبرياء والأفقيين وأهل الزنا والخونة وقراصنة البحار والبيغاء والمخمرين والزوجات اللواتي تركن أزواجهن ليعيشن فى بيوت الدعارة، أو الرجال الذين يهربون من زوجاتهم ويستبدلونهن بزوجات أخرى، ومن أمثال المرتدين من الرهبان والراهبات الذين اشتركوا فى جريمة البغى.

ومثل هؤلاء الأشرار فى الغرب عبروا للبحر المتوسط واتخذوا من الأرض المقدسة ملاذاً لهم، فدنسوها بجرائمهم التي لا تعد ولا تحصى من الأعمال المشينة، فهم لا يخافون الله، ولا يحترمون الإنسانية، لأن ما ارتكبوه من آثام وعادات مخزية كانت عاداتهم ومعاتهم الوقحة. علاوة على ذلك أنهم كانوا تُساب وذوى علاقات ومصاهرات متصلة.

إن الراحة والعقوبة التي هربوا منها، والحصانة التي مكنتهم من ارتكاب الأخطاء، وما منحوه لأنفسهم من ارتكاب الآثام وعدم التقوى، جعلتهم ينكرون وجود المسيح.

لقد مال هؤلاء تجاه المسلمين وحصلوا منهم على السفن والقوارب ولجأوا إلى البحر حيث توجد بعض الجزر، وقد اتخذوا من المقدسات مساكن لهم، خاصة مقدسات رجال الدين من الرهبان ليهربوا فيها من العدالة، والتي كانت تقع فى كل مكان يسلكونه، واتخذوا من تلك الأماكن حصوناً لهم ليهربوا من الضرائب وارتكاب الأخطاء. إن بعض الرجال الذين اشتبهوا بسفك الدماء وكذا الأطفال، قد ضلوا فى بلادهم بسبب ما ارتكبوه من أعمال شريرة، وحكم عليهم أن يفقدوا أيديهم وأرجلهم أو يصلبوا.

على العموم، لقد استطاع هؤلاء أن يحصلوا على أحكام بالنفى من الأرض المقدسة، بسبب أعمال الرشوة أو التسول، ولم يكن لهم أمل فى العودة إليها.

كان هؤلاء قد صاروا من مواطنى الأرض المقدسة وقاموا بتأجير مساكنهم للحجاج بإيجارات مرتفعة وغير معتدلة سواء باستخدام القوة، أو عن طريق التطرف. وقد اعترض منهم طريق الحجاج، النساء المومسات، اللواتى استطعن عن طريق أساليب الغش والخداع أن يجبروا الحجاج على دفع أموالهم كديون عليهم، مما عرض ذلك حياة الحجاج إلى البؤس والشقاء. وكان من عادة هؤلاء أيضاً أن يتخذوا من مرافق الحشاشين ملاذاً لهم، واستخدموه فى أعمال اللصوصية والمغامرات وبيوت الدعارة للبقاء من أجل تحصيل أكبر كسب ممكن، ويدفعون سنوياً جزية للأغنياء والأقوياء من الرجال الذين يحتمون فيهم، وهكذا يمارسون جرائمهم المألوفة، التى بلغت أقصى درجات الإثم، مما يستوجب عليهم اللعن من جميع الأفراد. ولقد استمر هؤلاء فى ممارسة البغاء والمغامرات اللا إنسانية من أجل الحصول على أكبر كسب مادى ممكن؛ إن هؤلاء مرتكبى الآثام والبغاء والجرائم، وكذا الأعمال البغيضة الأخرى من أجل الحصول على الأموال، كانوا معارضين لأوامر السيد المسيح. وعلى هذا، فكان من الضرورى أن يلتقى هؤلاء مشتركين فى العقاب نتيجة ما ارتكبوه من آثام وجرائم.

لقد قام بعض هؤلاء، خاصة اللطالشين منهم بالذهاب إلى الأماكن المقدسة، ليس بهدف الحج أو التقوى أو الورع، ولكن بهدف الفضول وحب البدع حتى أنهم كانوا يذهبون إلى أرض مجهولة، ثم يتأكدون من أنهم أصبحوا غرباء بسبب جهلهم واستجابتهم للقصص الأسطورية من الشرق.

فى الواقع إن الله خلق بعض الأعمال الخارقة فى الأرض المقدسة. انشر
تمثل فى الواقع الحكمة، مما دفع الرجال الأكثر واقعية إلى أن يتكبروا على العمن
من أجل تسبيح وتبجيل الله، حتى أن القديس برنارد^(١) الذى جاب حول البحار
والمحيطات، ولكن المتهورين والفضوليين من الرجال هذه الأشياء الخارقة لله إلى
الطبيعة، ليقتلوا من قوة الرب والثناء عليه. ولكن القليل من هذه الأشياء نتعبره
صالحاً، بالإضافة إلى تلك الأعمال. كما أنه يمكننا أن نحقق مكاسب من أجل أن
نبدل جهداً كبيراً للتعلم.

إن الخطر والفرع الذى أحدثه الزلزال، لم يكن فقط فى المملكة اللاتينية.
ولكن أيضاً فى البلدان المحيطة بها، وعلى وجه الخصوص المدن الساحلية حيث
اشتدت الرياح، التى تولدت نتيجة اندفاع موجات تحت سطح الأرض أحدثت
تجويقات فى الأرض بينما تحبس اندفاع الهواء عندما لا تحدث فتحة ولكن تهتر
الأرض وترتعد بقوة ثم يحدث انفجار، وإذا لم تقاوم الأرض تلك القوة، فتحدث
فتحة وتتكون هناك دوامة كبيرة، وبذلك تتحول المدن أحياناً إلى جهنم، وعندما
لا تنفجر الأرض فتحدث اهتزازات مثل تلك الانفجارات العنيفة، ويكون من نتائجها
أن تتحول تلك المدن وأسوارها وأبراجها ومباني أخرى إلى انهيار مفاجئ ويموت
الناس دونما قصد بسبب حدوث دخان كثيف، بينما العقلاء من الناس فى تلك
المناطق والذين لا يعرفون ما هى الساعة التى تسبق العاصفة التى تفاجئهم
يسهرون ويجهدون أنفسهم، بل أنهم يعدونها - أى أرواحهم - إلى الموت، دونما
الإصرار على التمسك بالحياة، فهم لا يستطيعون أن يتحدوا الموت.

^(١) هو كبير أساقفة كلوريفونت فى أيرلندا، مات عام ١١٧٦م، عن أربع وتسعين عاماً

وكان من نتيجة هذه الزلازل، أن تحطمت بعض المدن خاصة مدينة صور، بعد أن وقعت في أيدي اللاتين وتحطمت بما فيها من سكان، وفي الوقت الذي كان يهاجىء الغرب تلك العواصف والبرق والرعد في فصل الصيف كان يحدث هذا في الأرض المقدسة في فصل الشتاء. وأن الصيف في الأرض المقدسة لم يسقط فيه مطراً أبداً، أو ربما إن حدث وهطل المطر، لم يكن شيء يذكر، غير أن الأمطار غالباً ما تسقط في الشتاء وتستمر مدة ثلاثة أو أربعة أيام متصلة ويحدث طوفان وتنتشر المستنقعات وتغمر كل الأرض. بيد أن غالباً الأرض المقدسة تنتشر فيها الرمال وتحفظ الجبال بقممها، مثلما هو الحال في لبنان. أما في موسم الصيف، حيث تشتد الحرارة في أيام تعرف بأيام الشعري^(١)، وفي شهر أغسطس يأتى رمال باردة إلى بيت المقدس تمتد يومين أو أكثر في رحلة من لبنان، وتكون ممزوجة بالرياح التي يتحول فيها البرد إلى ثلج، وتظل تلك الرمال قائمة لكونها مغطاة بالقش والتي لا تسمح لها بالذوبان رغم حرارة الشمس أو دفء الجو.

وفي السامرة تتساب عيون المياه العذبة الصافية في كل من البحر والبر، وهي تغير لونها أربعة مرات في السنة، فتكون خضراء أو حمراء كالدّم أو ترابية أو عكرة اللون وتكون هادئة وصافية أحياناً رابعة. وهكذا فإن الناظر إلى تلك المياه يزداد دهشة وسروراً. إن البلر المغلق لم يدفع مياهه بقوة المياه العذبة في داخله، كل يوم دون فترة راحة، أو فترة فاصلة تتراوح بين ثلاثة أو أربعة أيام في الأسبوع، وبالقرب من جبل لبنان وبين مدينتي أركس "Archas" ومدينة رافانا "Raphana" يوجد نهر سريع الجريان وممتلئ بالمياه ونعرفه باسم سبتكل "Sabbitcal"، لأنه يفرغ مياهه تماماً ستة أيام في الأسبوع، وفي اليوم السابع فجاء يندفع بقوة، وفي كل من صور وعكا انتشرت صناعة الزجاج الخالص البعيد عن استخدام رماد وحصى البحر.

^(١) هي الأيام التي تتحدد في الفترة ما بين أوائل يوليو وأوائل سبتمبر، إذ في هذه الفترة تكون درجة الرطوبة عالية جداً في تلك للمنطقة. فظفر المورد الكبير.

وهكذا وبكل ما تحمل الكلمة من معنى، منح المسيح "الرب" شعبه المروج الخضراء، وكان من قبل غاضباً جداً على إرثه، الذى جعل أعدائنا قد بلغوا عنان السماء، وأصبحنا نحن فى الذيل للدرجة أنهم أخذوا أرضنا بالقوة، ليمن فقط أرض الميعاد، ولكن تقريباً للبلدان والمدن والقلاع التى تمتد من صور حتى العراق، والمدن الواقعة على شاطئ البحر، وتركوا لنا فقط اثنان منها هما صور وطرابلس، بالإضافة إلى أنطاكية وقليل من المناطق الحصينة مثل قلعة "Cursatum" وتقع بالقرب من أنطاكية والكرك والمرقب والقلعة البيضاء وعرة "Archis" وأنطاروس وقلعة أنفا "Nephtin" كونتية طرابلس، وكل المدن القوية فى الداخل، سقطت فى أيدي المعوقين منهم، وهذه وتلك الكارثة كانت أفضل من تبعية كونتية الرها لهم إذ كانت بداية التعاسة، بسبب موت جوسلين الثانى الذى لم يكن مثل أبيه من حيث الكفاءة والقدرة، بل تنحس فى الملذات والفساد وأهمل أمر الدفاع عن مدينة الرها مما أدى إلى فقدانها وسقوطها، فى أيدي لدموى "صفاك الدماء" سيد الموصل التى كانت عاصمة إقليم آشور، وضرب حصاراً حول المدينة، وكسر فتحات بالقوة فى أسوارها، ثم أخذها عنوة، ونزلت عدالة السماء وانتقم من جوسلين حيث وقع أسيراً فى أيدي المسلمين ومات جوعاً فى سجن حلب، وبعد هذا مباشرة تنازلت زوجته عن ممتلكاتها إلى إمبراطور القسطنطينية مقابل دخل سنوى "annuity".

وأرسل الإمبراطور ما أمكنه من قوات عسكرية يونانية ووعد بأنه سوف يقوم بالدفاع عن الأرض ضد المسلمين، وابن الدموى السابق "أمير الموصل"، وحل بسبب تراجع واتسحاب اللاتين، غير أنه فى نفس العام تنازل بعض اللاتين والقليلين منهم غير راغبي الحرب والمعروف عنهم الجبن والضعف تنازلوا عن

المدينة فى نفس العام، وقتل بعض اليونانيين داخل المدينة وأخذوا البقية الباقية إلى السجن، وقام أمير الموصل نفسه - نورالدين محمود - بقرض الحصار حول قلعة تعرف باسم "Hrence" أى حارم، وهى تنتمى إلى إمارة أنطاكية، وتقع على بعد عشرة أميال من أنطاكية، وفى نفس الوقت ذبح ريموند أمير أنطاكية فى المعركة، وتولى ابنه يوهيمند عرش الإمارة من بعد مقتل أبيه، وكان قد وقع أسيراً فى أيدي المسلمين، وبذلك قام نورالدين محمود بسهولة بتحطيم للقلعة ولم يلق غير مقاومة ضعيفة، وبذلك يكون قد استولى عليها بالقوة وضمها إلى ممتلكاته فى مدينة باتياس، بينما كان ملك بيت المقدس أمالريك فى طريقه قادماً من مصر! ومنذ ذلك الحين بدأت قواتنا تضعف وتتهار، ورغم هذا ظلت تدافع عن الأرض المتبقية طالما أن مملكتنا مصر ودمشق باقية فى أيدي زعامات متنافرة، ومعادية بعضها مع بعض.

غير أنه بسبب أخطائنا وأثامنا السابقة، أعطى الفرصة لمملكتنا مصر ودمشق على أن تكونا تحت زعامة رجل واحد، هو نور الدين محمود، ومن بعده صلاح الدين، بينما أخذت مملكة بيت المقدس التى كانت تقع بينهما تتأهب للسقوط، وتحولت إلى حالة من الفوضى والارتباك الشديد، حتى صار أحد مسلمى باتياس، - وهى إحدى مقاطعات نور الدين - من أن يكون سيداً على مصر، ثم تحولت بموته إلى ابن أخيه صلاح الدين. كان صلاح الدين هذا حكيماً وصاحب مقام رفيع، يتميز بالمهارة الفالقة بين قواته وهو مقاتل محنك - بعيد النظر - حازم فى عمله، كان يتسم بالتسامح الواضح، ليس فقط مع المسلمين ولكن أيضاً مع المسيحيين، وهذا ما جذب إلى جانيه كل من كان فى حضرته أو كان بعيداً عنه.

إن كل العالم يعرف كيف أنه قد أصابتنا شروراً وأضراراً كثيرة، عندما أنزل الرب جم غضبه على المسيحيين ومزقهم إلى أشلاء متناثرة، وبعد كل هذا قد علم صلاح الدين بموت سيده "نورالدين محمود" فانتزع مملكة دمشق من حاكمها "ابن نورالدين" الذي كان يعيش آنذاك في حلب، وكان قد مات في التو بينما نجح رئيس المملكة بإحراز انتصاراً كاملاً عليهم، لو أنه خوفهم بسبب خيافته العظمى، وقد استمر في انتزاع بعض مدن الأغنياء من زعمالهم السابقين الذين كانوا يخدمونه "أي ابن نورالدين" وكذلك أبيه. وبالمثل حماة ومواب *Moubee*، وكذلك مدينة الرها، وطبقة العامة الذين يعرفون بالحمل وكذلك حمص "*Homs*" وقيسارية وشيزر.

وبعد وفاة ابن نور الدين السابق سقطت حلب في أيدي عمه سيد الموصل، عن طريق الحق الوراثي، ثم انتزعها صلاح الدين بالقوة، وليس فقط حلب، ولكن أيضاً كونية الرها، وكل البلدان التي تمتد على نهر الفرات ومدن العراق النابذة والرها وحران "*Carra*" وتقريباً كل البلاد. وكان نجاحه وانتصاره قد أفزعت قواتنا وأغضبتهم وأخذتهم، خاصة منذ أن بدأ المسلمون الذين كانوا في مواجهة اللاتين الأوائل والذين لم يكن لديهم خبرة حربية ولجبروا على الدخول في المعركة دونما أية أسلحة في أيديهم، لا يحملون شيئاً، ولكن فقط للسهم والأقواس التي تدربوا عليها، المقابلات المتكررة مع قواتنا في أرض المعركة أدت إلى أنهم اكتسبوا منها الخطط العسكرية، فكبدوا اللاتين في استخدام دروع لحماية الصدر، والخوذ والرماح والسيوف والتروس الواقية، فلتستريح مملكة بيت المقدس وتسقط في أيدي واحد من أولئك الذين لم يكن من ذرية هؤلاء النسل. وقد منح هؤلاء حرية كالتي كانت لبنى إسرائيل، وكان نتيجة لهذا أن وقع شجار وكرامية بين بارونات مملكتنا.

كان جودفروي من أوائل اللاتين الذين وضعوا أساس "قواعد" الحكم في مملكة بيت المقدس، وبفضل رعاية السماء حرر الأرض وخلصها من أيدي المسلمين.

وفي الواقع حكم لمدة عام واحد، وقد هزم سلطان مصر في المعركة مع عدد لا يعد ولا يحصى، من قوات المسلمين، وعندما كان يحتضر تقدم أخيه بلدوين كونت الرها، ليتولى عرش مملكة بيت المقدس، وكان أول ملك لمملكة بيت المقدس، لأن أخيه جودفروي، رفض أن يرتدي "يلبس" تاج المملكة لأول مرة، وبذلك قام سيده بالباسه التاج الملكي "عرش المملكة". وكان بلدوين هذا مع مائتين وستين فارساً وتسعمائة من المشاة هزموا خليفة مصر، والذي كان على رأس أحد عشر ألفاً من الفرسان وثلاثين ألفاً من المشاة ضده، وقام بلدوين بذبح الخليفة ومعه خمسة آلاف من المسلمين، أما البقية الباقية منهم فقد أخذهم كأسرى، وأُنقذ لبعض الآخر بالهروب، وأيضاً في معركة أخرى مع قوات قليلة جداً تمكن من هزيمة قوات ضخمة جداً في عسقلان ومصر. وفي معركة ثالثة كان معه خمسمائة فارس وألفان من المشاة هزموا خمسة وعشرون ألفاً من المصريين، وذبحوا أربعة آلاف منهم وكان من بينهم سيد عسقلان، وقد هرب الباقون. لقد حكم مدة ثمانية عشر عاماً ثم مات بعد ذلك، وكان خليفته وثان ملك لمملكة بيت المقدس هو بلدوين دى بوج وهو أحد أقربائه، قاد في عامه الثاني من اعتقاله العرش سبعمائة فارس، والتحم في معركة معه غازي وهو واحد من ديار بكر من أقوى أمراء الترك.

قام غازى هذا بقيادة حشد لاحصر له من الأتراك وكان قد هزم فى المعركة وقتل أربعة آلاف من قواته وألقى بعضهم فى السجن ، وهرب هو بنفسه بصعوبة مع القوات الباقية. وفى المعركة الثانية قاد بلدوين أحد عشر فارساً وألفين من المشاة وهزم ملك دمشق الذى قيل أنه كان فى حوزته خمسين ألفاً من الفرسان وقد ذبح منهم ألفين وأخذ بعضهم وجرّد عدد كبير منهم بينما البقية الباقية منهم قد فروا هاربين مع قائدهم وهذا فى مقابل سقوط أربعة وعشرين من قواتنا. وفى معركة ثالثة قام هذا الملك بتحطيم قوات عسقلان التى تجمعت مع القوات المصرية التى حضرت لمساعدتهم. وفى رحلة رابعة سحق ملك دمشق ذابحاً ألفين من العدو مقابل فقدان أربعة وعشرين من فرساننا وثمانية من المشاة. حكم مدة ثلاثة عشر عاماً ثم مات. وكان خلفته على عرش مملكة بيت المقدس، صهره "زوج ابنته" فولك الاتجوى وذلك بزواجه من ابنة الملك الكبيرة، ليسند، وقاتل فى معركة بالقرب من انطاكية ضد حشود لا حصر لها من الأتراك الذين اندفعوا بقوة من الخليج الفارسى، وحقق نصراً حاسماً على الأعداء ، وذبحوا ثلاثة آلاف منهم وسجنوا بعضهم وأجبروا الآخرين على الفرار. لقد حكم أحد عشر عاماً ثم مات عندما كان يقوم بعملية صيد لأرنب وحشى بالقرب من عكا حيث تعرّض وحصاته وسقط من فوقه، ووقعت كارثة تبعث على الأسى والحزن حيث مات "فولك" تاركاً ولدان الأكبر يعرف باسم بلدوين الذى تولى العرش "عرش المملكة الصليبية من بعده" ويُعرف الابن الثانى باسم امانريك. وفى السنة الخامسة عشر من حكمه قاتل هذا الملك نورالدين أمير دمشق وظل سيد الميدان، وقد فر نورالدين مع بعض قواته بينما ذبح البقية الباقية منهم. وقد حكم مدة أربعة وعشرين عاماً ومات دون أن يكون له أولاد فتولى عرش المملكة من بعده أخيه امانريك وفى السنة الأولى من حكمه قاتل ضرغام رئيس الوزراء فى مصر وحقق نصراً

خارقاً في ذلك اليوم ونحدث مجرزة عظيمة على الأعداء. وفي المعركة الثانية في بركة مصر كان على رأس ثلثمائة وسبعين فارساً وقاتل ضد المسلمين "شركوه" رئيس وزراء سلطان دمشق وكان جيشه من المسلمين يتكون من إثني عشر ألفاً من التركمان وإحدى عشر ألفاً من العرب، وقد تفرقوا في الليل، عندما سقط مائة من قوتنا، وقيل أن ألفاً من الأعداء قد قُتل، لقد حكم اثني عشر عاماً، وقد تولى ابنه بلديون "الرابع" عرش المملكة عندما كان أبوه يحتضر. وعلى الرغم من أن الله قد أصابه بمرض الجذام إلا أنه كان ملك قوی. ففى السنة الثالثة من حكمه كان على رأس ثلثمائة وخمسة وسبعون فارساً والتقى بصلاح الدين بالقرب من عسقلان ومعه ستة وعشرون ألف فارس وهزمه. ولحق صلاح الدين هارباً مع بعض فرسانه وأما البقية الباقية منهم ذبح بعضهم وسجن البعض الآخر، وكان ذلك مقابل أربعة أو خمسة من رجالنا. ثم التقي بصلاح الدين في معركة أخرى بالقرب من طبرية ومعه سبعمائة فارس وهزمه على الرغم من أن صلاح الدين كان معه عشرون ألف فارس. وفي هذه المعركة، ذبح بلديون ألفاً من الأعداء مقابل سقوط عدد قليل من جانبنا. ولم يتزوج هذا الملك بسبب مرضه، ثم زوج أخته من اثنين من النبلاء، وكانت أخته الكبرى سبيلا قد تزوجت من ولیم لونهورد مركيز من موغترات وتزوجت ايزابيلا من هيمفري من توران، وبموت ولیم زوج سبيلا ترك له ابناً يعرف باسم بلديون وأعطى الملك "زوج الملك" أخته سبيلا من شاب يعرف باسم جوى لوزجنان، هذا الأخير قد تسلم إدارة المملكة بسبب اشتداد المرض على الملك بلديون الرابع، ولكن وقعت وحشة بينهما، وغضب الملك وفقد لوزجنان عرش المملكة. ومن أجل ذلك دعا الملك جميع المسنولين في المملكة ودعا أيضاً ابنة عمه الصغير بلديون ليكون ملكاً مكرساً. ووضع بلديون مسئولية وإدارة المملكة وأمر الدفاع عنها في أيدي كونت طرابلس.

لقد مات الملك بلديون بعد ذلك بفترة قصيرة بسبب مرض الجدّام. وبينما كان الملك بلديون على فراش الموت اعتلى جوى لوزجنان عرش المملكة بعد زواجه من سبيلا صاحبة الحق الشرعى فى عرش المملكة دون الرجوع إلى كونت طرابلس الذى كان قائماً بأمر الوصاية على كل شئون المملكة. وكان الكونت ساعطاً على ذلك. خاصة وأنه كان يطمع فى العرش فعقد هدنة مع صلاح الدين دون الرجوع إلى الملك "جوى لوزجنان" الذى كان بمثابة عدوه الأول - أى عدو كونت طرابلس - وزاد من قوته فى المملكة كيما يمكن مواجهة الملك ويستغل الوسائل التى تسبب له الأذى والضرر، فتروج من الوريثه لكل من طرابلس والجليل. وعلى هذا، فقد بدا كونت طرابلس معادياً بشكل خطير ومؤذى بالنسبة للمملكة حتى أن المملكة تحزبت وانقسمت بين مؤيد للكونت وآخر فى جانب الملك.

كان صلاح الدين رجل حكيم اشتهر بحنكته العسكرية، وصاحب بصيرة بالأمور أمامه، حتى أنه استطاع أن يستغل انقسام المملكة على النحو السالف، مما جعل صلاح الدين أكثر قوة وثباتاً على ممتلكاته، لأن سيد مونتريال "قلعة الشويك" وكل البلدان الواقعة خلف الأردن قد نقضت الهدنة مع صلاح الدين، مما دفع هؤلاء أعمال الشعب والسلب والنهب، وقد جمع صلاح الدين قوات عسكرية من كل البلدان التى تقع تحت سيطرته وطلب الإغاثة والنجدة من كل الفرسان والمشاة ليقاتلوا ضدنا من المصريين وجزيرة العرب والدماشقة والحلبيين والعراقيين وأرسل من قبله عشرة آلاف اختبروا من الفرسان، الذين مروا عبر أراضي كونت طرابلس، الذى وقع المعاهدة مع المسلمين. وعلى ذلك فإن البلدان طبرية، والناصره وضواحي عكا كانوا يحرضون على وقوع معركة مع قواتنا حتى النهاية ولو أننا اتبعنا طيشهم وتهورهم لعرضنا قواتنا للهزيمة والأسر فى أيدي المسلمين. ولكننا لم نستجيب لتلك الحيلة الماكرة من قبل براعة المسلمين. غير أن رئيس الداوية.

وأكثر من سبعمائة فارس هاجموا بقوة مع رئيس الاسبتارية الذي كان عانداً مع عشرة فرسان من قلعة بلفوار "Belvoir" - أى كوكب الهوا الآن - ثم انفصلوا عنهم بالقرب من قلعة روبرت "Casale Robert" وهى مكان الآن يعرف باسم كفر كانبا. وعلى الرغم من أنهم كانوا مائة وعشرين فارساً فقط فى رحلتهم ضد عشرة آلاف مسلم، إلا أنهم قاوموا بشجاعة وذبحوا بعض المسلمين، غير أنهم جميعاً قُتلوا تقريباً أو أسروا وهرب رئيس الداوية مع قليل من أتباعه بينما ذبح رئيس الاسبتارية. وهكذا كان أول مايو يعتبر انتصاراً حربياً قد حققه الأعداء علينا، وبذلك تنفخ المسلمون الصعداء، بعد تلك المعركة وحشدوا كل قوااتهم، وفى يونيو التالى ضرب المسلمون حصاراً حول مدينة بعيدة جداً عن مملكتنا ناحية دمشق ويبدو أنها طبرية، لأن كونت طرابلس الذى كان ينتمى إلى تلك المدينة قد تسحب من المسلمين عندما نقض المعاهدة، فإنه كما زعم هو أنه كان بينه وبين المسلمين فرساً واحداً وقد دبروا معه مكائد وشرور كثيرة ضد ملك بيت المقدس. وبذلك قام بتحسين المدينة سالفة الذكر ضد المسلمين، وترك زوجته مع حامية عسكرية فى الموقع. والآن قام السيد جوى لوزجنان ملك بيت المقدس وريموند كونت طرابلس مع معظم نبلاء المملكة وكل الفرسان والمشاة الذين أمكن تجنيدهم، وقد أمدهم الله أثناء المعركة بجنود اتجهوا معهم لمحاربة وقتل المسلمين "صلاحي الدين" وثبتوا خيامهم بموقع هام بالقرب من صفورية وكانت قواتهم أكثر عدداً وأمنأ من مساعدة الرب. وعلى هذا ومنذ ذلك الحين وعند دخولهم الأول إلى الأرض المقدسة لم تستطع قواتنا أن تجتمع فى حشد كبير وفى معركة واحدة. وجدير بالذكر أن مائة وأثنى عشر فارساً بدروهم وحوالى عشرون ألف من المشاة مع الجيش بالرماح والأقواس لم يقوموا بالدور المطلوب منهم فى تلك الحملة.

وفى الصباح وعندما كان جيشنا فى الطريق متجهاً نحو المدينة المحاصرة فإن حشوداً عظيمة من فرسان جيش صلاح الدين البارزة هاجموا المدينة وقاموا بمغامرة من الجانب الأيمن وكذلك من الجهة اليسرى وجرحوا الخيول على نحو متواصل وكذلك قوادهم حتى أنهم أجبروا الجيش على أن يتخذقوا وينصبوا خيامهم فى مكان مقفر جذب. وقد أدرك صلاح الدين بحكمته هذا الموضع السيئ، وفى الصباح وقبل أن تصل قواتنا إلى المياه النقية فى حطين بالقرب من طبروز، ومع صفوة من قواته الخاصة اقتضوا على قواتنا التى كانت فرسانها وقوادها قد هلكوا من شدة العطش وبالمثل كانت الحرارة شديدة، لأن الحرارة عادة ما تكون شديدة فى شهر يوليو.

وفى اليوم الرابع كان عيد الانتقال للقديس مارثان فى السنة الحادية عشر بعد المائة وسبعة وثلاثين بعد تجسيد المسيح، ومن أجل خطاياهم حرر المسيح الشعب المسيحى من أيدي المسلمين، وبسبب هروب قواتنا فجأة انحسرت أعدادهم وصاروا قلة، حيث ذبح بعضهم وسجن البعض الآخر. وبسبب تلك الرهبة والجبن أنزل الرب جم غضبه عليهم، لأن الفرد "لواحد" من الأعداء كان يطارده أمامه مائة من رجالنا، كما أن بعض قواتنا كانت تلقى بنفسها بين أذرع الأعداء، بينما البعض الآخر كان يوافق على أن يسلم نفسه إلى أيدي الأعداء. وبعد هذا القتل الكثير وقع الملك جوى لوزجنان ملك بيت المقدس مع كبير الداوية وبعض الأعيان فى الأسر بينما هرب الجبناء قبل أن يتعقبهم هذا المصير المحتوم. حتى أنهم كانوا على يقين من أن الرب كان غاضباً عليهم، والذى لا ريب فيه، أن الحجاب الذى كان بينهم وبين ربهم قد سلب منهم، لقد كانوا تصساء وأصحاب حظ سيئ فى ذلك اليوم الأسود لفقدانهم صليب خلاصنا، الذى سقط منهم فى المعركة معهم. وفى الحقيقة كان تفكير صلاح الدين هو تحطيم قادة الداوية والاستبصارى فى الشرق فكانت أوامره لهم أن كل واحد منهم قد أخذت قواته يجب أن يقطع رأسه.

بعد فترة طويلة من تلك الكارثة كان بعض المسيحيين قد ألفوا حياة الهرب وحتى أولئك الذين كانوا يعيشون خلف المدن والأماكن الحصينة كانوا يتسمون بالفتور مثل النساء، واضطربت قلوبهم لأن بعضهم لم يجرؤ أن ينتظر وقوع هجوم من بعض المسلمين.

وعلى ذلك، وعلى الفور، وبعد قنصار صلاح الدين عندما كان أمام عكا استسلمت المدينة، وأمن صلاح الدين أصحابها على أنفسهم ثم انطلق بعد ذلك إلى بيروت، وكانت تلك المدينة أيضاً قد استسلمت له دونما أية مقاومة نظراً لما أصاب سكانها من بأس وقنوط، ثم يعم صلاح الدين بعد ذلك إلى جبيل "Giblum" شمال بيروت دونما أية صعوبة ولم تكن أي من المدن الساحلية الممتدة من عكا إلى عسقلان تجرؤ على مقاومة صلاح الدين، غير أن أهل عسقلان كانوا يعتقدون أن مدينتهم حصينة ومنيعه ولذا اعترضوا وقاموا صلاح الدين وأوقفوا ثكنته فترة من الوقت، وأجابوا بأنهم لن يستسلموا إلا بعد أن يعرفوا مصير مواطني بيت المقدس، وكان صلاح الدين قد ثبت خيامه أمام مدينة بيت المقدس، وقام المسيحيون في المدينة بتسليمها إلى صلاح الدين مقابل سماح صلاح الدين لهم أن يحملوا أمتعتهم وبضائعهم والتوجه بها إلى حيث يشاؤون وكل ما يستطيعون حمله إلى أرض بعيدة. وعلى هذا فقد تمكنوا من الهروب من أيدي الأعداء. ولكنهم بعد أن وصلوا إلى طرابلس وقعوا في أيدي مضلة ومدنسة، وكان ريموند كونت طرابلس قد حضر معهم ليسلبهم بكل ما تحمل الكلمة من معنى وكان أبناء باليان من أتباعه، وكان من الواجب على هؤلاء أن يبدوا لهم خيانتهم باعتبارهم إخوانهم في المنفى، ولكنهم أنهتوا لهم أنهم أكثر وحشة وقسوة للمسيحيين من المسلمين أنفسهم، حتى أنه يمكن القول أن ما قاموا به من أعمال هناك كانت حقيرة وجديرة بالشفقة، وبلغت هذه الأعمال من الوحشة والتدنيس ما لم يسمع به في عصور سابقة.

إن بعض هؤلاء قد بلغ به السفه إلى سرقة ما كانت تحمله الأم على كتفها من أشياء تذكرها لأبنائها واعتدوا على أمتعتهم وحتى آدميتهم بالسلب والنهب. وعندما شاهدت تلك النساء ما تعرضن له من أعمال السطو والسرقه من جانب أخواتهم المسيحيين - وهى أشياء كان المسلمون قد تركوها لهم من أجل أبنائهم !! - كانوا يفضلون العودة ، فوراً إلى بلادهم عن طريق البحر، حيث كانت تعمل النساء يفضلن الحياة فى بلادهن بعد أن أصابهن الكرب واليأس من الحياة هناك. عاد صلاح الدين إلى عسقلان بعد أن استسلمت له المدينة مقابل إطلاق سراح الملك ورئيس الداوية اللذين كانا قد وضعا فى السجن من قبل، وعندئذ عاد إلى مزاوله نشاطه كجندى رشيق، فواصل الزحف إلى طرابلس بعدما قام مواطنوا المدينة بحركة تمرد ومقاومة ضد جند صلاح الدين. ولكن صلاح الدين كان قد ترك المدينة لحين وقت مناسب وقام بالاستيلاء على بعض الأماكن الحصينة ثم اتجه إلى أنطاكية لأنه منذ ذلك الوقت لم يعد يتدخل فيما لا يعنيه باستثناء القلاع والحصون التى تمتد على الساحل، وكان زعيم اللقاصنة المعروف باسم مورجريت 'Murgarir' رجل شجاع له الهيمنة والسطو على البحر، وجاء من مملكة صقلية ومعه ثمانين سفينة لمساعدة قوتنا، وأرسل ملك صقلية معهم هذا الرجل . إن هذا الملك عندما سمع بسقوط بيت المقدس للباحث على الأسى ، لجأ إلى بلدته عن طريق البحر، وقام مباشرة فى نفس الصيف وأرسل ليس فقط السفن السابقة ولكن أيضاً خمسمائة جندى وثلاثمائة من القوات الخاصة "Turcopoles" وزودوها بمؤن كثيرة لمساعدته ما كان قد بقى من الرجال الممتازين وذوى الجراءة ، وكانت روح صلاح الدين العالية جعلته يواصل انتصاراته بقوة ونشاط إذ فى خلال ثلاثة شهور فاز بإمارة أنطاكية وحصن بطريركية أنطاكية المنيع المعروف باسم القصور 'Cursatus' ، وأنطاكية المدينة نفسها التى ضرب حصاراً عليها وتلقى مبلقاً كبيراً من المال من البطرق من منطلق القوة، ثم استولى بعد ذلك صلاح الدين على المناطق الحصينة التى تحيط بالقلعة ، ولم تستطع

إحدى المدن التصدى له ومقاومته، وعلى هذا جعل من نفسه سيداً على خمسة وعشرين مدينة، وكذلك المدن الخاصة بالإمارة . وبعد ذلك وفي أثناء عودته إلى بيت المقدس ، كان قد حاصر وطوق تماماً من البحر والبر مدينة صور وهي المدينة الوحيدة التي بقيت من كل مدن الأراضي المقدسة . وكان في ذلك الوقت في المدينة صور نبيل شجاع هو كونراد ماركيز موتفورات ، الذي أبحر إلى هناك على ظهر سفينة من القسطنطينية، وفي نفس اليوم كانت قواته قد هزمت في المعركة السابقة . وقد وعد هذا النبيل المواطنين بأنه سوف يدافع عن المدينة إذا هم وعدوه أن يمنحوا إياه بعد أن يستردها من العدو . وبعد إلحاح كبير ، وافق المواطنون على أن يفعلوا هذا، لأنهم على يقين من أنهم لن يستطيعوا أن يؤمنوها بأية طريقة ممكنة أو التصدى في وجه صلاح الدين الذي جعل من نفسه الآن سيداً على كل البلاد .

على أية حال، قاوم كونراد صلاح الدين بقوة في المناطق المجاورة، وأشعل النار في سلفه الموجودة في البحر . وقد أدى هذا إلى ارتباك صلاح الدين وأثار غضبه واضطر إلى رفع الحصار ورحل على الفور . ثم فكر صلاح الدين في أن يضيق الخناق على أهالي صور ويجبرهم على الاستسلام دونما أدنى تكليف أو خسارة ودون إراقة دماء، وبهذه الوسيلة استطاع بسهولة أن يحقق هذا الهدف . ولم يمهّد الرب بطريقة أخرى لأن صلاح الدين أجبر بعض المناطق الحصينة على الاستسلام مثل صند Saphet، وبلوار "Belphoir" - أي كوكب الهوا الآن وتبين "Toron" وشقيق ارنون بلفورد "Belfort" وظلت تلك المدن صامدة حتى نفذت مؤنهم، فاضطروا إلى الاستسلام .

وهكذا فإن صلاح الدين استطاع بأقل مجهود أن يصير سيداً ليس فقط على مصر، ولكن أيضاً على كل سوريا التي تمتد من نهر دجلة "Tigris" حتى مصر ومن قبليّة حتى البحر الأحمر .

إن الجزء الأول من سوريا والذي يمتد بين دجلة والفرات يُعرف باسم عراق سوريا ، والجزء الثاني يعرف باسم جوف سوريا "*Coele Syria*" فى تلك المناطق توجد أنطاكية وملحقاتها من المدن ، والتي تمتد بعيداً حتى نهر باتياس *valanie* جنوب قلعة المرقب *Margat* ، ويسمى الجزء الثالث من سوريا باسم الساحل السوري أو سوريا الفينيقيّة وفيه تقع طرابلس وصور وعكا، وتبدأ من النهر المسالف الذكر، وتنتهى عند لوبس لنكوس والتي تسمى بـ "*Distrietum*" ^(١) وفى تلك الأيام تُسمى قلعة العجاج ^(٢). وأما الجزء الرابع من سوريا فيُعرف ببلبنان سوريا حيث توجد فيه جبال لبنان، وتسمى أيضاً دمشق سوريا لأن دمشق هى عاصمة المدينة.

وأحياناً يُطلق عليها اسم سوريا باعتبارها جزء أخذ اسمه من الكل وكما هو فى النص الأصلي "واس سوريا دمشق". وهناك ثلاث مدن فلسطينية هى التى تمثل أعظم أجزاء فى سوريا، الأولى هى عاصمة مملكة بيت المقدس ، وهذا الجزء بصفة خاصة يسمى يهوذا ، والثانى وهو العاصمة ، فيصريّة فيليب وهى التى تحتوى على كل بلدان فلسطين . أما المدينة "الجزء" الثالثة سكيثوبوليس "*Scythopolis*" ، والتى تُعرف اليوم باسم بيثان ، وفوق كل ذلك ، فإن كل جزيرة العرب هى سوريا وتُعرف الأولى منها بالعاصمة بصرى، والثانية هى البتراء فى الجردى ولكن سوريا النقب، عاصمة السوياط هى من أعظم أجزاء سوريا، وأما الجزء الأخير فيُعرف بواى عربية "*Idumaea*" ، ناحية مصر، وكانت خصم عنيد، وقوى لها السيطرة على أجزاء عديدة من المملكة وكذلك بعض المناطق الرئيسية ، كانت موط عذاب ضدنا سلطه الله علينا بسبب ما ارتكباته من أثام.

^(١) ميناء قديم شمال عثلاث

^(٢) وهى للقلعة التى بناها رجال الداوية ١١٩٢م وكلمة Distet هى اسمها القديم تسمى أيضاً خطأ بقيسارية فلسطين.

وفى الوقت نفسه فإن سوء أحوالنا الذى يبعث على الأسى والحزن قد انتشر وكان صدمة لكل بلدان الغرب حيث أصيبوا بخيبة أمل جميعاً وكذلك تأثر الجميع بجرلهم الرهيبة . وفوق هذا فإن البابا المجلل أوربان (٦) الذى كان عندئذ بابا الكنيسة الرومانية المقدسة، عندما سمع بهذه الأخبار، انتابه الأسى والحزن، لأن فى أيامه كانت الكنيسة للشرقية فى حالة يرثى لها . انتابها الجذب، وأصبح من المتعذر إصلاح ما تحطم، وعندما سمع أن الأماكن المقدسة قد دنست ووطأتها "الكلاب القذرة" بأقدامها فإن خشبة الصليب النفيسة، خشبة خلاصنا، قد ملكها ووضع عليها أيدي أناس غير أتقياء أو مخلصين، وأن الأرض المقدسة قد استردت مقابل تضحيات المسيحيين الأرائل بدمالهم، ولكن لليهود والكفرة قد احتلوها للمرة الثانية، ما أحزن ذلك أوربان الثالث، حتى تعرض للإصابة بالحمى وظل بعد ذلك مصاباً بالحمى والحزن حتى وهن ومات. وقد تولى العرش البابوى من بعده سلفه جريجورى (١) وكان رجل صادق ومخلص كثير الإحسان. غير أنه مات متأثراً بآثامنا بعد سبعة أسابيع من توليه المنصب البابوى.

تولى من بعده كليمنت الثالث (٢) الذى وصل إلى أعلى المناصب الأسقفية للمبجلة واجتمع إخوانه للكرادلة الذين كانوا يعملون بكل السبل لمساعدة واسعاف المسيحيين الذين أهملوا باعتبارهم قلة مثلما هو الحال "ترك الأغنام بين الذئاب".

(٦) هو أوربان الثالث تولى كرسي البابوية فى ٢٥ نوفمبر لسنة ١١٨٥ ومات فى ١١ أكتوبر ١١٨٧

(١) هو جريجورى الثامن تولى العرش فى ٢٩ أكتوبر سنة ١١٨٧ ومات فى ١٧ ديسمبر من نفس العام.

(٢) تولى فى ١٩ ديسمبر لسنة ١١٨٧ ومات فى ٢٧ مارس ١١٩١م.

لقد دعا وتوعد وتوسل إلى الأمراء الغربيين وكل المخلصين من الشعب المسيحي في الغرب من أجل تحرير الأرض المقدسة وقد تلقى قبولاً منقطع النظير فمنحهم صكوك الغفران لكل ذنوبهم، شريطة أن ينطلقوا بقوة وسرعة لا يرجنوا تحرير كنيسة المسيح ومدينة خلاصنا ، وعلى هذا ، قام كل من فردريك الإمبراطور الروماني وفيليب ملك فرنسا، وريتشارد ملك إنجلترا، ومعهم كل الأمراء والدوقات والإيريل^(٢) والنبلاء الذين تركوا ممتلكاتهم واجتمعوا مع رئيس الأساقفة والأساقفة والأحبار وآخرين من رجال الدين الكنسي وأناس لا حصر لهم، يقدمون النذر اللاتينية لإيقاظ الأرض المقدسة ويشجع كل منهم الآخر بالقول والفعل وإشارة الحماسة للآخرين، لأنه من الغزو والعار لهم أن يظلوا في بيوتهم خاملين جنباء بينما يحمل الآخرون للصليب.

وفي الصيف الثاني من فقدان الأرض المقدسة لم يكن في مقدور الملك جان استرداد صور لأن الماركيز السابق والذي استطاع إيقاظها من قبل أعلن أنها ضمن ممتلكاته وفقاً للاتفاقية وأن كل مملكته التي تحت يديه لم تكن تتعدى قرية واحدة وباقية في موطنه مسقط رأسه، علاوة على ذلك فإنه امتلأ حزناً وأسى خاصة بسبب الأراضي المقدسة التي فقدت أثناء فترة حكمه، وكانت حياته تنسم بالطيش والتهور، مع بعض اتباعه الذين اجتمعوا معاً وفرضوا حصاراً حول عكا وثبت خيمته فوق رهوة عالية بالقرب من المدينة، وكان معه أخيه جودفروي لوزجنان، وهو رجل يتسم بالشجاعة والجرأة الذي لقي تأييد وعطف أخيه الذي كان يتقدم كل الحجاج الآخرين. وعندما سمع صلاح الدين بذلك شكر الله، لأنه أمسك بالبقية الباقية من المسيحيين وملكمهم بين يديه، وبالفعل فإن عدد قليل من الرجال لم يستطيعوا المقاومة لأهل عكا خشية من صلاح الدين وجيشه الذي لا يعد ولا يحصى.

(٢) هو لقب تجليزي أننى من المركز ورفع من اللوكوت

وعندما أساء أمراء صلاح الدين إليه أسرع لأن يأخذ القنينة "البجائزة" التي أعطاها الرب بطريقته. ويذكر أنه أجاب أنهم لم يستطيعوا الهروب، وأنه يجب عليه أن ينتظر أخيه الذي توقع وصوله في فترة قصيرة كي يلعب دوراً فعالاً في إنصاره وسعادته. ولكن لم تمر عدة أيام بعد ذلك حتى وصل إلى مسامعه أنه دائماً ما كان يقع الأذى والضرر، ويجب ألا يؤجل ذلك، عندما يكون المرء مستعداً أن يقوم به بعض النبلاء وخدام الرب المصدق عليهم، والمعروف باسم جيمس أو فوجن، ومعه قوة من الفلمنكيين والعامّة والفريزيين، الذين جاءوا في وقت مختصر جداً وتخذلوا أمام عكا، علاوة على ذلك فإن حشداً من النبلاء وآخرين من الشامباتين والبرجنديين وبعضهم من إيطاليا، وصلت بعد ذلك بفترة قصيرة إلى المعسكر أمام مدينة عكا، ولكي يتجنبوا المفاجأة وعدم توقع الهجوم من المسلمين حصنوا معسكرهم بحفر خندق حوله من كل جانب.

وقد مضت فترة طويلة مليئة بالبؤس والشقاء والأهوال والخسائر قبل مجئ ملوك فرنسا وإنجلترا، ومن أجل ذلك قام المسلمون، بإحراق آلتهم الحربية "آلات العصار" وذبح بعضهم وجرحوا معظمهم جروحاً عظيمة "ميتة" بالسهام والرماح، بينما مات معظمهم في الصحراء أمام المدينة بسبب الجوع والإنهاك وانتشار مرض الطاعون، وبعد ذلك، وبعد أن أدركت قواتنا أنها لن تستطيع بسهولة أن تأخذ للمدينة وأن صلاح الدين دائماً هو وجيشه في حالة يقظة ومناوشات حول خندق المعسكر، حتى أنهم خرجوا ذات يوم لقتال الأعداء. وجدير بالذكر أن قوات المسلمين كانوا أكثر عدداً من قواتنا، حتى أنهم لم يتوقعوا هجومهم المفاجئ، مما اضطرهم إلى الهروب تاركين معسكرهم وراء ظهورهم، وعندئذ وصلت قواتنا إلى معسكر المسلمين دون أي معارضة فقد كانوا مرتبكين وشديدي الذعر بكل ما في الكلمة من معنى. ومن عدل السماء أنهم هربوا دون أن يطاردهم أحد. وعندما رأى المسلمون ذلك استردوا ثقتهم بأنفسهم وجسارتهم، وتعقبوا قواتنا وجرحوا فرسانهم بسبب مواصلة إطلاق السهام

المتناثرة، لقد أحاط المسلمون قواتنا وأعملوا فيهم الذبح، غير أن نفرًا قليلًا من نبلائنا تمكنوا من الهرب في شكل مخذى وعادوا إلى أدرلجهم، وكان من بين هؤلاء كبير الداوية قاتر دى برين الذى سقط مع آخرين فى ذلك اليوم، وكان الخوف والارتباك قد أصاب قواتنا بدرجة كبيرة وكذلك انتابهم الذعر أثناء انطلاقهم، ونادراً ما استطاع بعض هؤلاء أن يهربوا من الميدان لا كما كان الحال من قبل من شجاعة وخبرة عسكرية. كان جوى لوزجنان الذى أقام خلف المعسكر فى حراسة مستريحاً من أجل مساعدة قواتنا مع الرجال الذين كانوا معه، أنهم يقولون أن قواتنا فى ذلك اليوم وهى فى حالة اضطرب إنما هى مصادفة غريبة لقد انطلقت الخيول من سيدها وفرت هاربة، وتابعه العديد من العدو، وهكذا فإن الجميع قد هربوا واتخذوا طريقهم إلى معسكرهم، وكان ذلك خذى لنا وخسارة كبيرة للمملكة الصليبية.

وبعد تلك المعركة بعام ونصف عام تقريباً، كانت قواتنا تنتظر الإمبراطور والأمراء الذين كانوا يتبعوهم ، وبالمثل فإن المجاعة ونسبة الطعام قد ظهرت فى المعسكر واضحة حتى أنهم كانوا يضطرون إلى أكل لحم الخيل وأجسام الحيوانات الميتة، وكان المكبال من القمح الذى كان يماوى نصف بيضت وقت السلم كان يباع عندئذ بستين بيضتاً، وعلى هذا، فإن المشاة من الجيش، أعلنوا أنهم لن يستطيعوا فى مثل هذه الحالة، أن يواصلوا سيرهم، وأبحر منهم حوالى ثلاثين ألف ، مخالفين بذلك أوامر قاداتهم ورؤسائهم فى مهاجمة المسلمين، ونقلوا بالقوة الحبوب من معسكرهم، فى براعة، تظاهر العدو بالهرب، وكانت معاناة هؤلاء الطائشين من الناس، ما يحملونه مؤن، ولكن أيضاً بما كانوا يحملونه من ذهب وفضة وأثاث من أنواع مختلفة عندما كانوا فى طريق عودتهم. وهكذا كانت أعياضهم وأعمالهم بأوزانها الثقيلة عانقاً لهم، وتحول فرحهم إلى مأتم حيث تحول هذا المرح فى النهاية إلى بؤس، وحول المسلمون غنائمهم إلى صباح عال، حتى أن أحداً منهم لم يكن موجوداً لمقاومة العدو.

لقد تركوا ليس فقط ذهبهم وقضيتهم، ولكن أيضاً أسلحتهم، وتقريباً كل شيء، ويبدو أنهم سقطوا وهم في الطريق، أو لقلوا بأنفسهم في البحر غرقاً إن بعض هؤلاء الذين هربوا، قد أصابهم الجنون بسبب الرعب واللفظاعة، وهكذا فإن الرب عاقبهم على تمردهم وعصيتهم. وأثناء هذه الفترة فإن سييلا زوجة الملك السابق جىوى قد ماتت في المعسكر. وهكذا فإن حقوق وراثته للتاج إلى أختها إيزابيلا زوجة هيمفري أوف ثورون، ولكن الماركيز مونتفرات الذي كان قد أجبر على ذلك، أعلن نفسه سيداً على صور، وعندما سمع هذا، استولى عليها وطمع في الحكم والوصول إلى العرش، وأخذ بالقوة إيزابيلا من زوجها وتزوجها في الحال، وإن كان الحجاج مستائين جداً لهذه الجريمة للنكراء. ومع هذا فقد صلفوا عن الكونت هيمفري عندما لجأ إليهم يطلب الصلح، لأنهم استطاعوا شراء الطعام المتوفر في صور الذي لا وجود له في مكان آخر أثناء مرورهم بين أيدى، الماركيز وعلاوة على ذلك فإنه تقاضى رشوة من بعض رؤساء الجيش ليدونوه.

وبينما تنوعت أنواع السعادة في أرض المعركة، أو بمعنى آخر، بينما كانت الأوضاع على نحو ما سبق، أعلن الإمبراطور الروماني فردريك باربروسا عن رحلته إلى الشرق، على رأس قوة عظيمة، وجيش من المحاربين لا حصر له. ومروراً بالحدود الألمانية عبر هنغاريا ومقدونيا وبلاد اليونان وسار عبر أراضي المسلمين بيد قوة وذراع مدودة، أخذت قواتها وقلوبها تُعرف الآن باسم 'Ilghin' وبعض المدن الأخرى ووصل أرمينيا، حيث تشتت الحرارة، ثم توجه إلى النهر، والذي يعرفه الوطنيون باسم إن 'Iron' كما يستحم فردريك باربروسا فيه، وهناك بسبب ذنوبنا وقعت تلك المأساة، حيث مات الإمبراطور فردريك باربروسا من أجل كل العالم المسيحي؛ كان صلاح الدين خائفاً جداً عندما سمع باقترابه لدرجة أنه أمر بتدمير أسوار اللاذقية وجبيل وطرطوس وبيلاوم وبيروت، وكذلك الحصون والقلاع.

وعندئذ كان فيليب ملك فرنسا وريتشارد ملك إنجلترا بعد مرور الشتاء فى برينديزى فى انتظار مؤخرة جيوشهم ليلحقوا بهم، ثم أبحروا إلى ميناء عكا، وفى الربع التالى وصلوا بسفنهم البحرية والحربية وخيولهم وأدوات القتال وما ادخروه من احتياط للطعام، وزودوا جيش قواتنا بمئة هائلة. كان الملك الفرنسى أول من جاء قبل ريتشارد ملك إنجلترا الذى اشغل الاستيلاء على جزيرة قبرص، وهزم اليونانيين عندئذ. ثم ضربوا حصاراً عندئذ حول عكا وحاصروها من كل جانب، وهاجموها طوال ذلك الصيف من كل مكان وبصفة مستمرة، بينما تخلل هذا مقاومة شجاعة وتفوق آلياتهم مستخدمين النار الإغريقية فى إحراق للقلاع الخشبية التى شيدتها قواتنا بتكاليف باهظة مما جعل ذلك قواتنا تقاسى كثيراً. وفى يوم ما كان صلاح الدين الأيوبي يرسل تعزيزات من رجال الجيش النشيطين إلى المدينة مع قوات عسكرية ومؤن، فى سفينة عظيمة تسمى درومند *Dromond* ^(١) والتقى ملك إنجلترا بالسفينة عند فم الميناء بسفنه الحربية وأغرقها فى القاع بما تحمله من جنود، وجلبت بذلك فرصة عظيمة للمسيحيين وارتباكاً للمسلمين. إلى جانب ذلك كانت هناك سفن شحن، أمكن القول أنها حملت بعض الأكعاعى التى قصدوا أن يرسلوها إلى جيشنا، وفتنوا بذلك أنهم أرهبونا. أما الملك الفرنسى فيليب فقد هاجم أسوار وأبراج المدينة هجوماً مستمراً طوال الليل والنهار بالحجارة الضخمة، فحطم بذلك آليات العدو والمساكن والمباني داخل المدينة، وضرب حصاراً شديداً دون انقطاع. ومن جهة أخرى، قام ملك إنجلترا بشن هجمات مستمرة وخطيرة على المنطقة المحاصرة، وفى كل مكان بينما كانت الأسوار تتساقط وتتهار، كانت الحجارة العظيمة تلقى ضدنا بصفة مستمرة، وقد

^(١) هى إحدى السفن الحربية ذات طابقين ومجاذيف متعددة وهى اسم بيزنطى.

أدرك المواطنون أنهم لن يستطيعوا المقاومة أبداً. وأنهم يتنازلون عن المدينة في حالة استطاعتهم الخروج منها، ولم يعد يقع أى ضرر، وأنهم لكي يحصلوا على هذا، فباتهم وعدوا بأن يعيدوا الصليب المقدس الذى لفقه المسيحيون في المعركة ولكن عندما لم يستطيعوا الحصول عليه لم يجدوه "فإن ملك إنجلترا قد يتحول إلى ثور هائج، وأمر كل هؤلاء بأن يظل كل منهم في مكانه الخاص بالمدينة، وأن يشهروا السيوف. ولكن ملك فرنسا تعامل بشكل آخر، تخفى مع المسلمين الذين كانوا في منطقة نفوذه، وألقى القبض عليهم وأردعهم في السجن لكي يستبدل بهم بعض قواته من المسيحيين. غير أن ملك إنجلترا كان أكثر إيذاءً وضرراً، فقام بذبح آلاف من العدو الذين كانوا يعيشون في المنطقة، وبعد ذلك، ألقى القبض على بعضهم وتركهم بينهم فقتلهم في إيذاء المسيحيين، وعندما رأى صلاح الدين أن المدينة قد أخذت، وأن جزءاً عظيماً من قواته قد تحطم، وأتلفت أشياء كثيرة، وأنه لا أمل في الدفاع عن المدن الأخرى ضدنا قام بتحطيم أسوار المدن الساحلية، مثل بورطوزا - وهي مدينة بالقرب من حيفا - وقيسارية ويافا وعسقلان وغزة في الداروم، ولكن الملك ريتشارد قام بإعادة بناء يافا وتحصيناتها، وبعد هذا ضرب صلاح الدين حصاراً حولها، ولكن الملك استحث بعض السفن الحربية في البحر، وتبع ذلك، قدوم قوات برية من جيشه وصلت بصعوبة "بشق الأنفس" وضربت حصاراً وصافوا جيش المسلمين بعيداً. وعندئذ، فزع المسلمون واضطربوا ثم هربوا مع أمتعتهم قبل مواجهة قواتنا. ومنفذ، استطاعت قواتنا بسهولة أن تستحوذ على بيت المقدس، ليس فقط، ولكن أيضاً أجزاء كبيرة من بلادهم لم تكن في أيدي العدو، عدو البشرية الذي حقد كثيراً على انتصارات للمسيحيين والذي نثر بذور الأعشاب الضارة، مسبباً النزاعات الخلافات بين الملوك،

وكان هناك خلاف ونزاع بين الأمراء، ودفعهم إلى أن يطوفوا في البراري حيث لا توجد الطرق، وحاولوا أن يكسبوا شهرة لأنفسهم، وأخذوا يجتهدوا في تحقيق ذلك، ولم تكن الأشياء التي احتقرها المسيح، من أجلنا أو حسد البعض الآخرين أنها شرحت قلوب أعدائهم وأحدثت تألفاً بين المسيحيين مثل هذا السلوك من الحسد والحق سبباً في النزاع الذي وقع بين الملوك عند وصولهم، حتى أنه في الغالب أن ملك فرنسا هاجم المدينة من أحد جوانبها، بينما حث ملك إنجلترا قواته على العودة ، ولم يحثهم على الهجوم على المدينة من الجانب الآخر، ومع ذلك، فإنه أحرز مكسباً في الخفاء على جانبي المدينة. بينما قام بعض الأمراء والبارونات الفرنسيين الذين كانوا قد جلبهم معه ووعدهم بأن يستولوا على الجانب الخاص بملك فرنسا، وكان ملك فرنسا قد اتزعج لهذا التصرف، وببساطة شديدة، عاد فرديريك باريوسا إلى بلاده لأنه مرض مباشرة بعد الاستيلاء على عكا تاركاً خلفه دوق برجنديا مع جزء كبير من قواته. ولكن الملك الفرنسي لم يكن حكيماً في نشر أخبار عودته في الخارج قبل الأوان، لأنه يمكن القول بذلك أن صلاح الدين كانت لديه رغبة في التخلي عن كل الأراضي المقدسة وتسليمها لنا، ولو أن الملوك كانوا قد أعلنوا في الظاهر ولو كذباً أن هناك نية في غزو المدينة، وأن كل منهما يرغب في سلام وصداقة الآخر لتحقيق النصر على صلاح الدين. وقد خرج كل من ملك إنجلترا وقواته ودوق برجنديا وقواته أيضاً من عكا متجهين نحو يافا متقابلين ليضربوا حصاراً حول بيت المقدس، وفي الطريق وقعت بعض الاضطرابات لهم، لأن صلاح الدين تمسك بإبقاء نساتهم مع عدد لا حصر له من الجنود التركبولية، وأخذ المسلمون يذفون القذائف عليهم من كل جانب حتى انقهر الجو "وتغييت السماء بالسحب السوداء" أنه كان أصعب وقت على قواتنا

لنى اضطرت إلى تغيير طريقها إلى أرسوف التى تقع بين قيسارية ويافا مع بعض نيو لهم وركابهم التى تعرضت لجروح خطيرة، وحتى الملك ريتشارد نفسه نتيجة ذيلة أثناء "فى تلك الرحلة" وبالقرب من القلعة السالفة الذكر، هاجمت قواتنا للمسلمين تنف، قاصدين بذلك طرد المسلمين ودفعهم إلى الخارج، دونما تعرض أحد من جيشنا لهلاك أو الخسارة، وفى ذلك اليوم سقط أحد الفرسان من النبلاء المحاربين الشجعان هو جيمس من أوفرجين، ومعه آخرين بعد أن فازوا بالشهادة بعد قتالهم للمسلمين ن معزل عن قواتنا. وأخذ صلاح الدين معه بعض اللاجئين إلى بيت المقدس بينما اتت قواتنا تثبت معسكرهم فى مكان يُعرف باسم "Bethenuble" "بيت نوبيا" بين يافا بيت المقدس قاصدين منه أن يكون مكاناً للانطلاق فى حصار بيت المقدس، وفى هذا مكان، جاءت الأخبار إلى الملك ريتشارد أن قافلة عظيمة كانت قادمة إلى جيش ملاح الدين من مصر، مع عدد لا حصر له من البغال والخيول والجمال محملة بالطعام بضائع أخرى. فبادر الملك لملاقاتها ليلاً، وعاد بأسلاب كثيرة إلى قواته، ولكنه ترك يشه فى خطر كبير، لأنه أخذ معظم القوات معه وترك قوات قليلة خلفه، إذا ما رنت بقوات صلاح الدين. وبعد ذلك عقدوا مجلس حرب، والذي فيه تقرر عدم ضرب صار حول بيت المقدس وعكا فلم يكن لديهم القوة التى تكفى لإنقاذ يافا، ولم يستطيعوا نضار المؤن التى تكفى لإطعام الجيش دونما خطر واضح. وعلى هذا فإن الدموع 'الأحزان لأعظم جزء من قواتنا جعلتهم يتخلون عن المغامرة وبالفعل حزن بعض أفراد وبعضهم كان يعرف أوضاع المسلمين جيداً حتى أن صلاح الدين كان لا يتوقع دأ أن يعود جيشنا حتى أنه لم يجد أنه أحداً ممن اهتموا بالكف عن بيت المقدس بجرؤ أحد على البقاء أو الوقوف هناك. ولذلك فقد أرهبوا مواطنى عكا مثل أولئك

للذين يمكنهم صلاح الدين من المساعدة ولكن جعلهم يعاتون من السيوف أو حملهم على السجن حتى تخلص منهم وعندئذ ذهب ملك إنجلترا إلى صقلان ولكنه لم يوقف إصلاح ما تهدم من أسوار طوال فترة الشتاء بما اكتسبه من خبرة وأعمال عظيمة. وفوق ذلك فقد أعاد بناء وتحصين مدينة الداروم الصغيرة "ديراالبليج" وأعاد بناء غزة وسلمها للداوية، والتي يرجع الفضل الأول إليهم في الحفاظ عليها. وقام دوق برجنديا وبعض الفرنسيين الذين كانوا يقيمون معه عندما رفضوا أن يتجهوا مع الإنجليز إلى صور ويقضون الشتاء هناك مع الماركيز، وفي الربيع التالي، وعندما وصل كلا الجيشين إلى بيت نوبا لمحاصرة بيت المقدس، تحول الملك ريتشارد إلى رجل آخر، بمعنى أنه قرر أن يعود إلى بلاده مرة ثانية، زاعماً أن أخيه يوحنا تطلع إلى المملكة، وبالفعل جعل نفسه سيداً على جانب من مملكته، ومن جهة ثانية فإنه في الحقيقة ارتاب في ملك فرنسا، الذي انفصل عنه في غضب، وكان يخشى من غيابه الذي قد يجعل الملك فيليب يقوم بغزو دوقية نورمانديا بالقوة. وبسماع هذه الإشاعة فرح المسلمون وهللوا، وأخذت الشجاعة توظفهم من ثباتهم العميق، بينما تحولت قواتنا إلى ارتباك وبؤس وقد تخلوا تماماً عن كل آمالهم في استرداد المدينة المقدسة أنهم كانوا يندبون ويتأوهون، لأنها كانت النهاية لأضحياتهم حيث توقفت قرباتهم، وكانوا يرون أن كل أعمالهم قد بدأت تنتهي، لقد وصلت إلى لا شيء. ولو أن ملك إنجلترا كان قبل رحيله بفترة استطاع أن يكتم هدفه وعزمه لأمكننا أن نكون أحسن حالاً وعشنا في سلام جدير بالاحترام بدلاً من تهديد المسلمين لنا. ولكن كان نتيجة تصرفه الطائش أن جعل كل العالم المسيحي يعانى من بؤس شديد، فقد كان ملك تروا إلى الإسراع والهروب، ووافق على نصوص معاهدة صلاح الدين دونما أى اعتراض أو

صعوبة. ومن هنا جاءت المعاهدة لتقرر أن قواتنا سيضطرون وفقاً لنصوصها أن تترك لنا عسقلان والداروم وغزة والاحتفاظ بيبافا، والجزء الباقي من ساحل عكا، وتؤكد المعاهدة، أنه عندما تحطمت الأماكن المقدسة، لم يعد لدى استطاعتنا أن ندافع طويلاً عن البلاد ضدهم، وعندما عاد جيشنا إلى معسكره وبعد فترة من الوقت، ذبح الماركيز كونراد مونتفرات بأيدى بعض المسلمين المعمدين، الذين ظلوا في بيته، وفي حمايته، وقد اقترح ملك إنجلترا على هنري كونت شامباني بالزواج من إيزابيلا، وتم الزواج فعلاً، من زوجة كونراد وبقي في الأرض المقدسة. وفي أثناء عودة الملك ريتشارد ثم القبض عليه في ألمانيا وألقي في السجن وظل في حوزة الإمبراطور الألماني حتى تم اقتداه بمبلغ كبير من المال قيل أنه 115,000 مارك. وهكذا واجه ملك إنجلترا صعوبات جمة أثناء عودته إلى إنجلترا وعلى الرغم من أن الكونت هنري دي شامباني قد تزوج الملكة وأصبح سيداً على كل من عكا وصور إلا أنه رفض أن يتوج ويصبح ملكاً على المملكة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الخاتمة

نعتبر رسائل جاك دي فيتري السبعة التي قام المترجم بنقلها من لغتها الأصلية "اللاتينية" إلى اللغة العربية غاية في الأهمية، للمتخصصين في دراسة تاريخ العصور الوسطى على وجه العموم، والحروب الصليبية على وجه الخصوص، وبعبارة أدق، دراسة الفترة ما بين ١٢٠٠/١٢٤٠م وهي الفترة التي دون فيها جاك دي فيتري رسائله.

وترجع أهمية هذه الرسائل في أن صاحبها كان شاهد عيان للأحداث التاريخية التي اشتملت عليها تلك الرسائل.

وقد تضمنت هذه الرسائل مادة تاريخية دسمة خاصة ما يتعلق بالحملة الصليبية ضد الألبيجنسيين في جنوب فرنسا عام ١٢١٣م، أو الحملة للصليبية الرابعة "المنحرفة" ضد القسطنطينية عام ١٢٠٤م أو الحملة الصليبية الخامسة على دمياط ١٢١٥/١٢٢١م.

كما ترجع أهمية هذه الخطابات أنها أصبحت سهلة ميسورة في أيدي المتخصصين من الباحثين والمؤرخين في تاريخ العصور الوسطى، أو ما يُعرف بتاريخ العلاقات بين الشرق والغرب، بعد أن كانت حجر عثرة، قبل نقلها إلى اللغة العربية أصبحت الآن أمام الباحثين، وفي متناول الجميع، دون مشقة أو عناء، وقد تحمل المترجم عناء وعناء هذه الترجمة وحده، من أجل خدمة الآخرين من زملائه الباحثين في مجال تاريخ العصور الوسطى.

وعلى الرغم من هذه القيمة التاريخية لخطابات جاك دي فيتري، إلا أنه كان يعيب عليها بعض الأمور، منها : أنه كان يقلب عليها الطابع الديني، ذلك لأن

صاحبها كان من كبار رجال الدين الكاثوليك المتعصبين ضد الإسلام والمسلمين، كذلك كان يعيب عليها التقديم والتأخير فلم تكن فى معظمها مرتبة ترتيباً تاريخياً، كما أنه يقلب عليها أيضاً الاحياز الكامل للغرب الأوروبى ولأصحاب الديانة المسيحية للغربيين على وجه الخصوص، الأمر الذى يحتم على الباحثين والمؤرخين ضرورة أخذ ما جاء فى هذه الخطابات بنوع من الحيطة والحذر، حتى لا تشوش المعلومات للتاريخية.

وعلى الرغم من هذا فإنه لا يمكن الاستغناء عن هذه الخطابات، خاصة فى النصف الأول من القرن ١٣م عند تناول تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب.

أما ما يتعلق بكتاب تاريخ مملكة بيت المقدس، الذى كتبه جاك دى فيترى، فهو كتاب وصفى لكثير منه تاريخى، يهتم بوصف وتصوير الأراضى الفلسطينية أكثر من اهتمامه بتناول كتابة التاريخ الخاص بالمملكة الصليبية، وكان الأحرى به أن يكتب وصف للأراضى المقدسة بدلاً من تاريخ مملكة بيت المقدس.

كما يعيب على جاك دى فيترى، عند تناوله لتاريخ مملكة بيت المقدس أنه تعرض للكتابة فى خارج اختصاصه، خاصة ما يتعلق بالظواهر الطبيعية والعلوم الطبيعية، وهى أمور لا صلة لجاك دى فيترى بها من قريب أو من بعيد؛ وإن دل هذا على شئ إنما يدل على أنه كتب أو تناول هذه العلوم إما عن طريق السابقين عليه أو عن طريق السمع من الآخرين ممن يعيشون فى المملكة، خاصة وأنه كان يعتمد على مترجمين من اللاتين فى الشرق يترجمون له من العربية إلى اللاتينية لتناول هذا الجانب من تاريخ المملكة، وهو أمر خارج عن نطاق تخصصه، وخارج عن التدوين فى مجال التاريخ.

ولعل الذى دفع المترجم إلى تناول الحديث عن الخطابات قبل الحديث عن تاريخ مملكة بيت المقدس يرجع بالدرجة الأولى إلى أن الخطابات كانت أكثر قيمة وأهمية كمادة تاريخية تُخدم البحث التاريخي ، عند تناول أو تعرض للعلاقات بين الشرق والغرب عند مطلع القرن ١٣ م ، وأن صاحبها شارك في الأحداث التاريخية بنفسه، أما تاريخ المملكة فإن ما يحتوى عليه من مادة تاريخية لا يشفى غليل الباحث عند كتابة التاريخ، باعتبار الكتاب وصفى كما ذكرنا أكثر منه تاريخي.

أضف إلى ذلك، أن كتابة جاك دي فيتري لتاريخ المملكة الصليبية، ما يتعلق الجانب اللاهوتي، قد جاء مشوشاً بشكل ملحوظ مما يدل على أنه لم يطلع على تاريخ العهد القديم بدرجة كافية، وهو أمر له خطورته عند كتابة التاريخ.

وعلى هذا فإن كتاب تاريخ مملكة بيت المقدس لجاك دي فيتري لا يصلح لكتابة التاريخ بشكل مرض.

مَسَّتْ



- * **Innocent III;**
- Regesta, in P.l. vol.ccxiv - ccxvi. (12, letters).
- *1- **James of vitry**, Jacobi de vitriaco Libri duo, quorum prior Orientalis sive Hirosolymitanae, alter Occidentalis Historiae nomine inscribuntur, Douai 1597, reprinted Gregg International publishers, franborough 1971.
- 2- **Letters de Jack de Vitry** in (R.P.C. Huygen, leidn, 1960.pp 71- 134).
- 3- The History of Gerusalm, Trans. by Stawart. vol x1, London, 1896. (In P. P. T. S - vol x1).
- * **J.P. Douovan :**
Pelagius and the fifth crusade, (Philad.1950)
- * **Les Gestes des chiprois**, ed.
G. Raynaud, Société de l'Orient Latin, ser historique, 5, Geneva 1887, containing "Chronique de terre Sainté, "Memoires de Philippe de Novare", Chronique du templier de tyre.
- * **Marino Sanutos;**
Secriets for the true crusaders to help them to Recover the Holy Land.A.D. in p.p.t.s, vol xll, London, 1896.
- * **Matthew Paris**, Chronica Maiora, ed.H.R. Luard, RS, 57 (I - VII) London, 1872 - 83.
- * **Mas - Latrie ;**
Histoire de L'île de chypre sous le regne des princes de la Maison de lusignan. 3 vols. vol. I. Histoire, vol. 2 -3 Documentes, Paris, 1852 - 1861.
- * **Monumenta Germaniae Historica**.ed.G.H.Hertz,others, 32 vols. Hannoverae, 1826 - 1912.
- * **Oliver of Padenborn**, Historia
- I- **Damiatina**'ed.H.Hoogeweg, Die Schriften des Kolner Domscholastes, sputeren Bischiofs von paderborn und kardinalbischofs von s.salina, Oliverus Bibliothek des literarischen vereins in stuttgart, 202 tubingen, 1894.



Bibliography

1- Sources

General Sources :

- * Annales de terre sainte ed. R. Rohricht, vol. I, II.
- * Bongers, J. ed. *Gesta Dei per francos*, 2 vols, Hanover, 1611
- * Chronicles and biographies
- * Chronique de terre sainte see *Gestes des chiprois*.
- * Eracles. *L'Estoire d'Eracles empereur et la conquest de la terre d'outremer*, RHC Occ, I, II.
- * Ernoul. *La Chronique d'Ernoul et de Bernard le Trésorier*, ed. L. de Mas latrie, Paris, 1971.
- * Faleri, felix,
The Book of wandering 2 vols, 4 parts. trans. by A. Stewart, London, 1893.
- * Frenken, G;
Die Exempla G;
Die Exempla de Jacob von vitriy, Munich, 1914 (vol. V, I des Quellen und untersuchungen ser lat. philol. jes Mittheilungen).
- * Funk, P. *Jacob von vitery, lebeu und werke*, lepoig 1909.
- * Geoffrey of villehardouin, *la conquête de constantinople* ed. E. Faral, 2 vols, Paris, 1938 - نقله إلى العربية د/حسن حبش 9-9
- * Gerold, (patriarch of Jerusalem), letter of Gerold to pope Gregory IX (18 feb. 1229) ; in *Historia Diplomatica friderici secundi*, vol. 3 (pp. 86 - 90)
- * Histoire des patriarches d'Alexandrie, Extraites ed. Blochet, in *R.O.L.*, vol. xl, Paris 1908.
- * Historia Diplomatica friderici secundi, ed. J.L.A Huillard-Breholles, 7 vols, Paris, 1851 - 1862.
- * Homorius III, pope *Regesta Honori Papae III*, ed. P. pressutti, 2 vols. Rome, 1888 - 1895.

- * **Flowers of History**, trans. From the latin by Giles, J.A.Z 2 vols, London, 1849.

• أبدي جيمس الفيتري اهتماماً بتدخل المغول بأن ترجم من العربية

بمساعدة بعض المتخصصين كتاباً عنوانه :

"Excerpta de Historia David Regis Indiorum qui presbyter Johannes a vulgo appellatur (ed.Rohricht, R;Z.K.G. vol.. Xvl, pp.93

- * Rohricht,R. ed. Regesta Regni Hirosolymitani (Mxcvll-Mccxcl)
2 vols, oeniponti (1893- 1904)

- * Rothelin ;
Continuation de Guillaume de tyre dite du conuscrit de Rothlin, Ed.R.H.C.Hocc. Paris, 1859 (pp.489 - 639).

- * Wiegler, Paul,
The Infidel enperor and his struggle against the pope, trans. by B.W.Downs, London. 1930.

- * Youssof Kamal.
Monumenta Cartographica A fricae et Aegypti. III Apoque Arabe, 5 Fasc. (1930 - 5.

- II- The capture of Damietta, see christian Society, the crusades (1198 - 1229). Sources in translation. Trans.with notes by John Gavigan, edited with introduction by Edward Peters, University of Pennsylvania, prers, 1971.
- * Patriarche de Jerusalem, Rapport au pape Innocent III, Dated 1214, see Y. Kamal, Mon. cart.t.III, fasc. IV,1034. (p.932).
- * **P.A. throup.**
 Criticin of the Crusade.A study of public opinion and crusade propaganda (Amsterdam, 1940)
- * **Peter de Montacute;**
 A letter sent to the Bishop of Elimum about "the coudation of the Holy laud after the capture of Damietta. tains"see Roger of wendover, flowers of History,vol, II,pp. 433 - 35.
- * **Phillipe de Albeney;**
 Letter to Ralph Earl of chester entitled "of the loss of Damiette" see Roger of wendover, Flowers of History, II, London, 1849. (pp.435-6).
- * **Purchard of Mount Soin,**
 Adescription of the Holy laud, trans. By A.Stewart in p.p.t.s vol, XII, London 1896.
- * **REenoul**, chronique d'Ernoult, in R.H.Occ.
- * **Richard, j ;**
 The latin kingdom of jerusalem, 2 vols. trans. from the original by Jenat Shirly, Amsterdarm, 1979.
- * **Robert de clary,**
 La parise de constantinople
- * Roger of wendover, chronica, sive flores historiarum, ed. H.G.Hewlett, Rs, 84 (I - III). London, 1886-9.

- وقد تم ترجمة الكتاب إلى اللغة الإنجليزية